

مورج وقرية



جمال

جبر الناصر في طريق الثورة



جمال عبد الناصر فى طريق الثورة

جورج فوشيه

ملاحظات:

-الصفحتين ٣٢١ و٣٢٢ فى ورقة واحدة غير موجودة بالكتاب الذى كان بين يدى ومن الواضح أن أحدا ما قد قطعهم من الكتاب... وقد قمت بوضع صفحتين فارغتين مكانهم للمحافظة على ترقيم الصفحات.

- عند تصوير الكتاب أخبرنى مسئول المكتبة العامة التى كنت فيها بأن التصوير ممنوع .. ولذلك فقد قمت بتعديل صفحة العنوان الداخلية بالفوتوشوب من أجل إخفاء ختم المكتبة حتى لا يكون هناك أى ضرر بالنسبة لهم .

- أحد القراء له تعليقات وتصحيحات بالقلم الأزرق فى هوامش الصفحات .. وقد قمت بتصويرها بالكامل .. لما فيها من تصويب لبعض معلومات الكتاب الذى كتب فى فترة لم تكن تتوفر فيها المصادر الكافية عن الثورة .

- الكتاب كان بدون غلاف خارجى .. وقد وجدت غلاف الكتاب على موقع

وأضفته للكتاب .. ووضعت صفحة فارغة بعد الغلاف حتى يكون ترقيم الصفحات مطابق لترقيم الملف فيمكن الوصول لأى صفحة بسهولة .

جورج فوسيه

محمد عبد الله

في طريق الثورة

تقديم

سعيد الغز
مجان في الجرافيا

نجدة هاجر
رعلوم في العلوم السياسية

منشورات المكتب التجاري - بيروت

الطبعة الاولى

بيروت ، آذار (مارس) ١٩٦٠

توطئة

صدر خلال السنوات الثلاث المنصرمة ، بعد هزيمة الدولتين
الغريبتين الكبيرتين بريطانيا وفرنسة ، في حملة السويس التي كانت نقطة
تحول خطير في تاريخ الشرق الاوسط كتب كثيرة باللغة العربية
واللغتين الفرنسية والانجليزية عن الرئيس جمال عبد الناصر الرجل الملمهم
الذي قاد السفينة العربية عبر الاعاصير والانواء الى شاطئ الظفر والمجد
والكرامة .

ولا يمكننا مطلقاً ان نبخس هؤلاء المؤلفين من عرب واجانب الذين
بذلوا كل جهد مستطاع مؤلفاتهم . فقد درسوا وحققوا ونقبوا ، ما
منحت لهم الامكانيات والظروف وادّوا واجبههم نحو الحق كاملاً غير
منقوص ؟

الا انه على الرغم من غزارة تلك الكتب وتدفقها فانه كان ينقص
تاريخ الشرق العربي الحديث ، لا سيما تاريخ مصر عقب الحرب العالمية
الاولى حتى عصرنا الحاضر ، كتاب يدرس هذه الحقبة بموضوعية
المؤرخ العالم المدقق ، هذه الموضوعية التي لا بد منها حتى يفهم المواطن
فهماً شاملاً دقائق العصر والبيئة اللذين انجبا الزعيم الثوري البناء جمال
عبد الناصر . لذلك ما كادت مطابع الغرب تفرغ من طبع هذا الكتاب

« جمال عبد الناصر ورفاقه » لمؤلفه جورج فوشيه الذي تناول في دراسته الموضوع من الزاوية التي ننشدها ونفتقر اليها حتى أشرعنا اقلامنا وبدأنا تعريبه لنضعه بين ايدي اخواننا المواطنين العرب ، في اقرب وقت ممكن ، مختارين له اسماً جديداً هو « جمال عبد الناصر في طريق الثورة » ، كان في رأينا أدلّ على الهدف واكثر انطباقاً على الغاية ، فتؤدي نزراً من الواجب نحو التاريخ والقومية العربية النامية .

ان جورج فوشيه مؤلف هذا الكتاب مواطن سويسري يتمتع بكفاءات علمية عالية . وقد تولى خلال ربع قرن او اكثر رئاسة اللجنة الدولية للصليب الاحمر في ارض الكنانة مما اتاح له ان يُقيم فيها نحواً من ثلاثين عاماً . وهو حالياً متقاعد يسكن مع عائلته دارة بناها لنفسه في الجزيرة قرب الاهرام . ولذلك نستطيع القول جازمين انه قد عاش الاحداث التي سطرها في كتابه وخبرها بنفسه ، الامر الذي لم يتسنّ لسواه من الكتاب السياسيين ؛ كما انه حملها وعلق عليها بتجرد ونزاهة قل وجودهما لدى الغربيين . ولعلّ المهمة الانسانية التي حملها على منكبيه والمواطنة السويسرية المعروفة بالحياد التي ينتسب اليها ، كانتا له معوانين امينين على توليد هذا الاثر الفريد الذي دفع به الى المكتبة التاريخية في فترة كثر فيها الكتب الرخيصة .

انه من العسير علينا غاية العسر في توطئة موجزة كهذه ان نُقدّم لك ايها القارئ العزيز ملخصاً لهذا الكتاب ؛ بل نخشى ايضاً اذا فعلنا ذلك ان نشوّه روعته ونفقده قيمته . ولكن مع ذلك ومهما يكن فلا بأس عليك وعلينا وعلى المؤلف من ان نوبّزه قدر ما نمكنا الكلمات بمدلولاتها عن ذلك .

يبدأ فوشيه كتابه بلمحة عابرة عن اصول سكان مصر وتركيبها العنصري البشري ، ثم ينتقل بنا الى دراسة اوضاع الريف المصري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما ولد عبد الناصر حسين والد

القائد المرتقب ؛ فيصف لنا حالة بلده بني مرّ موطن عائلة سلطان التي
ينتسب اليها جمال عبد الناصر . واثّر ذلك يتسلّم المؤلفُ الزعيمَ الوليدَ
ويسير بنا معه طفلاً وفي يافعا وتلميذاً ثانوياً وطالبا في الكلية
الحربية ، من بني مرّ الى الاسكندرية الى الخطاطبة الى اميرط الى
القاهرة ؛ ويحلّل جميع العوامل التي تألفت وكونت الشخصية الناصرية .
وهو في هذا القسم عالمٌ نقسي ومؤرخ ندر مثيله ، ومن ثمّ يتعقب فيما
تبقي من الكتاب الضابط جمال عبد الناصر في جميع مراحلها من معسكر
منقباد حيث ألف مع زميله وصديقه وأخيه في النضال عبد الحكيم عامر
اولى خلايا منظمة الضباط الاحرار الى السودان الى فلسطين واخيراً الى
القاهرة عقب الكارثة الفلسطينية التي كان لها ابلغ الاثر في نفسه حتى
نقلاب الثالث والعشرين من تموز .

ان كتاب «جمال عبد الناصر في طريق الثورة» - كما سميناه - هذا الكتاب
الذي 'يمكن' اعتباره بحق افضل مرجع يعيّن لنا دور كل من الضباط
الاحرار في ثورة مصر على الفساد والرجعية والطغيان سفرٌ تاريخي نقيس ،
لا غنى للمواطن العربي عنه ، لانه صورةٌ كاملة للثورة البناءة ، التي
حاك جمال عبد الناصر خيوطها مع زملائه باناة وصبر وشجاعة متجاوباً
مع بيئته المتحفزة معبراً عن اماني شعبه في الحرية والوحدة والتقدم .

واذا كان جمال عبد الناصر هذا الرجل العربي الذي ضرب له
القدر موعداً مع منتصف القرن العشرين لتبوء سدة القيادة ليس في حاجة
الى كتاب يخلّده ؛ فان هذا الكتاب الذي دّبحته براعة اجني قد جاء
برهاناً ساطعاً من الغرب على بطولة جمال وعبقريته ودليلاً قاطعاً على
ثبات شعب جمال في كفاحه مل اجل امانيه الوطنية السامية .

وجورج فوشيه في كتابه هذا اذا لم يخلق ويولد شيئاً جديداً بالنسبة
للقومية العربية فانه بما جمعه ونسقه وحلّاه وعلّق عليه قد اعطانا نحن
العرب بكتابه زينةً نوشتي به الصورة العربية الخالدة ، فيمنحها

الزهو والتجدد في مجالات العزة بين الأمم والشعوب :
فشكراً له لأنه كتب وأجاد ، فسدد واجبه كإنسان إنسان نحر
فريق لا يستهان به من المجموعة البشرية هو الشعب العربي الحـالـد
بدراسة سيرة زعيمه وقائده :

ولنحمد الله نحن العرب لاننا أصبحنا بفضل جمالنا ونضالنا ، في
نطاق الكم والكيف ممن يهتم بهم رجال الفكر والتاريخ :

المعربان

في ٢٥-٢-١٩٦٠

هذا الكتاب به العديد من الملاحظات
والإشارات - لتوجيه مفسر
المصنف - بن الدخيل.

✓ ارفع رأسك يا أخي ...

أينما سرت في شوارع القاهرة سنة ١٩٥٤ وجدت مئات من اللافتات
الحمراء تعلن بلغة عربية بليغة هذا الشعار المثير المؤثر :
« ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد »
والأجنبي الذي ترجمت له هذه العبارة تساءل بدهشة « وأي
استعباد ؟ ... »

بل ان كثيرين من المصريين ، من ارسنقراطيين وبورجوازيين وبعض
صغار القوم ممن عاشوا في خدمة الطبقة الميسورة قالوا بصوت خافت :
« رحم الله ايسام الباشاوات والعملاء البريطانيين الكرام الذين لم يكن
للقرش قيمة عندهم ، لقد كنا فخورين بتعاملنا معهم ولم نشعر بالذل
مطلقاً في خدمتهم . » الا ان احتلال الجيوش الانكليزية لقسم من
الاراضي المصرية ، والحكم الاستبدادي للأسرة الملكية الغربية ، والطبقة
الاقطاعية الشرهة التي تعودت ان تستغل الفلاح ، كل ذلك كان يشكل
بالنسبة للوطنيين المصريين ، لا سيما الشباب منهم نظاماً مخزياً مخفوقاً بالعار .
والذي كان يؤلم الاحرار انه بعد مراس طويل وصبر لا حدود له
دام الاف السنين كانت جماهير الريفيين المصريين اعجز من ان تتسلم
زمام المبادرة للقيام بثورة منظمة .

لقد حصل بالفعل سنة ١٩٥١ بعض المناوشات في الاقطاعات الملكية
والأميرية وفي املاك بعض كبار الوفديين ولكنها اُخمدت جميعها بالقوة
وأبسط تخمين في حالة الفلاح كان كافياً لأسكانه وجعله يقبل الأرض
شاكراً .

وكذلك العمال كانوا شبه راضين ، لان السياسة الاجتماعية للوفد
والقصر كانت قد رفعت اجورهم قليلاً ، والدعاية الشيوعية لم تلق تجاوباً
الا عند فئة صغيرة من الناقين اذ كانت تقوم على اكتاف بعض المثقفين
الاجانب من يهود ويونانيين ، وبقيت بين ايدي منظمين نقابيين من
السهل جداً مراقبتهم . وانفجار السادس والعشرين من كانون الثاني
سنة ١٩٥٢ يوم حريق القاهرة ادى الى توقيف كبار القادة النقابيين
واشدهم عنفاً ، وفي هذا المجال ايضاً لم يكن هناك أي ضغط ثوري
يوجه بتنظيم ضد العهد والملوك ...

في كتاب « ثورة على ضفاف النيل » كتب السيد انور السادات أحد
الضباط الاحرار يقول :

« كي تحدث ثورة » ما . يجب ان يكون هناك طبقة بروليتارية
ناقة ، وجهاز مركزي موجه قادر على ان يدير العمل ، وفرصة مناسبة .
وهو يعتقد ان الشرطين الاولين قد تحققا في مصر منذ قيام حركة الضباط
الاحرار سنة ١٩٣٨ ، ولم يبق الا انتظار الفرصة المناسبة ، هذه الفرصة
التي تحققت سنة ١٩٥٢ .

ان هذا التفسير تفسير ماركس للتاريخ وهو لا ينطبق مطلقاً على
واقع الثورة المصرية ، لان عمال القاهرة والاسكندرية لم يلعبوا اي دور
في انقلاب الثالث والعشرين من تموز ، الذي كان حركة عسكرية ،
اعدها وقام بتنفيذها الضباط وحدهم ، ولم يشارك فيها الجنود الا في
اعتقال كبار الضباط من الاركان العامة ، ثم في احتلال القصور الملكية
في الاسكندرية ، وذلك تنفيذ لأوامر رؤسائهم المباشرين ، دون ان

مكون لديهم أي شيء من روح المبادرة ، و بدون ان يكون عاقلهم أي علم مستقل بذات ، أو حتى دون ان توجد رأيهم فيما أسند إليهم من أعمال .

وإلا ذلك ، فإن كانوا يسمعون أن غيرهم من أوساعهم المادسة شخصية
بين أنفسهم ، كانوا قائلين ، من انصاف كان ذلك حجة صغيرة جداً
من أنفسهم ، وهذه وحدها هي التي كانت قد اوجعت ان نفس المقام
الاحياء منهم ، انما كان له ان يسمع عن جمهورية اشراكية ، تكون
مركز الثقل في الاتحاد واسع يضم الدول العربية .

وأول محمد عبد ربه في مذكراته ، التي ظهرت في لبنان سنة ١٩٥٥ عن طريقة صديقه ال حرّكة الضباط الأحرار اسريه سنة ١٩٤٩ حيث لم يتصل الا بخمسة من تسعة اعضاء في اللجنة الشعبية ، ووضح كيف انه بعد تحرير القاهرة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ شعر مع اخوه بان ساعة الضمير قد قُربت ، فعرض عليه حل عبد الناصر ان يدار له عن منصب رئاسه الحركة . وكان قبل ذلك قد عرض نفس المنصب على اللواء فؤاد صادق الذي كان قائد العمليات الحربية في فلسطين ، ولكن فؤاد صادق رفض هذا المنصب خوفاً منه على مركزه ثم يقبل . وهكذا أصبحت انا رئيس حركة الضباط الأحرار مكانه ولو كنت انا شخصاً معروفاً اشغل منصباً هاماً كما كان فؤاد صادق بعد حرب فلسطين ، الحالي انا الآخر رفض هذا العرض .

لقد كان محمد نجيب هذا المائد الشجاع الذي يحمل آثار الحرب على
وجهه حير صباط بين اصباط المصريين ذوي الرتب العالية ، وكان
يُفرض فيه ان يبدو كأنه القائد الاعلى للثورة ، ومع ذلك ص عضو
مؤيداً أو عضواً محارباً على الأصح ، في حركة اصباط الأحرار ، ولو
عين رئيساً للاركان العامة كما عُرض على نؤاد صادق أو لمصب
معاد ، اذن موقفه مشابهاً لموقف رميله ، لانه لم يكن لديه الادعاء

لأنه يجب أن يربطه بوابات عصبية تمهده . فحاه . كل مكينة للعمل
وعند انطباق العداداي بدوره أيضاً صباط شجاع وإداري ناضج .
وقد عرف كيف يرأس بحرم محكمة الثورة . ثم يحسن الآلة من بعد .
ولكنه ليس مؤهلاً ليكون الرئيس الأعلى الذي يمس برأيه على رفاقه .
دون أن يلقى مقاومة .

إن رأس مدر الثورة المصرية . ذلك لدى أشأ المنظمة السريية
لنصاح الأحرار حية . حية . والذي أعد حلال سنوات طول
حظة ثلاث سنة ١٩٥٢ وأمر تنفيذها في الثالث والعشرين من تموز .
إنما هو البكباشي جمال عبدالناصر .

وكما تعمقنا في دراسته تصور فكرة ثورة في الجيش المصري . واد
تبع المراحل التي مرت بها مصر من الملكية إلى الجمهورية الاشتراكية .
لاحظنا أن إرادة جديدة لا تلبس كانت توحه الثوريين وتستفيد من
الأحداث الطارئة لتحقيق أهداف مدروسة سابقاً ، أن هذه لإرادة وتلك
أسرع الثورية . إنما هي رة فعل للذي تعرض له في الامكندرية
والقاهرة ، الضابط جمال عبدالناصر . من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٥ .
واللهمة الخامسة التي عاناها كطالب في المدرسة الحربية ، وصابط في
مقاتل السودان ، وقائد مخدول في حرب فلسطين .

إن سبب تعميق لثورة المصرية يكمن في كرامة شخصية محرومة ،
وعرة وطنية مهانة . أنه أكثر من مصعب سياسي أو مؤس شعبي .
أنه روح جمال عبدالناصر بالذات تلك التي كانت تنطق بها مئات
الباغيات سنة ١٩٥٤ ، عندما كان التحليل يخلو بحوشهم عن مصر .
أرفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد :

لذلك لا بد إذا أردنا أن نفهم الثورة المصرية فهماً شاملاً جيداً من
أن نستقصي لنعرف كيف تكونت الشخصية التي كتب لها أن توحه
مصر وتطلق بحماسة زائدة حركة القومية العربية . وتدرج بعد وتمر

الدول الكبرى التي تتناقض مصالحها المنتشرة في انحاء العالم مع الوثبة العربية ، وسرى بعد ذلك ان الضباط والمدنيين الذين يتعاونون معه يشكلون فريقاً مهمته تنفيذ مخططات القائد وتصاميمه . وهو لهذا السبب يتلقى باستمرار دماً جديداً ويخضع للتطعيم والتشذيب ليكون في مستوى المهمة الملقاة على عاتقه :

ان أعوان عبدالناصر من مصريين وعرب ضروريون لتحقيق مثل الجيل الشاب التي لا خلاف عليها ، والنقاش فيما بينهم لا يتعدى طرق التنفيذ والفروع الى الاصول والجوهر .

لحزن السئ يا
عبد الناصر
يا لروح
بالقد
حالد
كل شمس

قرية صغيرة خاملة

ولد عبد الماصر حسين ، والد حماد عبد الماصر ، سنة ١٨٨٨ في قرية بني مر ، على مسافة اربعة كيلومترات الى الشمال الشرقي من أسيوط .
انها اليوم قرية تضم خمسة آلاف نسمة ، بينهم ثلاثة آلاف وخمسمائة مسلم ، والى وخمسمائة مسيحي ، فيها ترتفع اشجار النجيل يسعفها المخصرة العبراء فوق أكرواح الطوب ، والعائلات الميسورة وحدها تسكن بيوتاً من القرميد الاحمر او الحجر الكلداني .

تزهو بني مر اليوم بمساجدها الثلاثة وكنيستها القبطية ، ومدرستها الابتدائية ، وجمعيتها التعاونية ووحدها الصحية . ومثل جميع القرى المصرية تصيق اليوم على الحياة الحديثة . لقد كانت الحياة فيها أتر بدائية قبل سبعين سنة ، ولم يكن هناك مدرسة ، لا رسمية ولا خاصة ، وحاكم أسيوط ، او مدير ناحية ابنوب ، التي تضم بني مر ، كانا لا يذكران هذه القرية الصغيرة النائية الا عند جباية الضرائب . والخدمة العسكرية كانت لا تُصيب الا عدداً ضئيلاً من الشبان ، لأنه على أثر ثورة عرابي والاحتلال البريطاني في سنة ١٨٨٢ كان الجيش المصري مُرح ، ثم أعيد تشكيله على نطاق صغير بإشراف ضباط بريطانيين . ويمكننا الآن ان نتساءل : هل كان فلاحو بني مر أسوأ حالاً مما

هم عليه الآن ٤٤

كان انقص في الارض كان أقل صراوة مما هو عليه في عصر الحاضر ، لأن سكان مصر الذين بلغ عددهم اليوم حوالى اربعة وعشرين مليون نسمة . كانوا سبعة أو ثمانية ملايين آنذاك . وكانت قرية بني مر تضم ٢٠١٧ نسمة أثناء إحصاء سنة ١٨٩٧ . أي انه كان يجب ان يكون فيها ١٧٠٠ نسمة قبل عشر سنوات من ذلك التاريخ . في السنة التي ولد فيها عبدالناصر حين واما ان الاراضي المحيطة بالقرية تبلغ مساحتها ما يقرب من ألفي فدان فان هذا يعني ان يصب كل شخص من هذه الارض آنذاك كان أكثر من فدان (الفدان ٢٠٠ م) وهو يكفي لاطعامه وارراعات الفية كالتنطن وقصب السكر التي أدخلها محمد علي واسماعيل الى مصر العليا كانت تتبع دفع الضرائب . وشراء بعض الاقمشة من نائبي الاقمشة في مدينته حين المحاورة . أو بعض الادوات السبطة المصنوعة محلياً .

بالنسبة للمراقب السطحي ، كان سكان بني مر يعيشون في سبات عميق ، بعيدين عن كل مظاهر الحضارة ، راضين من الحياة بأسطها ومن الدنيا بأرهدا .

اما في الحقيقة فقد كان التوازن الاقتصادي غير مستقر ، فالارض اولا كانت لا تنحصر سكان القرية إلا جزئياً ، وكثيرون من الملاكين كانوا يقيمون في اسيوط او ابنوب او غيرها من الحواضر . والبدايات التي كان على الفلاح ان يدفعها كانت تستنفد القسم الأكبر من دخله الزراعي ، وكل سنة ، مع ازدياد عدد السكان . كانت مشكلة اشباع الافواه الجديدة تزداد تعقيداً وإلحاحاً .

كانت مصر في عصر الاحتطاط فريسة للاوبئة ، ومنذ عهد المماليك والطاعون والحدري يفتكان بها . ولما جاء محمد علي وخلصاؤه اتخذوا الاحتياطات . فنجست احوال المصريين الصحية وارتفع عددهم الذي

كان ثلاثة ملايين نسمة في فجر القرن التاسع عشر الى خمسة ملايين في ١٨٧٠ ، وحوالي عشرة ملايين حسب احصاء سنة ١٨٩٧ . هذه الريادة في الايدي العاملة كانت عماد ثروة في البدء . وأعمال ابري الكبرى كقناة (الامراشية والمحمودية) وسد الدلتا . ثم سد سرب . أتاحت ريادة الاراضي الزراعية ، ولكن سرعان ما أصبحت هذه الاراضي غير كافية ، ولم يعد هناك فدادين لاطعام كل هذه الملايين من المصريين . وتوجب البحث عن ثروات جديدة . وكي يتاح ذلك يجب الخروج أولا من الحقل المطبق الذي يشير شححه فوق الريف المصري .

الكتاب
من
١٢٠

من الكتاب الى المدرسة الابتدائية

في سنة ١٩٩٠ ، بعد مرور اثني عشرة سنة على ولادة عبدالناصر حسين ، تعاون ممثلو العائلات الاسلامية الكبرى في بني مر للمساهمة في بناء غرفة على سطح المسجد ليعتم فيها الشيخ احمد قرعة ماديء القراءة لأبنائهم . لقد علمهم الشيخ القراءة والكتابة . ولقنهم غيباً سور القرآن . وأحد اولئك المساهمين كان حسين خليل سلطان ، والد عبد ناصر حسين الذي كان الاول في مدرسة الشيخ .

✓ لقد روى احد مؤرخي سيرة جمال عبدالناصر في عدد خاص من مجلة « المصور » ان عائلة سلطان كانت تسكن في الحي الشمالي من قرية بني مر المسمى باسمها ، وانها كانت معروفة بشجاعتها وكرامتها وكرمها وذكاء ابناءها . وكانت تعيش من زراعة اراضيها عيشة بسيطة متواضعة بوصفها أسرة تنتمي الى طبقة صغار الملاكين ..

أدخل عبدالناصر حسين في سن الثالثة عشرة الى كتاب الشيخ ، تخرج فيه بعد ثلاث سنوات حسب المرحع نفسه ليرسل الى الاسكندرية

عند أقارب أمه الذين كانوا يُدبرون عملاً تجارياً .
وفي شهر آذار سنة ١٩٠٤ نحو اصي مدرسة ابتدائية وخرج منها
بجمل شهادة الدروس الابتدائية التي حوّلته اب يصحح حالياً في أحد
مكاتب البريد في الاسكندرية .

لقد كان أول من يشغل وظيفة حكومية بين أبناء قريته .
نحو لي هذه الرواية معروفة عن وقوع ، إذ أنه بين قرية بني مر
المنطقة بين أشجار الحبل في مصر لعب ، وبين الاسكندرية الواقعة على
الوسط ما لا يقل عن ستائة كلم . فكيف يُبحث بعيداً بقروي في
السادسة عشرة من عمره بعد ثلاث سنوات نسيها في الكتاب لتعلم في
مدرسة ابتدائية ؟ . ثم هم أقارب أمه هؤلاء الذين كانوا يعملون في
التجارة ؟ . وهل كان والده حين حين سلطان تزوج من امرأة
اسكندرانية ، وبأية معجزة ؟ .

لقد توجّهت بعصي الى بني مر ، وفيلات افراداً من عائلة سلطان
ما زالوا مقيمين في القرية ، كما فيلات اصدقاء للعائلة ، وقد رووا لي رواية
مخالفة عن الطريق التي سلكها الفلاح الصغير ليخرج من عالمه الصغير .
بعد ان تعدّم مبادئ القراءة والكتابة في كتاب الشيخ في بني مر ، لم
يستطع عبد الناصر حسين ان يلتحق بمدرسة اسيوط الابتدائية لسبب بسيط هو
انه لم يكن في اسيوط التي تعد تسعة وثلاثين الف نسمة ، مدرسة ابتدائية
وهذا التحديد يعطى فكرة واضحة عن الجهل الذي كان يُطبق على
المصريين ، في اوقت الذي كان المستشارون الاجليز يتوآون الاشراف
على اسلام في وادي النيل . غير انه كان في اسيوط مدرسة ابتدائية
مرصعة بلاسط ، ولم تكن هذه المدرسة مقتصرة على التلاميذ المسيحيين ،
بل كانت تقبل المسيحيين والمسلمين على السواء .

والفلاح حسين خليل سلطان ، الذي شعر باستعدادات ابنه الطبية ،
خرج في ادخله ان مدرسة اسيوط القبطية على مسافة اربعة كيلومترات

من قريته . وهناك على الأرجح نال عبد الناصر حسين سنة ١٩١٣ شهادة
الدروس الابتدائية التي أناحت له ان يصبح موظفاً في مكاتب البريد .
والمؤكد ان مديرية البريد أرسلته الى الاسكندرية في بدء الحرب العالمية
الاولى . وهناك تزوج في سنة ١٩١٧ من ابنة المقاول محمد حماد المقيم
في الاسكندرية ، وكان موله من مصر العليا ، ينتسب الى بلدة ~~ملاوي~~
في مديرية الميلا ، وقد وفق محمد حماد هذا الى ان يكون تاجر وحام
محترم ايضاً . وكان على الاعلى تربطه علاقة العمل بسلطان احمد اشق
عبد الناصر ، الذي عمل في تجارة الفحم قبل ان ينخرط في تعويبة
البترول التابعة للمنيلا .

صعيدى واسكندري

كان على عبد الناصر حسين ، بعد ان أصبح موظفاً في البريد ، ان
يتنقل في كل انحاء مصر ، بناء لأوامر مديرية البريد حسب التقيد المتبع
في كل الاحزمة الحكومية . وكان في الاسكندرية في الخامس عشر من
كانون الثاني سنة ١٩١٨ ، ثم أرسلته الى خيل العربان قرب السويس
سنة ١٩٢٣ ، ونقل بعد ذلك الى حطاطبة القرية الصغيرة بضبعة على
حدود الصحراء ، على مسافة اربعين كيلومتراً من القاهرة . ثم نقل مرة
اخرى الى دمنهور ، فالاسكندرية ، واخيراً الى القاهرة حيث عين جانياً
في احد مكاتب البريد في الاحياء .

كان عبد الناصر حسين في تنقلاته هذه كلها في انحاء مصر ، ينتقل
عائته معه ، وعندما يكون مقر عمله خالياً من المدارس ، كان يكيف
احد الاقارب بتولي أمر اولاده الذين هم في سن الدراسة الابتدائية
والثانوية . انها حياة صعبة وجريئة ، هذه الحياة التي اضطرها
الموظف الصغير ذو الراتب المتواضع ، الذي ترك بلده لام دور املا

ان هذا عامه اساسيه ادبيا الى تفتح ابه جمال الذوق ، شهد

لثقلات المستمرة على الخلاء ، وخاصة الرياح من اية تاجر ميسور

ملحوظة . بذلك راجع الى انه من ناحية الأم كان قد انتهى موهبة

فصل عن ٤٠ .

الصعيدي وحذره ، ونمسه بارضه ، فانه قد أخذ عن ابيه المذنب

في البريد . ان الجرأة الثورية والفتح على اعالم الخارجي عند جمال
عبد الناصر كانا سيقيان دون تفسير لو ان والده تزوج من إحدى بنات
نبي مر الطيعات البسيطات .

ولسحاول قبل ان ندرس الجو العائلي والمدرسي الذي عاش فيه جمال
عبد الناصر في صغره تحديد اصل هذا الشعب الذي يسكن منطقة
الصعيد ، ومنه والدا جمال عبد الناصر :

جمال
عبد
الناصر
بن
عبد
الناصر

نَسَبُ سُكَّانِ مِصْرِ الْعُلَيَّا

/ فترة ما قبل التاريخ والفترة الفرعونية

ان فلاح مصر العليا مسيحياً كان ام مسلماً ينحدرو من الشعب الذي كان يسكن وادي النيل منذ الزمن الذي سبق العهد الفرعوني .
ان العصر الاصيلي ، القريب من بربر ليبيا وحمي شمالي شرقي افريقيا ،
العلاّس والصوماليين ، هو افريقي مئة بالمئة ، وفي الفترة التي سبقت
قيام الملكية في وادي النيل جاءت قبائل اسبوية سامية وآرية ، واستوطنت
الدلتا والوادي ، وكانت هذه مزودة بحضارة اسمى . ان السكان
الاصليين كانوا لا يعرفون الا الادوات والاواني الحجرية ، اما القنادمون
الجدد الذين تسللوا رويداً ، رويداً ، على الارجح ، فكانوا يعرفون
المعادن ، وعلى الاحص النحاس ولهم لغتهم الخاصة ، وعاداتهم
وتقاليدهم .

ومع الزمن انتهى السكان الاصليون ، الذين هم اكثر عدداً بابتلاع
القنادمين الجدد . وانصهار المصريين كان منسجماً الى درجة اصبح من
العسير جداً معها التمييز في الحضارة المصرية بين ما هو من العصر
الافريقي وبين ما هو من العصر الاسبوي الذي سيطر على وادي النيل
في الفترة التي سبقت قيام الملكية في مصر .

وحلال سنة آلاف سنة التي. مرت منذ ان تولى «مينا» تأسيس
اول اسرة مالكة فرعونية حتى يومنا هذا تعرضت مصر الى لغزو
مراراً .

١- في نهاية عهد العائة اثالثة عشرة ، اي حوالي سنة الف وسبعائة
قبل الميلاد قدمت قائل سامية من شبه الجزيرة العربية ومن سورية
واجتاحت مصر السفلى وسيطرت عليها . انهم الهكسوس ، زعماء
الصحراء ، او الملوك الرعاة الذين بدأوا اعمال النهب والسلب في مصر
واستعبادها وقد استقروا في الدلتا ثم شكلوا العائلتين الخامسة عشرة
والسادسة عشرة من مانتون .

وفي هذه الاناء تطمت المقاومة الوطنية ، وبعد استعداد استعرق
مئة وخمس وعشرين سنة انصر ملوك طيبة على الهكسوس واخرجوهم
من مصر ، وفي ظل الحكم الفرعوني الهكسوسي جاء على ما يظهر يوسف
الى مصر وفيه اقام العبرانيون في المظنة الشرقية ، الا ان هذا العزو
السامي الذي ترك آثاراً له في مصر السفلى ، لم يمتد الى مصر العليا التي
كنفى الغزاة منها بأخذ الجزية .

إذ ذلك حصل تسلل القبائل الليبية التي تنسب الى العنصر نفسه
الذي تحددت منه سكان مصر الاصليون ، كما جاء عدد من الميسقيين
والهياينيين الى شمالي الدلتا والمدن الكبرى كنجار للعمل ، ودخل ايضاً
المرتزقة اليونانيون الى الحبشة ، وكان ان توصل بعض الاحباش الى
عرش الفراعنة ، ثم كان بصورة خاصة احتلال مصر على يد الفرس
الذين نشروا حامياتهم العسكرية على طول الوادي من المتوسط الى اسوان ،
وهذه الحاميات المؤلفة في اكثريتها من جنود وضباط فرس كانت
تضم عنصر غربية ووطنية ، ففي جزيرة « القيلة » مثلاً كانت تقيم
جالية من المرتزقة اليهود تتكلم وتكتب الآرامية .
هذا الاحتلال الفارسي الذي ترك اثرأ سيئاً في مصر ، دام ما

يقرب من مئة سنة . تحتها انورثت حتي كان يحارب فيها اي جانب
المصريين جـور يونانيون وليبيون ، وفي ظل عائدات الثلاث
الاحيرة التي يحمل فرائضها اسماء ليلية على الاغلب ، كان القسم
الاسير من الجيش المصري يتألف من المرتزقة اليونانيين يتودهم صباط
يونانيون .

ولذلك عندما انتصر الاسكندر المقدوني على ملك الحرس في آسية
المصرية واحتل سورية وفلسطين استقبله المصريون بالترحاب كأنه
المحرر المقدس . واذم له الكهنة المصريين اصوات الالهية ، واعترفوا
به فرعوناً شرعياً . فافتتح بذلك عهداً من السيطرة الهيمنية دام ثلاثة
قرون . وهكذا خضعت الطغاة المصرية الموحدة ، بعد ان تلقت
دماء سامية وليبية لنفوذ هيليني كبير .

اما طغاة المتوسط ، وخصوصاً الريفية فلم تتأثر الا قليلاً بهذه
العوامل لاحبية ، وقد تمثلت هذا القليل وحافظت على عيّنات العصر
المصري الاصيل .

الحقبة اليونانية - الرومانية والبيزنطية

بلغ عدد سكان مصر في ظل البطالسة رقماً مرتفعاً بالنسبة لذلك العصر
وهو سعة ملايين نسمة ، والاسكندرية التي كان اثنان من احيائها
الخمس يونانيين ، واثنان يهوديين ، وواحد مصري فقط ، كانت مدينة
هيلينية ، نسي اليهود انفسهم فيها لغتهم العبرانية وترجموا حتى كتاب
التوراة الى اليونانية .

وكان ان تمت مدن يونانية اخرى مثل ، نوكراتيس في الدلتا ،
وارستوي في الفيوم وهيليوبوليس في اشمونين قرب المنية ، وبطانيس
عاصمة مصر العليا قريباً من قرقه ،

وكان الجيش في ذلك الحين يتألف من اليونانيين والمقدونيين ، ومن المصريين . ومن طائفة من المرتزقة . والرتب كانت في هذا الجيش وقفاً على اليونانيين والمقدونيين الذين كانت الدولة تمنحهم الاقطاعات الزراعية . والوظائف الادارية المهمة كانت تُنَاط باليونانيين ، والرواح المحتلطة اناح للعائلات المصرية المسورة ان تطلع على الثقافة المصرية . وهذا وقد استمرت الطبقات الشعبية محتبطة بديانيتها ولعنتها ، وكانت القبطية تكتب آذاك بالحروف اليونانية لان الخط الهيروغليفي كان قد أصبح غير مفهوم .

وقد بدت مصر حارجياً كأنها نهبت (أصبحت هليبية) مع ان ذلك كان مقتصرأ على جزء ضئيل من سكانها ، ولم يمض طويل وقت حتى انمحرت اثورات بقودها الوطنيون الاشراف ورجال الدين . على يد جنود مصريين كانوا قد تدربوا وتسلحوا في الجيش المقدوني .

وفي ظل الاحتلال الروماني بقي الجهازان الاداري والعسكري ، والدعة الرسمية ، بقي كل ذلك يونانياً ، وكانت روما تأخذ من مصر عشرين مديون وزنة من القمح سنوياً ، وتضاعف التبادل التجاري بين مصر وأوروبا ، اذ كانت مصر تبيع الحبوب والزجاج ، وورق البردي والمنسوجات والحلي ، وتستورد المعادن خاصة القصدير والعنبر والفخار والحلبل . غير ان هذا النشاط التجاري والصناعي كان محصوراً في أيدي اليهود واليونانيين ، واستمر الفلاح يعيش في قريته التي بُنيت بيوتها من الطين ، تشغل كاهله الضرائب الفادحة ، ويُفني عمره في خدمة المحتل الدخيل .

وعندما حلت بيزنطة محل روما ، بقي كل شيء على حاله ، وفي هذا العهد انتشرت الديانة المسيحية في المدن وشيدت الاديرة في الصحراء الليبية وفي وادي النيل . في مصر العليا كما هي الحال في مصر السفلى غير ان المعتقدات المصرية القديمة بقيت حية في الريف المصري الى فترة طويلة بعد الاحتلال البيزنطي .

وفي القرن السادس بعد الميلاد كان نصف مكان الريف لا يزالون
وثنيين ، ولم تبطل عبادة ايزيس رسمياً في سوريا إلا سنة ٥٤٣ ميلادية ،
عندما اقل ترسيس القائد اليوستينياني معبد « فيلاي » ونقل الاصنام
الى القسطنطينية . وشهر المعارك التي نشبت بين الاقباط الذين يعتمدون
نصه ووحده المسيح ، وبين نصرة الملكيين الذين فرضتهم بمرصية ،
وتحت سيطرة شديدة ضد مصر . تمتع شهر حيداً أن المصريين
في المدن ، وفي الارباب كانوا لا يحسون بأي رابط يربطهم
بالحليين .

ثم كانت موقعة « واذنية حيدلة » على يد كسرى الذي احتل سورية
وقد ظهر ورجل مصر سنة ٦٢٠ دون مقاومة تذكر . وقد دخل القرس
بمصر دون قتال ، وسقطت ديار في القاهرة القديمة في ايديهم بعد
مداومة حروبهم ، وسقطت الاسكندرية بعد رصعة اشهر من الحصار ،
وحجج القرس وادي ابي حنيفة الى بلاد اموية ، انهوا وحربوا واحرقوا
وقدوا ، ثم سمحوا للاقباط باعادة بناء كنائسهم وديرهم ، وبدوا اكثر
اعتدالا من اليونانيين في فرض ضرائبهم .

وعندما تمت هرقل على القرس في بلاد ما بين النهرين ، جلوا عن
مصر بعد احتلال دم عشر سنوات ودرست بمرصية الى مصر البطريرك
سروس الذي فرض على البلاد هراسة الجيش البيزنطي ديكتاتورية
طاعية .

وقد حاول عساً توحيد الشيع المسيحية المتنافرة ، واعادتها الى حضيرة
الكنيسة اليونانية . ونجد تفسيراً لكراهية الاقباط لبيزنطية في النزاعات
الدنيوية ، وسوء تصرف الموثقين اليونانيين الذين كانوا يجرحون شعور
مصريين ارضي بنتهم الكبيرة المتداحة ، وضرائبهم التي ترهق الطبقة
الوسطى والريعية في وادي النيل « اهراء القسطنطينية » .

الفتح العربي

تمّ الفتح العربي لوادي النيل بين سنة ٦٣٩ و ٦٤٣ على يد القائد الكبير عمرو بن العاص بماء لرعية الحليفة عمر بن الخطاب .
وحبس الفتح المؤام في اكثريته من يمينين كان لا يزيد عن خمسة عشر الف مقاتل وقد قدم من سورية وفلسطين ، فاحتل بيلوز وصعد عن طريق دلباس الى قنعة بايلون التي لا تزال آثار اسوارها المبيعة بادية حتى اليوم في القاهرة القديمة ، وتوقف عمرو بن العاص سبعة اشهر أمام هذا الحصن الذي ساه الرومانيون ، وبعد سقوطه توجه على رأس الجيش العربي الى الاسكندرية التي قاومت بين ثلاثة أو أربعة اشهر حسب الروايات المتضاربة ، وفي هذا الوقت كان معاونه عبدالله بن سعد قد افتتح مصر العليا .

لقد استغل الاقباط الجيش العربي بالترحاب واعتبروه نعمة من السماء لانه انقدهم من امير البيزنطي ، ولم يصطدم الجيود العرب في سيرهم في وادي النيل الا بالمقاومة اليونانية ولم يلاقوا مقاومة من المصريين الوطنيين الا فيما بعد عندما رأى المسيحيون منهم أنفسهم مضطرين لدفع جزية لجيش الاحتلال ، وكان رصيد هذه الجزية يرسل الى احليفة .
وقسم من القمح المستوفي من الفلاحين المصريين كان يرسل الى المدن المقدسة في الحجاز .

وكان ان اعتنق القسم الاكبر من المصريين الدين الاسلامي ، وانتشرت اللغة العربية لاسها لغة القرآن والفتاوى . ويمكن ان نعلل السرعة التي تم بها اعتناق الدين الاسلامي بكون الديانة المسيحية هي الاخرى قادماً جديداً الى الريف المصري حيث المعتقدات القديمة كانت لا تزال تحتفظ بالكثير من الاتباع .

هذا ، ولم يتفرق الناحيون العرب ، القليلو العدد في انحاء مصر .

من نورسوا في حركات فلكية ، وكانوا يشككون في حركات الكواكب
ومعكري ، وفي البدء من خلال مصر يرون في جيش من غزوهم من
كل اوجات البحر ، وفي مثال ذلك ستخدموه في الرصيف
الادارية .

وقد كتب ستمت بسموت يوت . - العرب الذين منحهم الله
المصر في اماما . ولد ميسي خمس عشرة على دحوشهم الى مصر اصبحوا
امبادا ، - - - - - لا يدرى من المنسحق مصر ، - - - على المنسحق
يكون ايضا ويخدمون ، كوسا وندسبا . ويقدمون اشياء لكثافتها
وأديرتنا ...

ان اول ما شمل الناحية العرب في مصر هو اذ رتبها لتسعة مائة وثمانين
سكانها من رأت على ان يدعو الخربة . - - - العرب سرعان ما
غبروا حطنتهم ذلك . واحدوا من عنهم مهمة صعبة الا وهي تعريب
المصريين بشر لواء الدين الاسلامي وبعة العرب

واعترف الدين الاسلامي حاكما في مصر كان من نتيجته ان التجربة
تي كانت تنبع في ظل معاوية (٦٦١ - ٦٧٠) خمسة ملايين دينار ،
هبطت الى اربعة ملايين في عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) لتصل
الى ثلاثة ملايين فقط فيما بعد . وقد سار استعمال اللغة العربية في ركوب
الدين . وبدأت العربية تحل مكان اليونانية في المستندات الى جانب القبطية .
وأما استعمالها في الاوراق الرسمية فقد فُرض سنة ٧٠٦ بقرار من
العامل ، ونسبت القبطية مدة صويلة لغة التخاطب بين المصريين . ويُستدل
على ذلك بانه في سنة ٨٣٢ عندما اقام الخليفة المأمون فترة من الزمن في
مصر ، استقدم معه أحد المترجمين .

والتوسع العربي الذي امهنته الفتوحات الواسعة ، سرعان ما غير
طبيعته . وبالمطع حلت العربية مكان القبطية ، كما حلت اللاتينية مكان
الساكنة في غالبا . - - - - - المنح الروماني . وبقي الاسلام دين الاكثرية من

لسكن ، بينما بدأ عدد الجنود الذين يرحلون الى أصل عربي بمحض يوماً بعد يوم في حبوش الخليفة . وقد كتب ابن خلدون يقول ان الروح القومية عند العرب اوشكت ان تتلاشى تقريباً ، ولم يعد في امكان الخلفاء ان يحتفظوا بسلطانهم الا بمساعدة الجنود من اعاجم وترك و في مصر . بناء على أمر الخليفة المعتمد (٨٣٣ - ٨٤١) استدعوا بالجنود العرب جنود اترك في الجيش .

أما العرب الذين اصبحوا اصحاب املاك عقارية واستوطنوا المدن المصرية ، فقد لاموا فيما بعد على يد المملاطين المماليك من الذل والذوان والتعديب اكثر مما لاموا اليهود والمسيحيون لانهم كانوا فحورين بنسبهم يأبون الخضوع للاسياد الجدد ومن حين الى آخر كان هؤلاء العيد الذين اصبحوا اصحاب السلطان ، يلجأون الى اقصى انواع العنف والشدة مع الثائرين .

وفي ظل السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، راح المرتقة . مرتقة الاميرين سالار وبيبرس يعيئون في مصر العليا فساداً وتخريباً الى درجة دفعت عرب الصعيد الى الثورة ، وكانت عمليات القمع فطبعة . ويقول المقريري : « منذ ذلك الوقت تفرق عرب مصر ويقعدوا قوتهم ، ويروون انه للتمييز بين عرب الصعيد وغيرهم من العناصر كان المماليك يلجأون الى اجبار الناس على لفظ كلمة « دقيق » وكل اولئك الذين يستطيعون لفظ القاف « كانوا يقتلون حالاً ... »

لقد نقلنا هذه التفاصيل التاريخية كثيراً عن صلب موضوعنا . ولكنها كانت ضرورية لتثبت ان سكان مصر العليا ، على الرغم من ان دينهم هو الاسلام ولغتهم هي العربية ، ليسوا عرباً مئة بالمئة . بل فيهم نسبة كبيرة من العناصر المصرية الاصلية .

وعلى كل حال ، فان أسماء الاماكن التي تبدأ بكلمة « بني » مثل « بني مزار » و « بني قرّة » و « بني سويف » هي عربية خالصة .

ونزل على ان قبلة من عرب شبه الجزيرة العربية قد قدمت الى هذا
المكان واستوطنته .
نرى الا يطلق ذلك على مدينة أسيوط وعلى قرية ي مر حصة؟..

أسيوط

برعايه القديسين فيكتور وجرجس

كانت مدينة أسيوط القريبة جداً من مداين أدري وتار، التي تعود
الى فترة ما قبل التاريخ ، القائمة على النيل بين اخين مدينة الاله «من»
ونل العمارنة عاصمة الاله الموحد لاختاتون ، كانت في عهد الامراء
عاصمة اماره شعارها ان آوى مداهم الاله «نوس» . وفي عهد البطالمة
أصبح اسمها «ليكوپوليس» واسمها حياية هليبية كبرى ، ولكن
بعد تسعماية سنة من الاحتلال «يوسي الرومي» ارضي عيها استولى
حياة عمرو بن العاص على مصر اعيها ، استعادت اممية اسمها السرخوني
أسيوط .

وهذا يشك الى اية درجة يتمسك الصعدي بتقايده ويحافظ عليها .
ويؤكد ايضاً ان هاية مصر لم تكن الا سطحية ، ثم ان ليكوپوليس
«اسوط» كانت مسقط رأس الملوك المياسوف الكبير الذي نشر شهرة
مدرسة الاسكندرية الاوطيية الحديثة في الادق .

وفي فجر القرن الرابع رر حدي مؤمن ، من مقاطعة «نسا» هو
القديس ماكوم واسس أول رهبانيات مسيحية وى أدبرة في «تيايد» .
وانتظمت حياة الرهبة على نسق الحياة العسكرية ، وبدأت في مصر
حركة امتدت فيما بعد الى سورية ومن هناك الى سائر انحاء العالم .

وكان ان بني راهب من اخين يدعى شانودا ، قرب أفروديتوبوليس
الدير الابيض الذي كان على رهبانه الذين يملعون انما ومائين ان
يشاركوا في صراع عنيف ضد الوثنيين واليهود ، ثم هاجم هؤلاء التلاميذ

الهيكل بمساعدة الفلاحين الفقراء اصحاب الاملاك الاعباء الذين كانوا
وثنيين . وعندما أراد اباطرة الروم ان يشتوا سلطة بطريرك القسطنطينية
على بطريرك الاسكندرية ، عارض رهبان مصر العليا ذلك بشدة وتمسكوا
بسلطة بطريرك الاسكندرية لانهم كانوا من انصار الصيغة الواحدة ،
ورفضوا اقتطاع مصر ان يخضعوا لمشاركة تدعيمهم القسطنطينية واطلقوا
عليهم اسم « ملكيين » .

انما اليوم لا نجد شيئاً من المدينة المزعومة أسيرط . ونحب ان تزور
الجلس المحاور لنجد البيوت لادوية قور الامراء والكهنة وكبار القوم في
ذلك الوقت .

ويشير المؤرخ العربي المقرئ في وصفه الجغرافيا لمصر ان انه عند
سميح الجبل شرقي بني مر كان يقوم المدير الكبير للقديس بنطراخيراوي ،
حيث كان يحصل بذكرى هذا الشهيد الذي اعدم في عهد ديوكليسيان ،
لقد زال الدبر ولكن ما زالت تقوم في امكاناته كنيسة القديس بنطرا
ابن رومانوس ، والقديس بنطرا هو القديس فيكتور ، احد حمة الاعلام
في المعرفة الطبية التي كان يقردها القديس موريس ، تلك المعرفة الشهيرة
التي كانت مؤلفة من جنود مسيحيين صعبدين ، نقلهم ديوكليسيان
الى هيميسيا « سويسرة » . وحسب الاسطورة الذهبية لجوك دي فوراجين
قصي ديوكليسيان على أرضاء العرفة الطبية لانهم رفضوا ان ينحدوا عن
مسيحياتهم ويقدموا اليها لالهة روما الوثنية .

ويذكر ان القديس موريس قد أجاب الامبراطور بهذا الجواب :
« يا سيدي الامبراطور انما جنودك وقد حمدا السلاح للدفع عن قضية
عامة ، انما لسا حونة ولا جبناء ، ولكن ليس هناك من قوة تستطيع
ان تضطربنا الى ترك ايماننا بالمسيح » وهكذا ، فضلت الفرقة الطبية
بكامها . ثموت في سان موريس آل فالية - قرب الرون على ان
تتخلي عن ايمانها .

والمقرونى من جهة يروي القصة (مؤكداً) وخطر هو اس
رومانس الذي كان وريراً في ديوكاسيان ويصده بالرجال و شجاعة
ويشير ان حمولة الكبره ان الامم تدور التي ظلت في معانهم حتى
يوم اهندائه الى الدين المسيحي .

وامرأتان من الممرات في اشد ارتفاع وير « فكتور المصلح » استعمل
اسم من مر وثمن اسم اسوت التي هي افرات من الممرات ، ويؤكد ان
نستخرج من ذلك ان الممرات صغيرة ذات الامم عرسي كانت في ذلك
الحدث معروف أكثر من العرب التي أصبحت في ما بعد قرية كبيرة .
ومركز ناحية التي تؤاتى من مر حراً .

ومن المحتمل ان قريننا هاهنا يعود اسمها الى جماعة من الفرسان العرب
الذين عسكروا قرب اسبوط ، ذاء اندج العرسي و فيما بعد للدواع عن
هذه المدينة ضد عزوات قبائل « البميس » اضادمين من السود .
أو هجرت بدو الصحراء النوبة ، وتخذ في شجرة نسب التي العرسي
محمد (صلعم) الى حاتم بن قريش وبن عبد مناف ، حاداً آخر
يحمل اسم بني مرة زاب من المستبعد ان يكون فريق من فرسان
هذه القبيلة الحاربية قد قدم الى مصر وعسكر قرب اسبوط . وهناك
في تلك الناحية امكنة متعددة تحمل هي الاخرى اسماء عربية مثل عرب
مطير ، بي رصا . ومن المحتمل ايضاً ان يكون هؤلاء الفرسان قد
أقاموا في هذه الاماكن إقامة مؤقتة ، د كان عليهم ان يفتحوا بلداناً
جديدة سينهم ودولهم ولبدوي لا يختلط مطلقاً بالتراوح من الطبقة
الريفية المحلية .

اشاء مروري في بني مر نعرفت الى احد افراد عائلة سلطان الذي
قال لي انه أجرى احالاً واستقصاءات عن نسب جدوده . وسحب دفترأ
من حبه ليري تسلسل اربعين جيلاً تربط جمال عند اناصر بالذي
محمد (صلعم)

وهذا التسلسل لم يفكر فيه الرئيس جمال عبد الناصر مطلقاً ، لأنه لم ينس الأثر السيئ الذي أحدثه لدى المصريين يوماً الزعم القائل بأن الملك السابق فاروق هو من نسل النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، وهذا الادعاء الوقح آنذاك كان في نظر المؤمنين استهزاء بالدين الاسلامي ، لأنه ليس من احد يجهل ان محمد علي كان مملوكاً ، البانياً ، .
ثم ان فاروق من جهة امه كان مخلوط النسب بدم غير عربي ،
أو على الاصح ، بدم الكولونيل سيف المصري الذي أصبح سليمان باشا بعد اعتناقه الاسلام .

والزعيم الوطني عرابي باشا الذي وُلد في إحدى قرى المنطقة الشرقية كان يقول بأنه يعود في النسب الى أسرة النبي العربي . وهذا القول ليس بعيداً كل البعد عن الواقع ، لأن مطقة الرقازيق - بليس ، هي طريق الغزوات المتعددة من شبه جزيرة العرب ، وقد احتلتها مراراً القبائل العربية التي جاءت لتقيم في مصر . وصفات عرابي المتحمس الفصيح الميال الى المخطوط هي صفات عربية خالصة ، تختلف تماماً عن الرهو الحذر والارادة الحديدية التي يتميز بها ابن الصعيد . ولم يفكر عبد الناصر حين الفلاح الذي أصبح موطئاً ، ولا أي من ابائه ، ولا جمال عبد الناصر بصورة خاصة في ان يعود بنسبه الى النبي العربي .

وقبل ان نترك بني مر لا بد من الإشارة الى أنه اذا كان الدبر الكبير قد بني على اسم القديس بقطر الغبراوي المحارب الذي لا يقهر - حامل العلم القديس فكتور - فإن كنيسة بني مر قد حملت اسم قديس عسكري هو القديس جرجس الضابط في الجيش الروماني . وقد ولد هذا في آسيا الصغرى واشتهر بقتل اثنين الذين زرع الرعب في إحدى متاعصات ايبا . وقد طلب اليه ديوكلسيان ان يتخلى عن إيمانه المسيحي مدال الكبير من الامحاء ورفض ، وفضل الموت على الحياة وتنتبه

الذبايح للآلهة الوثنية .

ان اقباط بني مر حلهوا ويخامون شديدين . ومخاريين . والمسلمون
هم من نفس الطيبة وسرى انه على مضافة بضعة كيومترات من هناك
في ثكنة مقنات ، ولدت حركة الصراط الاحرار الذين قدموا بانتورة
المصرية .

انتقالات موظفي البريد

الاسكندرية ، اسبوط ، الخطاطبة

يتميز أهل ، سعيد بالميل الشديد الى التعاون الوثيق ، وفي داخل العائلة يعمل الجميع متعاونين في شتى الحقول ، لذلك ما كد عبدالناصر حسين الموطع الشاب في البريد يستقر في الاسكندرية حتى استقل أحاه خليل حسين الذي كان عليه ان يتابع دروسه الابتدائية والثانوية ، الامر الذي أتاح لخليل حسين ، فما بعد ، ان يصبح موظفاً في الاوقاف . لقد كان خليل ثالث المتحررين من عبودية الارض في عائلة سلطان ، اذ بقي في القرية ثلاثة اخوة آخرون هم : عبدالباسط الذي قضى سنة ١٩١٨ ، وعطيه حسين ، وطه حسين ، وهؤلاء بقوا في القرية لرعاية بضعة الفدادين التي يملكونها .

بعد زواجه في مستهل سنة ١٩١٧ من فهيمة ابنة التاجر المقاول محمد حماد ، وجد عبدالناصر حسين نفسه مكلماً بإدارة مكتب بريد باكوس ، إحدى صواحي الاسكندرية ، وأقام بالقرب من الرقم ١٨ شارع الدكتور قواني ، في مسكن صغير مشمس ، مؤلف من خمس غرف ، وله حديقة صغيرة ، أي أنه كان يستحق ان يدعى المرء بحريه .

وكان في الاسكندرية آنذاك شيء من الريف . لأن المديني كانت بعيدة عن بعضها . تقوم بينها أشجار السجل وغيرها من الاشجار . حيث يعيش الياام .

لقد ولد جمال عبدالناصر سنة ١٩١٨ . في هذه البيئة المتواضعة الصحية المضيفة التي لا تدل على الفقر ابدأ . وكان في امكان الوالد ان يستقل أفاربه واصدقاءه في عرفة الاستقبال الصغيرة الزدانة بصور لعائلة : والآيات اقراآيه امكتوبة بطريقة فنية . وقد تساءل كيف استطاع هذا الموصف اصغير براته الذي لا يتعدى ستة جبهات شهرياً ان يدفع بدل انجار هذا المسكن ويحقق على عائلته لتعيش عيشة ميسورة مع انه لم يكن عنده أية ثروة شخصية ؟ فمن الواضح ان والد زوجته كان يساعده . ولا بد من ان تساءل ايضاً كيف كانت الاسكندرية عام ١٩١٧ ؟

لقد وصل عدد سكان الاسكندرية الى نصف مليون نسمة في العهد الروماني . وتعرضت اثر ذلك الى العديد من الحصارات والنفورات والحرائق . والنهب . الى درجة أرغمت سكانها على التفرق . وعندما نزل نابليون فيها سنة ١٧٩٨ لم تكن سوى مدينة صغيرة ، تركبة الطابع لا يتعدى سكانها ستة آلاف نسمة .

وفي القرن التاسع عشر شهدت تطوراً كبيراً . فقد أمر محمد علي ساء استلوله فيها . وقناة المحمودية أتاح إعادة زراعة الاراضي المحيطة بها وإعادة ربطها النوري باشاهرة . وفي عهد اسماعيل كانت هذه المدينة تضم مائتي الف نسمة . بينهم حسين الف اجنبي قدموا من اليونان بصورة خاصة ومن ايطاليا والمشرق وشمالى افريقية .

وفي سنة ١٨٨٢ تهدم قسم كبير من المدينة بعد القصف والحرق الذي لحقها على يد الأحيز . غير ان إعادة البناء واتساع المدينة بما جبرعة فائقة . وفي سنة ١٩١١ كانت تعد اربعة الف نسمة .

اقام فيها عبد الناصر حسين الموظف البريدي التاسع من العمر تسعة وعشرين عاماً مع زوجته في بيته الجديد ، كان مكنه البريدي يقوم في وسط تحاري لضاحية مزدهرة يربطها خط القاطرات الكهربائية بوسط الاسكندرية المدينة الديناميكية الضاحكة .

١/ وعندما بلغ جمال عبد الناصر الثالثة من عمره ، راح يفتش له والده عن مدرسة يدخله فيها فوجد في حي محرم بث حديقة اطفال طمع الى ان يضع ابنه فيها ، ولكن الحكومة نقلته الى اسيوط ، كان ذلك في سنة ١٩٢١ ، لقد وجد عبد الناصر حسين نفسه يعود الى مدينة قرية جداً من مسقط رأسه .

٢/ وبعد اقامة سنتين في اسيوط تضاعف خلالها عدد العائلة الصغيرة ، نقلت مجدداً ولكن في هذه المرة الى مكان متواضع ، هو الخطاطبة ، وكان على عبد الناصر حسين ان يبقى هناك مدة ثماني سنوات من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٣٠ .

٣/ لم يكن في هذه البلدة الصغيرة الفقيرة المائتة من مدارس سوى مدرسة بسيطة تتبع مديرية سكة الحديد ويؤمها ابناء الموظفين . ان مسألة ابناء الفلاحين الى المدرسة لم تكن واردة في ذلك الحين

٤/ لقد قصدت بلدة الخطاطبة على الطريق المحاذية لقناة المصورية التي تمتد حتى مسافة بسيطة من الدلتا ، ثم تنحرف لتحاذي الصحراء على مسافة ثلاثين كيلومتراً . ان القناة العريضة تروي الجبائن الغناء ، وبساتين النخيل ، وحقول السدورة ، والبرسيم ، وهناك وجدت هراً من الليمون على حافة الطريق ، نُقِلَ من البستان المجاور ليُعبَأَ في صناديق ، وتوقفتُ هناك ، فاذا بي اجد مُصدراً فلسطيني الجنسية من قطاع غزة يوضّب الأثمار فيلفها بورق ناعم لتصديرها الى ألمانيا . في سنة ١٩٢٣ لم يكن هناك لا قناة ولا بساتين . اشجار النخيل وحدها على حافة الصحراء كانت ترتفع بسعفها الخضراء باغبرار محاطة بزئار احمر من

و يوم تطورت الخطاطبة ونفذت بضال محاورها لمدرسة التحرير التي اقامها عبد البقرة في الصحراء وكنته الملايين . ان المدرسة اربعة لمدرسة مدكة الحاد لم تكن تضم سوى متين تلميذاً ، واليوم تؤوي المدرسة الابتدائية اربعة تلميذ . ولاية سلى ارفع من توسيعها لم تعد تكتفي لاسبعة هذا العدد التزايد من التلاميذ ، لذلك قسحوا التلاميذ الى قسمين قسم ياتي الى المدرسة قبل الظهر ، وقسم بعد الظهر . ومن ارفع سنوات انتقلت من المدرسة الى روية لتتبع لاتباء المنطقة ان يتابعوا دروسهم حتى الساعة عشرة من عمرهم .

لقد استقلت نخداوة بالغة في مدرسة الخطاطبة الابتدائية ، والصبية والبنات الذين كانوا يلعبون في السبع وقفوا صفاً واحداً ليشتدوا معاً نشيد التحرير قبل توجههم على صوت اقبل الى صفوفهم . دحماً عرفة المدير التي تزدان جدرانها برسوم التلاميذ المعبرة الحيوية ، هذه صورة تمثل سوق الخطاطبة بما فيه من فلاحات يحملن على رؤوسهن اطاقق الدودة ، وامامهن الخبز الصغيرة محملة بالحضر ، وتلك مدخة مصع حلوان لصهر الحديد الذي يعتبر مفخرة العهد الجديد ، هذه بور سعيد وقد ملئت سائوها بمطبخين يتهاوون تحت مظلاتهم البرتقالية ثم يتساقطون صرعى برصاص المناضلين المصريين ، هذه امرأة تخنطن طفلها راكعة في الصحراء تتوسل الى الله كي يعيد اليها بيتها وارضها انها لاجئة فلسطينية ، والصلاب كل يوم يرددون : ان اسرائيل قد طردت مايدون اخ عربي من ديارهم لاشعال نار اثار ، وهذا جندي يبتقر بطن حدي اجبي ، وتحت الصورة كتبت هذه الجملة التي اطلقها جمال عبد الناصر .. « اما الفرنسيون فترك امرهم للجزائريين .. »

ان ابناء الخطاطبة جميعاً يعرفون ان الرئيس قد اقام في قرينهم والتحق بمدرستهم مدة سنة ، الا ان المدرسين قد تغيروا ، لذلك كان

عسباً ان بحث عن احد موصي سكة الحديد ، وهو يملك بيتاً من
اسوب المطلي بالكس ، كان سنة ١٩٢٣ بضم مكتب البريد ومسكن
مدير المكتب .

ان لاشد الى الخطاطبة دلسة احد الماصر حسين ، بعد الاسكندرية
وسبوط كان صرمة قاسية له وثناء فيها مدة ثمانى سنوات يعني ان
هذا المواطن الاى حاء من بي مر . لم يكن له اصدقاء ذوو نفوذ ،
ولا من يدعمه في مديرية البريد .

وبالسنة لروجه اشبه است هبة اسه المتناول محمد حماد ، كان
وجودها في هذه ابلدة شبه مسمى ونعرة قاسية لها لقد كانت معتادة
على الحياة الدلسية المنطقة الدسوة في الاسكندرية التي صدت مد تأسيسها
مدينة نصف هلينية .

واذا كانت اسبوط تدو بالسنة الى الاسكندرية مدينة داخلية صغيرة ،
وان الخطاطبة كدت قرية محرومة من كل شيء ، على حافة الصحراء
كان يمر بها خط حديدي ثانوي يربطها بالقاهرة بدمهور - وبؤمن
المواصلات بين القرى الواقعة غربى النيل ، ومن الخطاطبة بخرح الخط
الحديدي الضيق للشركة الانجليزية « صالت اند صودا » - الملح والصودا -
الذي يتوغل في الصحراء مسافة ستين كيلومتراً ليصل الى واحة وادي
الطورون ، بحيراتهما المشعة بالملح والطورون ، ووادي النطرون هذا كان
يسمى من قبل المسيحيين الاقدمين صحراء « سبته » واليه كان يلجأ
الاقباط الذين بنوا خلال القرن الرابع عدة اديرة محصنة .

لا اعتقد ان الموظف البريدي عبد الماصر حسين كان يهتم باثريات
وادي - الطورون القبطية ولا بخرائب نوكراتيس الواقعة في نصف
الطريق الى دمنهور ، ويجب الا ننسى ان نوكراتيس قبل الاسكندرية
هي اكبر مستودع يوناني في مصر ، وقد تأسست في عهد الفرعون
« سامبيك » في القرن السابع قبل الميلاد ، وكان لها ملاعبها ومدارسها

وهياكلها للآلهة زوس ، وحيرا ، وابولون .

ولم يكن يخطر في بال عبد الناصر حسين او احد انشاء الخطاطبة او علماء الآثار المصريين والنمساويين سيكتشفون بالقرب من ادفية في هريعدا ، و كوم حمادة ، مركزاً من مراكز ما قبل التاريخ المشهورة عالمياً ، ومقبرة الدولة الوسطى كلاً ان مشاغل عبد الناصر حسين كانت اكثر واقعية . ولم يكن لبكر ليهمة الا ان يرود ابنه جمال بالعلوم الضرورية التي تتبع له ان يصحح موطعاً في وادي النيل ، حيث يتزايد اسكان بكثرة . وحيث يتعرض الموظف الريدي للنقل من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، بناء لرغبة مديرية الريد .

كان جمال قد التحق بمدرسة اسيوط الابتدائية ، وتابع في مدرسة مديرية سكة الحديد في الخطاطبة دروسه طيلة سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ . ثم ارسل الى القاهرة حيث يُقيم عمه خليل حسين الذي ادخله الى المدرسة الابتدائية في سوق النحاسين .

مدرسة ابتدائية ثلاث مساجد لاطين المايك دلالة

ارسل جمال عبد الناصر في السنة السابعة من عمره الى العاصمة ليعيش في كنف عمه حاييل حسين ، وعمته هذا موظف في وزارة الاوقاف ، وكان لا يكتفي بالعيش من رانته المتواضع لذلك كان يستفيد من اوقات فراغه فيعمل في التجارة ، لا سيما في سمرة الاراضي ، وبما انه لم يرزق اطفالاً فقد حول كل عطفه وحنانه واهتمامه الى ابن اخيه .

لقد حاولت التعرف الى خليل حسين للحصول منه على تفصيلات عن ابن اخيه في بفاعته فلم اجد ، لقد اتصل به مراراً تلفونياً من قلبي احد اصدقائي المصريين ، ان خليل حسين الذي لم يعد موظفاً ، بل نائباً عن ابنوب في مجلس الامة ، كان منهمكاً جداً في امر تأليف الاتحاد القومي في مصر ، لذلك هو في سفر دائم ، انه اليوم في اسبوط ، وغداً في القاهرة لاربع وعشرين ساعة بالقرب من زوجته الاولى ، وبعد غد في الاسكندرية حيث تُقيم زوجته الثانية ، وفي مساء احد الايام اجاب صديقي الذي طلب منه موعداً لي : « يجب ان اتناول الفطور مع الرئيس غداً ، فاذا سمح لي بالمقابلة اكون مسروراً بلقاء السيد فوشيه » . وفي اليوم التالي قال على الهاتف : « ان الرئيس لم يُمنع ولكنه مضطرب الى الذهاب الى اسبوط بعد بضع ساعات » . وبعد ذلك

اصح من المستحيل اللحاق به .. وبعد ان قطع صديقي امله من الهاتف ،
حاول ان يخبرني بانه لشرح له رغبتي فوجدتني على مدخل البيت شرطياً
اخره به لا يستطيع ان يسمح لاحد بالدخول لانه على دن مسق ،
وهكذا تخلت انا وصديقي عن فكرة مدخله ذلك ابواب ، بعد ان
تعذر الاجتماع به .

تقوم المدرسة التي توضع فيها خلال ابن اخيه في احملى احياء
القاهرة على خطوات من السوق التجاري حال احالي بالقرب من
جامعة الازهر .

بعد ان نحد المرء سوق الجامعة الذي تردان محلاته وواجهاته بالخلي
يصل الى سوق السحاسين ، وهناك في زاوية شارع المسمى بيت العاصي ،
بالقرب من القصر القديم الذي بابه الساتل بيرس ينتصب بناء بواقفه
الواسعة المحدده ، انه بناء مدرسة السحاسين الابتدائية التي قضى فيها
جمال عبد الناصر ثلاث سنوات .

ان حواء الحبي مؤثر . فمن جهة نرى مسجد للسultan نعم الدين ،
وقايا مسجد السطاب بيرس ، وقبة المدرسة بالضبط تقوم بمجموعة من
مساجد ومقابر للمماليك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

هذا اولاً جامع السلطان قلاوون الذي ضم اليه مستشفى كبير يدعى ،
المارستان ، ثم يأتي جامع ابنه الملك الناصر ابن قلاوون الذي تولى
الحكم ثلاث مرات .

ان المسجد مدهش حقاً ، وفيه اربعة اعمدة من الغرانيت الوردي ،
متدحة مع اربع دعائم مربعة ضخمة من الحجر الاصفر بشكل متمن
تحمل القناطر المصنوعة بشكل دائيلا ويُنير صف من النوافذ النوامة
المدة المحراب الرابع . وفي الوسط كوة من الموزاييك محاطة باطار
من الخوايا ارحامية الدفينة تقوم على اعمدة تشبه بتيحانها الكوروس .
ان السلطان قلاوون مشهور في التاريخ ، لقد سحق سنة ١٢٨١

جمافل المغول قرب حصص بعد ان استولى هؤلاء على حلب ، وهددوا سورية ومصر بالدمار . وابنه خليل هو الذي هزم الصليبيين واستعاد منهم عكا الحصينة ، آخر معقل لهم في الشرق ، وانه الآخر محمد ناصر اصبح سلطاناً وهو يافع ، ولم يكن في البدء سلطاناً الا بالاسم ، وكان يحكم بالفعل الاميران القويان سالار وبيه س ، الذين تميزا بالقسوة ومطاعة ، وقد سبق واشربا الى هاتين الصفتين عندما تكلمنا على اضطهاد المماليك لعرب الصعيد .

ويقول المؤرخون ان هذين الاميرين قد ارغما السلطان الناصر ابن قلاوون على ائثارل عن العرش . وبعد موت بيبرس استعاد الناصر عرشه وسجن سالار في زنزانة مظلمة ، وتركه يموت من الجوع واعتش ، ويروي انه ارسل الى زنزانة السجن ثلاثة عبيد يحملون ثلاثة اطاق معطاة بالحرير . وعندما كشف سالار الاعطية وجد ان الطبق الاول يحوي فضة ، والثاني حجارة كريمة ، والثالث لآلي ثمينة . وفي اليوم الثاني عشر وجدوا الامير سالار قد فارق الحياة واسانه تشد على اصابع يديه .

لقد حكم الناصر ابن قلاوون مصر فترة طويلة كنهها اجماد وانتصارات ، وفي عهده كسرت شوكة المغول مرة ثانية ، بعد ان حاولوا العودة الى سورية ، وعلى اثر هذا الانتصار اعدت له القاهرة استقبالا حاداً منتظم الطير . فاقبحت اقواس النصر في الشوارع وازدانت البيوت بالحرير وغطى شارع باب النصر بالسجاد . والامرى الذين بلع عددهم الف وستائة كانوا مكبةين بالحديد يمشون امام السلطان يحملون في اعناقهم رؤوس رفاقهم الذين قتلوا اثناء المعركة .

والحديث عامة هم هؤلاء العبيد التركمان الذين ارتقوا من مرتبة الجود المرتقة الى سدة الحكم ، وقد كتب المقرئ عيسى عنهم يقول ... لا لقد ارعوا مصر في مصر ، هاجموا اسكن وخسبهم وسبوا رؤسهم

وحظفوا بساءهم واولادهم . دون ان يحرقوا احد على معهم وكانوا
يدخلون عنوة المنازل حتى الى الحمامات ويترعون منها الساء بالقوة .
وقد ارتكبوا حماقات وقاموا باعمال محرمة ما كان المريح ليعملوها لو
اتيح لهم ان يتحكموا بالبلد :

وكان بين الممالك الذين يرجع اكثرهم الى التركمان والجر كس
عناصر بقلانية . وحتى يونانية وايطالية وجرمانية ، واذ كانوا قد
امنازوا بالعنف والفسوة والشدة . فهذا لم يمنعهم من بناء امبراطورية
مترامية الاطراف . وتشيد المساجد الرائعة . وقد وصف ابن خلدون
عاصمتهم بما يلي ... ان من لا يزور القاهرة لا يعرف عظمت
الاسلام .. انها عاصمة العالم وجنته ومجمع الاجناس البشرية . وعرش
الملك . انها مدينة مزدانة بالقصور الفخمة وتكيات الدراويش والكلليات .
تشتع منها انوار المعرفة .

والى جانب جامع السلطان الناصر ابن قلاوون يقوم جامع السلطان
الشركسي برفوق ، وبالقرب منه نبع عبد الرحمن الذي تمثل فيفساؤه
صورة شاملة لمكة المكرمة .

مما لا ريب فيه مطلقاً ان التلاميذ الصغار في مدرسة النحاسين
الابتدائية كانوا لا يعلمون الا القليل عن هذه المباني التاريخية التي تمثل
اجداد الحي . ولكن مهما يكن من امر هذا المحيط العجيب فلا بد له
من ان يترك اثرأ له في خصال الاولاد الذين يشبتون فيه .

لقد بدا الاسلام لهم كحقيقة تاريخية مجيدة ، رغم فترة الانحطاط
التي تلت حكم الخلفاء السلاطين .

ان باب النصر ، وباب الفتوح ما زال قائمين عظيمين يابراجهما
الضخمة . وتوشها الكوفية التي تعود الى عهد الفاطميين ، وقد تحولت
الى قلاع في ظل الاحتلال النابوليوني واصبح في الامكان الانتقال من
باب الى آخر على السور .

ومدرسة المحاسين الابتدائية التي تعلم فيها جمال عبد الناصر اصححت
مدرسة بنات ولم اجد فيها أي اثر للرئيس في عهد التلمذة ، والمدير
الذي كان يتولى شؤونها سنة ١٩٢٤ توفي ، وحل محله يعيش اليوم متقاعداً
على حساب الدولة بعد الخدمات الجلى التي اداها في حقل التربية والتعليم .
وقد استطعت ان اقلبه ولكنه لا يعلم شيئاً .

حسب ما جاء في رواية محلة المصور عن جمال عبد الناصر بهم انه
في سن السابعة او الثامنة . كان قوياً ، ودا فامة اطول من قامات
رفاقه وكان ميالاً الى الوحدة والتأمل ، كان يميل الى اهمال مأكله
ومشربه وملبسه ودروسه ، وأمه التي كان شديد لتعلق بها ، كانت
تقلق عليه وتسهر على إطعامه وتدريبه .

كان جمال عبد الناصر يدهل والديه بأفكاره الجريئة وغير الاعتيادية ،
فهي احد الايام أنشاء اقامتهم في الحظطة وعلى مائدة الطعام . سأل
والده بحسوبة .. « والدي لماذا نأكل نحن اللحم ، بينما الرعاية الذين
يربون الغنم لا يأكلونه ؟ .. »

توقفت الوالد عن الطعام وتأمل ابنه ، ان شقاء البدوي الذي لا أرض
له ليس في نظره شذوذاً ولم يلمت له انتباهه لقد تعود ان يرى
اصحاب الاملاك الميسورين يأكلون كل يوم والرعاة النائيين يقتاتون
بقطعة من الخبز الاسود مع قليل من الجبن والاعشاب ، والموصف الصغير
الحسن الهدام كان أقرب الى الملوك من الراعي ، فهو يأكل جيسداً
ويشكر الله على ذلك ، دون ان يحتاج على عدم توزيع ثروات توزيعاً
عادلاً ، لذلك لم يجد ما يحجب به ولده سوى قوله .. « هكذا صنع
الله العالم ... »

غير ان جمال عبد الناصر لم يقتنع بهذا الجواب ، ونمت في نفسه
روح الانتقاد . وفي القاهرة عاش منكمشاً على نفسه لا يميل الى مشاركة
رفقه في العائهم ، لانه كان يشعر بأنه أكبر سناً منهم ، ومع ذلك

سكن في حاجة الى الاتصال ، لذلك كانت رسائله الى أمه محلا يعبر
فيه عن مشاعره ويطرح أسئله ، ويبدى قلقه أمام السوارى الاجتماعية
التي كان يشعر بها في المدينة الكبرى حيث شاء السبيل المحرومين فيها
يجاور بذخ الباشاوات وترفهم .

طالب محروم من حنان الام

كان حمل يقرأ بلهفة وشوق الرسائل التي ترده من والديه ، وكان
يتبادل الرسائل مع أمه بصورة خاصة ، وكانت معه است فهمية محورة
بأنها أوسع . وأكثر من والده ، كانت تفهم نفسيته الفلقة وتخوفه
وحذره . وعندما كان يعود الى الحضانة أثناء العطلة المدرسية كانت
تحيطة بحماها وعصمتها ، وتخرجه بذلك عن انكشاه فيوح ها بمكثونت
نفسه ، وعندما يكون في القاهرة ، كانت تكتب له دائماً . ولا يستطيع
ولد منه في الثامنة من عمره على الرغم من عطف عمه ، الا ان يشعر
بالوحدة في هذه المدينة الكبيرة ولو كان في بني مر لوجد حوله كل
أبناء عائلة سلطان ، واو كان في الاسكندرية لوجد نفسه محاطاً بعائلة
أمه . ولكنه في القاهرة كان في غير سريه . وكالغرسه التي تنقل من
المشتل الى البستان ، كان في حاجة الى العناية والعطف ، وكل رسالة
من والدته كانت بمثابة نفحة من الاوكسجين تفتح له قلبه وتجدد
له نشاطه .

رحمه

وفجأة في أواخر نيسان سنة ١٩٢٦ ، انقطعت رسائل أمه . وكتب
له والده يقول بان الوالدة منهمكة في أمور البيت وتربية أخويه الصغيرين :
عز العرب والليبي . وقد ذهبت من أجل ذلك الى الاسكندرية حيث أهلها .
لقد اكتاب الصبي ولم يرد ان يفهم شيئاً من كل ذلك واستمرت
الكتابة لها .

ولدى انتهاء السنة المدرسية عاد الناحيد الى قرية الخطاطبة ليكتشف
فجأة ان أمه قد ماتت ، لقد اصابها المرض في نكث القرية السائية ،
ففتت الى الاسكندرية لتتلقى العناية اللازمة ، ولكنها لم تنج ، وفارقت
الحياة ودفنت ، واحمى الوالد هذا الخبر المتجمع عن ابنه جمال خوفاً
عليه في غربته .

لقد كانت الصدمة قوية ، بالنسبة للصبي الصغير . ولم يستطع ان
يقنع بأن والدته ذهبت الى غير رجعة .

✓ ويروي المقربون منه ان والده في أحد الأيام فجأ ابنه البالغ من
العمر تسع سنوات بثمر حنظل في الأرض قرب المنزل ، فطلب اليه ان
يطمرها . وفي اليوم التالي رأى الوالد الحنظل قد اردادت عمداً ، وكان
جواب الصبي أعرب ما سمع منه . اذا قال له ابنه ... « لقد أردت
ان ارى ماذا تحسب هذه الارض اني منها خرجنا واليها نعود . » فوقف
الوالد مذهولاً امام ابنه لا يدري ماذا عليه ان يقول .

ان موت والدته المكر كن فاجعة لجمال ، فقد اضطربت نفسه
واظلمت الدنيا في وجه هذا اليافع ، وفي كتاب « ثورة على البيل »
يروي ابور السادات كيف عرف جمال عبد الناصر سنة ١٩٣٨ ، في
شركة مقببات حيث يزاول الملازمون المتخرجون حديثاً في الكلية الحربية
تمارينهم الاولى على السلاح .

ومما يقوله في هذا الصدد : « لقد كنا جميعاً نتسب الى العوج نفسه ،
وكان جمال عبد الناصر يعيش معنا ومثلنا ولكنه كان يبدو كثيباً ، دائم
التفكير ، رزياً ، متحفظاً ، وكما لا نكاد نبدأ في المزاح حتى يقاطعنا
ليعيدنا الى الأمور الجدية . ان موت والدته كان جرحاً في نفسه ،
وكان دائماً يحمل هذا الحزن الذي جعله يحس مبكراً جداً بالآلام
الانسانية ويعود نفسه على تحمل غائلات الدهر بثبات ، ان قلبه يعمر
بالمحبة واعطى على جميع اولئك الذين يتألمون ! »

وهكذا اذن ، بعد مرور اثني عشرة سنة على وفاة امه . كان
جمال عبد الناصر لا يزال يحمل آثار الحر والياس الندين بعثها هذا
الموت المكر في نفسه الفنية والتعزية التقليدية ، ولايمان بوجود حياة
ثانية يعوض فيها الانسان عما صادفه في حياته هذه من أم وحرر ، كل
ذلك لم يكن ليُسمع جمال عبد الناصر الواقعي بالصر انه لم يكن من
اولئك الذين يستسلمون بسهولة وبسرعة الى القول « ما كتب قد كتب »
ويتعززون بسرعة ، لقد شعر بالموت بكل ما فيه من قساوة وقحة ، وبعد
ذلك ، بدأ في نشاطه الثوري . كان جمال عبد الناصر يستخدم كل ما
لديه من نهوض شخصي للحيولة دون الحكم بالموت على أحد ، حتى
تكون الثورة المصرية أقل الثورات دماء .

ثورة التلامذة

في صيف سنة ١٩٢٨ أهدى جمال عبد الناصر سنته الثالثة الابتدائية ، في مدرسة الحاسين ، كان أبوه لا يزال يدير مكتب الخطاطة للبريد ، فأرسل له إحدى عمساته من بي مر إلى القاهرة لكي تقوم برعايته . ثم تزوج الأب ثانية وورث أباً رابعاً سماه شوقي . كما ورث غيره من بعده . وأصبح عبد الناصر والداً لأحد عشر ولداً

أن موت الأم ، ودخول روجة جديدة إلى البيت حملاً حياة جمال سوداء قائمة . نعم أن عمه خليل كان يحبه كثيراً ، ولكن عمله في وزارة الأوقاف كان يضطره إلى السفر أحياناً إلى المحققات لذلك عندما بدأ جمال سنته الرابعة الابتدائية أرسل إلى الاسكندرية ليعيش في كف جده لأمه محمد حماد وينتهي سنته في مدرسة العطارين .

وفي حريف سنة ١٩٢٩ نقلت مديرية البريد عبد الناصر حسين إلى مدينة « كوم حمادة » الصغيرة الواقعة شمالي الخطاطبة ، فنقل ابنه من الاسكندرية وألحقه بتلميذاً « داخلياً » في مدرسة حلوان الثانوية ، جنوبي القاهرة . ثم نقل الوالد من جديد إلى الاسكندرية ، وصار في إمكانه أن يعيش مع أسرته من جديد ، فالتحق بمدرسة رأس العين الثانوية . وفي هذه المدرسة فتح جمال عبد الناصر عينيه على السياسة ، وكلفه ذلك

ان نسي عدة صربات بالحرارة أثناء مذاكرة قام بها طلاب ، كى كسبه
الحرمان من الاستراخ في الامتحانات النهائية لاسبب ادرسيه .

✓ لقد دهش الناس ، لا سيما المذكورون منهم . من الدور التي لعبه
اطلاب ، خاصة الامامة الباقعون في معركة مصر من اجل الاستقلال ،
واوعدوا ان المادرة لا يد من ان تتبدل الى الاحيال الخفية ارا تقيست
همة الكبار لزال دهمتهم .

بعد ثورة عرابي باشا الثامنة . سنة ١٨٨٢ . حيا مشعل الوطنية في
مصر مائة ربيع قرن . في ذلك الحين عاد من فرنسا شاب في العشرين
من عمره يدعى « مصمصى كامل » . درس الحقوق في نحو من الحرية ،
وعلى يديه اشتعل هيب الحركة الوطنية من جديد . لم يستطع هذا الشاب
استغف اسائر ان يحتمل اذل والعوديه الدين كتلا مصر ، فأخذ يكافح
وبياضل . وبانصباله الشخصية وصحيفته « اللواء » استطاع مصمصى
كامل ان ينجي أمل الاستقلال لدى الجيل الشاب الذي تأثر ايضاً من
ماحية أخرى بالرسالة الروحية (السامية) التي حمل لواءها جمال الدين
الامعاني ، والشيخ محمد عبده . وعندما حصل حادث دنشواي وأعدم
اربعة من الفلاحين وجلد عشرون غيرهم ، كان الشباب أول من تحرك
في مصر ثم نعتهم البلاد كلها وأرغمت اللورد كرومر على تقديم
استقالته .

في سنة ١٩١٩ هضت مصر تطالب بالاستقلال مستندة الى حق
الشعوب في تقرير مصيرها ، هذا الحق الذي أعلنه الحلفاء خلال الحرب
العالمية الاولى . فنفي سعد زغلول مع ثلاثة من رفاقه الى مالطة .

وكان ان هبت البلاد هبة واحدة . والواقع الذي لا ريب فيه ان
الشباب كانوا أكثر المتحمسين للتظاهر ضد الاحتلال ، وقد تظاهر آشد
أكثر من ثلاثة آلاف طالب في شوارع القاهرة . ولم تتمكن رشاشات
روسل باشا من معهم . على الرغم من ان الرصاص حصده منهم في

في رواية « عودة الروح » التي قرأها جمال عبد الناصر بشعف في
بعد ، وصف الأديب توفيق الحكيم هذه المعجزة التي حوت فيها
مصر واديها ، انصرفت إلى دروسهم ، ومشاكل قلوبهم ، فحده إلى
وطيبين متحمسين ، يسهمون مساهمة فعالة في ثورة الشعب المذلعة
فقال :

« كان محسن في صباح يوم المشهود في فصله ، وإذا أحد التلاميذ
قد أقبل وهو يلثث .. وكما صادف في طريقه أحداً لط بضع كلمات
مريرة رابحة حبيبة فتعير وحوه السامعين . حتى بلغ الخبر مسامع
محسن وما كان يفكر فيه وفي معناه حتى ألقي المدرسة بأجمعها حوله
تنهائس وتنشائس وتنساءل ! ودق الجرس فلم يأبه له أحد . أمر عجيب
إذ ذلك في تاريخ المدارس .. ان يحتشد الطلبة هكذا وفي ملاحظهم معنى
واحد هائل ، يدعون إلى المدرس فلا يجيبون .. كأننا هو يوم القيامة .

« كان الجميع يتحدثون عن رحل لم يسمع به محسن من قبل ..
ولكنه أحس في لحظة ان حياته يجب ان تُعطى لهذا الرجل . وإذا
الحماسة تبلع به إلى حد الخفاف في رفاقه التلاميذ ان اتركوا المدرسة
واخرجوا للملافة زملائكم طلبة المدارس الاخرى .. فان الأمر أجل من
ان تشتعل بغيره الساعة . ولعل هذا كان نفس احساس رفاقه .. فاذا
الجميع يهرعون إلى باب المدرسة . ولم تمض دقائق معدودة حتى كانت
المدرسة بأجمعها سائرة في الطريق .. وخطر لمحسن ان يذهبوا للملافة
مدرسة الهندسة حتى يجتمع بغيره ، ولأن هذه المدرسة قريبة منهم .
إلا أنهم ما كادوا يسبرون قتيلاً ، حتى لمحوا حشداً من الطلبة مقبلاً
عليهم ، فتنبهوا فاذا هم طلبة الهندسة خرجوا ايضاً ، وإذا - محسن -
لدهشة يرى على رأسهم عمه عمده ياوح بذراعيه ويهتف صائحاً ، وقد
احمر وجهه وقطب حاجبيه . وفي ركن صوته ما يدل على هياج عظيم

عظيم . وانضمت المدرستان احدهما الى الاخرى . ومارتا لملامه
المدارس الاخرى

و واقربت محس من عده ، ووضع دراجه تحت يده . ومار ماما
يبتلع .. وبين الصحيح والاصوات الراحدة ان عده يسأل محس
خارجهم اراي ؟ . فيجيب محس بكل بساطة ربي ما خرجتم ثم
والعل هذا السؤال وذك الحواب تودلا مراراً عدة بين جميع الطلبة
وجميع المدرس . وبين كل صفات الشعب ان كل فتاة وطائفة
كانت تحت نفسها لاداة في بياء المدرسة بالخاصة لمنهية الحبيبة
ولم ينهم احد اد ذك ان عده ممتعة سمحت في قلوبهم جميعاً في
الحظة واحده . لأهم كلهم اسم مصر هم فب واحد .

« ما عات شمس ذك النهار حتى أمست مصر كذبة من نار وود
اربعة عشر مديناً من الامس لا تدر اي شيء واحد الرحل الذي
يعبر عن احساسها . والذي يمس يصاب بفتها في الحرية والحياة قد
أخذ وسجن وثقي في جزيرة وسط البحار .

« وكذلك وروريس الذي برل يضح ارض مصر ومطابها الحية
وامر احد وسجن في صندوق وثقي مقدماً إرباً في اعماق البحار .
وانت التاهرة رأساً على عقب . فعدت الحوايت والمانبي وسبوت
وقصمت المواصلات وعمت المصاهرات ، وقوم نفس ارباح في جميع ارجاء
الاقام والارباب . وان الملاحين لاشداء لأشد من أهل المد في اصهار
البحارهم ومنهم . فلقد قطعوا الخطوط الحديدية ليدعوا وصول
القطارات المسحقة . واحرقوا دور البوليس .

لقد أجبرت ثورة ١٩١٩ الانجليز على اطلاق سراح سعد زغلول
ورفاقه ، وبدأت المفاوضات . وتلمي ارفعاء الوطنيين من جديد .
وكانت جزيرة سبل هذه المرة مفرهم . وبالمقاومة المسلحة والحملة
الدورية العادية ومتطوعة الصانع الاحبية استطاعت مصر ان تحبس على

بيان في الثاني والعشرين من شباط سنة ١٩٢٤ اعترفت فيه الحكومة بالاستقلال والسيادة مع تخففات قد يُتيح لها المستقبل ان تتحلى عنها . في هذه الثورة الوطنية التي دامت ثلاث سنوات لعب الشباب دوراً كبيراً . ان بطل رواية «توفيق الحكيم» التلميذ محسن الذي ترك مدرسته ليتظاهر ويقتد بمصر ، قد ساعد جداً على حاق حالة نفسية تنمي المناومة . وراى اوار الوطنية في نفوس المصريين اشتعالاً ، حتى ان البريطانيين لم يحرّروا على اطمائه ، ولو كان المحتلون من الممالك الذين اعدمت لديهم كل شئمة لعرفت ثورة الامليد والطلاب في ادماء .

وعدة الحرب العالمية الكبرى التي قيل انها حررت العلم من الطغيان كان من المستحيل على الاعليز حصد الاملدة المتظاهرين بادرصاص ، والسبب يكمن في ان الراي العام البريطاني كالراي العام العالمي ، كان لا يقبل عملاً كهذا .

من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٣٠ . وهي السنة التي ظهر فيها جمال عبدالناصر في المعترك السياسي تنقذت مصر اصول الاستقلال ، كان عليها ان تناضل بلا انقطاع ، للمحافظة على الامتيازات التي حصلت عليها ، وحمل بريطانيا على التنازل عن تخفضاتها بشأن الاستقلال وفي الوقت ذاته كانت المعركة مستمرة بين القصر وانصار الديمقراطية والتحرير . إذ ان فؤاد الاول الذي أعلن ملكاً كان يميل الى اعتبار نفسه مصدر السلطات ، كما أعلن بعض طلبة الازهر سنة ١٩٢٤ ، بينما كان جماعة الوفد والاحرار الدستوريون يؤكدون ان الشعب هو مصدر السلطات . لقد استوحى دستور سنة ١٩٢٣ الذي وضعته لجنة تسيطر عليها اكثرية الاحرار الدستوريين من الدستور البلجيكي ، انه أكثر نحرراً مما أرادته الملك الذي وافق عليه ، وبموجبه على الملك ألا يحكم إلا بواسطة ورائه . والملك فؤاد لا يقبل ان يملك دون ان يحكم ، فبدأت سلسلة من الارمات بين القصر والحكومة . اما الشبيبة الجامعية المنفتحة على الحياة

بعصرية فقد وقعت بصورة عامة الى جانب المدعين عن النظام البرلماني الديمقراطي . وعندما أُعْلِن الدستور اصررت القلاط وتظاهروا .

ان الخلاف مع الحقرة بصورة خاصة هو الذي كان يُتَسَبَّرُ حصصة طلاب الجامعات والكليات . اذ ان هذه الدولة التي احتلت مصر فعلا منذ سنة ١٨٨٢ قد فرضت حمايتها عليها منذ سنة ١٩١٤ لدى زوال النعية التركية . واعلان الاستقلال سنة ١٩٢٢ كان عملاً من طرف واحد لان مصر قبلت الناحية الاعابية منه وراضت الاقرار بالحققت .

وأما التحفظات التي تمسكت بها بريطانيا فهي ما يلي :

١ - سلامة خطوط المواصلات للامبراطورية البريطانية في مصر .

٢ - الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء خارجي ، وصد أي تدخل مباشر أو غير مباشر .

٣ - حماية المصالح الاحسية في مصر وحماية الاقليات .

٤ - السودان .

وفي انتظار اتمام الطرفين حياً على هذه النقاط الاربع ، اصررت بريطانيا على ضرورة الابقاء على الوضع القائم ، اي فرض إرادتها ، وسيطرتها على مصر ، على الرغم من اعتراضها الشكلي بسيادة هذا البلد ، وقد خلقت هذه التحفظات وصعاً شاداً ثارت له كرامة الوطنيين المصريين . وكان يجب الخروج من ذلك الوضع اشاذ باتفاق معقول .

وبدأت سلسلة من المفاوضات المبررة ، وكثيراً ما كانت تقطع بعد ايام لتطول شهوراً طوال دون نتيجة حاسمة . وفي انتظار الوصول الى حل ، بقي الجيش البريطاني يحل الاراضي المصرية وفي ذلك ما فيه من اسباب النزاع والاعصاب . ذلك كان جسماً غريباً اجمعت ادلة السياسية وصية على اراته .

كان من الشدة عدد ضئيل من القلاط الذين تنهوا دروسهم في المدارس الاعابية او ممن أُمروا في مناسبات مدرسية في حرج ، و...

قدروا بالأمر الواقع، وكانوا يعتقدون ان بريطانيا دولة قوية ، والمفاوضات ان هي الا مسرحيات هزلية ، والجيش البريطاني لن يخرج من مصر لان ملكية قناة السويس ضرورة قصوى لبريطانيا من اجل تأمين المواصلات بينها وبين امراطوريتها . ثم اذا جاءت بريطانيا عن مصر : فان ايطالية انشائية او أي دولة أخرى سنأتي لتحل مكانها في هذا البلد الذي هو نقطة التقاء الطرقات بين الشرق والغرب .

أما الاكثية الساحقة من الطلاب فلم تكن تنكر هكذا ولم تكن لتقبل احتلال مصر من قبل جيوش اجنبية وكانت تنور ضد ادعاء بريطانيا وعزمها على ابناء وصايتها السياسية على مصر ان المصري الشاب مضيف بطبيعته ، ويتودد الى رعايا القوميات الاخرى ، ولا يحمل في نفسه أية نزعة عنصرية ، ولكن ادعاء بريطانيا بضرورة حماية المقيمين الاجانب والافديت خلق موجة من الكراهية للاجانب ، والتشدد معهم . والطلاب الذين كانوا يسرون بمعاشرة اساندهم ورفاقهم الاجانب ، اصبحوا يشمرون باحلال والدل من جراء ذلك ، وبعملهم هذا كانوا يعبرون عن وطنيتهم .

وأخيراً لم يحدوا رداً من تنظيم المظاهرات في شوارع القاهرة والاسكندرية حيث ارتفعت الهتافات « لتحي مصر وتسقط بريطانيا » . كان الكار يعتقدون ان هذه المظاهرات لن تؤدي الى شيء ، لذلك شجعوها . اما اذا تدخلت الشرطة او بصورة خاصة ، اذا حاول الجيش البريطاني ان يجمع المظاهرات باستعمال المראوات او البنادق ، فان الرأي العام كان يشور ويرغي ويزبد لان الشعب المصري ما كان ليقبل ان نساء معامة ابائهم الذين يعبرون عما يجيش في نفوس المصريين جميعاً . هكذا كانت المظاهرات الطلابية والتلاميذ تنبر موجات مفاجئة من الغضب والاحتجاج والاصطدامات ، مما يحمل الشرطة والجيش على محاولة قمعها نارة بالقوة ، واخرى بالاحتياطات المناسبة .

م يحدث في سنة ١٩٣٠ ثورة وطنية عارمة . تشمل صناديق الشعب كلها شياً حدث منه ١٩١٩ . لان كسار كاو قد دحر حجة ابعة البردية . وهم يعرفون من وظيفتهم باستاء اصواتهم خرب الوفود او للحرب الوطني . وعنده كان الملك يحل البرلمان في تسيير عثية اكثرية وفدية او يفتين حكومة بعد تعيينها بمهمات و يعلق الدستور . كان اعتلاء يكفون بالاحتجاج في الصحف . اما طلاب فكانوا يلحأون ان التظاهرات في الشوارع .

ففي أول كانون الثاني سنة ١٩٣٠ وصل المحاس حليمة سعد رعلول في رئاسة حزب وفد الى الحكم تسالده اكثرية ساحقة وبدأ سلسلة حديثه من المحادثات مع بريطانيا لوصول الى اتفاق مشرف منير . من مثله نمووية واصر الصداقة بين مصر وبريطانية . فمضت المداوضات . وكان يرافق ابراع مع بريطانيا ابراع مع القصر . اذ ان الملك وواد كان يعارض في نشر قوانين يقضي بمحاكمة الوزراء الذين يقبلون الاشتراك في الحكم في ظروف لا يقرها الدستور . واضطر المحاس الى تقديم استقالته في التاسع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ . فكلف الملك اسماعيل صدقي بتأليف الحكومة الجديدة . ثم حل البرلمان وعلق دستور سنة ١٩٢٣ . وحكم بموجب قرارات تشريعية . ثم امر بسن دستور جديد اقل ديموقراطية من دستور سنة ١٩٢٣ . آشد اكنفى زعماء الاحزاب بالاحتجاج في الصحف . اما الشبيبة من جانبها . فقد تظاهرت في شوارع القاهرة والاسكندرية . وفي ساحسة المنشية في الاسكندرية اصطدم طلاب المدارس الثانوية بالشرطة . فهتفوا « لتحي مصر » فأجابهم رجال الشرطة بضربات المراتات .

لقد تلقى التلميذ اليافس جمال عبد الناصر في تلك المظاهرة ضربة قوية على وجهه ادمته . ولكنه استمر يصرخ « لتحي مصر » ونلك الضربة تركت جرحاً في صميم قلبه لانها كانت من اخوان له في الوطنية .

لا يشعرون بمسؤوليتهم ووجودهم كمواطنين. لقد لاحظ بكن مرارة -
الدين شاركوا المواطنين ثورتهم سنة ١٩١٩ أصبحوا اليوم باسم الدفاع عن
النظام وقانون اداة في ايدي الانجليز وهكذا أصبح جمال عبد الناصر ثورياً.
لقد حكم اسماعيل صاقي مصر ثلاث سنوات بالحديد وامار . وحصل

بمهارته الدبلوماسية على بعض التنازلات الجريئة من بريطانيا. انه رجل
مال واعمال . بارع ، استطاع ان يطور الصناعة المصرية ويحرر
اقتصادها الى حد ما . من اشعية لاحية ولكنه لم يكن ليقل ان يتدخل
الطلاب واللامدة بالسياسة . ادن لا مصادر ، وكان على جمال
عبد الناصر ان يكبح جماح نفسه النائرة ؟

من مدرسة رأس اتين الثانوية انتقل جمال عبد الناصر الى مدرسة
الفريدية حيث درس سنتين ؟
وفي سنة ١٩٣٣ نقل عبد الناصر حسين الى القاهرة . وذهبت معه
عائلته الى العاصمة . وفي مدرسة النهضة الثانوية في حي الظاهر اكمل
جمال عبد الناصر دروسه .

وعن هذه المرحلة من حياة الرئيس البطل اعطى مؤرخ مجلة المصور
بعض التفاصيل حيث قال في مقال خاص ... « لقد تشرب الرئيس
مبادئ الثورة مع العلوم التي تلقاها ... »

لقد استطعت ان احصل من اساتذته ورفاقه على معلومات اضافية عن
مطالعات وسلوك جمال عبد الناصر خلال السنتين الدين امضاها في مدرسة
النهضة . ولقل اولاً كلمة عن الحي الذي اقامت فيه عائلة عبد الناصر
حسين في القاهرة .

في حي باب الشرقية الشريعة

الشريعة

في حي باب الشرقية أقدم دي الطرقات الضيقة المتعرجة كأنها معابر نمل أو مآجد شقت المدينة شارعاً عريضاً يربط بين انفة الحضراء وحديقة الأربكية في حي العباسية الذي كان فيها مضي حي الطبقة الأرستقراطية ان هذا الشارع الجديد يضم إلى جانبه مسجد الامام الشعراوي القديم بواجهته الرحامية التي اضيفت عليها السنون شيئاً من السمة واقطع الموزاييكية الشديدة الزرقة ومنارته انشأحة الى العلاء ، التي تدعو الى الصلاة المؤمنين من منطقة « الخورونقيش » و « بني سورين » الواقعتين في الجهة المقابلة من شارع الجيش العريض تلفت حفاً الانطار .

عندما كان والد جمال عبد الناصر يُدير مكتب بريد « خورونقيش » كان الطالب الذي اصبح بين السادسة عشرة واثمانية عشرة من عمره . يلجأ أحياناً ، كما يقولون الى هدوء المسجد وسكونه ليراجع دروسه . وعندما ذهبت لزيارة البيت المجاور ، حيث قضى الرئيس جمال عبد الناصر اربعاً من سني شبابه ، اردت ان اقي نظرة فاحصة على مكان العبادة حيث لم يكن جمال عبد الناصر يذهب للتعبد فقط ، بل للمطالعة والتأمل . لقد كان ذلك بعد ظهر يوم من ايام الجمع ، والمؤمنون يدخلون ويخرجون بعد ان اجتمعوا او يلبسوا احذيتهم ، من الباب الرئيسي المفتوح

على مصراعيه يرى الداخل قبر الامام والمير الذي تنقى من عليه
الخطب على المؤمنين ، ومن الاعلى يبصر المدرج الذي تجلس عليه النساء
تجنبهن عن انظار الرجال الشبايك الخشبية .

تري كيف يستطيع المرء ان يدرس في قاعة كبرى كهذه لا
مقاعد فيها ؟ ...

وبعد ان طفت في ارجاء المسجد ، والقيت آخر نظرة من النوافذ
العالية المشكة التي تطل على شارع الشعراوي ، وقع نظري على فتى في
الخامسة عشرة من عمره ، يسير وعيونه مسمرة في كتاب بين يديه
متحاهلاً كل ما حوله رافعاً نظره من حين الى آخر دون ان يأبه لما
يحري . كان يطوف وكأنه في ميدان مأخوذاً بالكتاب الذي بين يديه ،
فقال الصديق المصري الذي كان يرافقني : « هذا حال » انك ترى
بنفسك . « ان التلامذة المتيان يأتون للدرس في المسجد عندما يكون
البيت العائلي ضيقاً او زاحواً بالضجيج . او عندما يشعرون انهم بحاجة
الى المكان القسيح الهادي . »

على مسافة مئة متر من المسجد دخلت الى ردهة خميس العدس حيث
يوجد مكتب بريد الخورونفيس وبالقرب منه البيت الذي سكنه عائلة
عبد الناصر .

ان المكتب البريدي موجود في بيت متواضع ، حديث البناء نسبياً ،
بين مخزن يهودي للمواد الكيماوية وبين كيبس يهودي تعلن عنه نجمة
داوود وكتابة عبرانية باحرف من حديد .

لقد اشتعل عبد الناصر حين خمس سنوات في ذلك المكان ، وحيوانه
اليهود من عائلة صموئيل كانوا يمشكون على خطوات من المكتب عمارة
من ثلاث طمقات ، حديثة البناء فاستأجر منهم بثلاثة او اربعة جنيهات
في اشهر الصاق الثاني الذي يتألف من غرفتين تطلان على الشارع مع
شرفة صغيرة تنبج دخول النور ان غرفة داخلية للاستقبال تطل الى

الساحة لقد كانت هذه عرفة اولد السكر . اعرفة التي درس فيها
حمال عند اساصر وتأمل طيلة اربع سنوات في قوته ، سنتين في مدرسة
الهضة الثانوية ، وسعة اشهر في كلية الحقوق ، ثم سنة ونصف سنة
في الكلية الحربية من راتب يبلغ عشرة او اثني عشر جنيهاً كان
يتقاضاه الأب ، كان ايجار البيت يستهلك الثلث :

ومن المؤكد انه كان على اسرة عند اساصر حين ان تعيش
اياماً صعبة قاسية . الامر الذي يتيح لنا فهم اسب الكامن وراء التناقض
الذي يساور باستمرار قائد مصر الجديدة . ويجعله يسعى بشتى الطرق الى
رفع مستوى المعيشة لدى الشعب المصري :

وعندما نتفحص الكتب التي كان يقرأها الفنى آنذاك ، يجب ان نضع
في رأسنا ان الذي كان يقرأها هو فنى فقير معدم ، يعيش عيشة متواضعة
حداً في احد احياء العاصمة الشعبية بعد ان اضطر الى الانتقال عشر مرات
من مدرسة الى اخرى بسبب تنقل والده الالتزامى بناء على رغبة
مديرية البريد :

مكتبة جامعة القاهرة

مطالعات طالب وطني

في سنة ١٩٢٤ كان جمال عبد الناصر يتابع بصورة طبيعية دروسه قبل النهائية في مدرسة النهضة الثانوية الخاصة ، وفي سنة ١٩٣٥ شعله نشاطه السياسي عن المدرسة اذ انه في تلك السنة بلغ مجموع ايام حضوره خمسة واربعين يوماً فقط مما خلق امامه صعوبات جمة للاشتراك في البكالوريا ،

الى جانب التمرينات التي كان يحبها الطالب في نطاق برنامج المدرسي ، كان ~~يحب~~ الكتب التي تضمها مكتبة المدرسة او التي يستعيرها من اساتذته احمد حسين اقراآني ومرسي الحميدي ونجيب ابراهيم ، وكان الطالب الفتى لا يكتفي بمطالعة هذه المؤلفات العربية والاجنبية مطالعة خاطفة ، بل كان يتأملها طويلاً ويتمثل ما فيها من افكار فاتحاً عقله لنظريات لم يكن والده او اي من اجداده ليشك فيها .

ويمكن تصنيف المفكرين الذين قرأ جمال عبد الناصر مؤلفاتهم ، في تلك الفترة من حياته ، ثلاث فئات : فهناك اولاً مؤلفات المفكرين العرب الذين يتحدثون عن تاريخ العرب والاسلام ، وعلى رأسها « المدافعون عن الاسلام » وهو كتاب نشره وقدم له الزعيم الوطني مصطفى كامل

ليذكر الشعب المصري تماصيه الوحيد العربي . ويصف له عظمة
الخصرة العربية ، ويدعو المعاصرين من احياء هذا التراث
وذاك المجد .

ويقول مصطفى كامل بعد ان يروي سيرة النبي العربي محمد (صلى الله عليه وسلم)
وبعد ان يصف كدحه وانصرامه يقول : « أي من أكثر قناعة من
محمّد (صلى الله عليه وسلم) ! » عشرين سنة لم تكف تمضي على بسوء
رسالته ، حتى كان اليوم وانتهى بسطرون شئ الجماعة التي كانت
وبعد عشرين سنة أخرى كانت الأمة العربية قد أصبحت قوية خلاقة
في ميدانها . ثم يتحدث الكاتب عن كتيبة انتشل الحضارة
العربية من أوروبا عن طريق الاندلس ، وأوروبا التي كانت عذرة في
سات عميق ، فاما بالعلماء والمفكرين والعمال العرب يعيدون لها الحياة
من جديد .

كان الصائب جمال عبدالناصر قد قرأ ايضاً سيرة مصطفى كامل ،
وكم مرة توجه الى المكتبة الوطنية ليتقب بين الصحف عن المقالات التي
كانت تنشرها للزعيم الوطني المصري .

وهناك كتاب آخر قرأه جمال عبدالناصر ايضاً في تلك الحقبة للكاتب
الوطني السوري عبدالرحمن الكواكي ، وهو اديب اضطهده الاتراك
فلحق الى لبنان ثم انتقل الى مصر حيث أقام حتى وفاته . وكتابه هذا
باسم « طبائع الاستبداد » ونشر بدون أية اشارة لاسم المؤلف ، لأنه
كان ينتقد بشدة وعنف نظام الحكم التركي الاستبدادي . والطاغية ، في
رأي الكواكي ، هو الذي يحتل بلداً ما ويتيح فيه لأقلية سياسية دينية
ان تجمع الثروات الطائلة بالتعاون مع الاقطاعية لابقاء الجهل سائداً .
وفي الكتاب يلوم المؤلف الغرب لتحالته مع الطفلة واستثماره معهم الشعوب
المعدومة على امرها عوضاً عن ان يحررها ويساعدها على اقامة أنظمة للحكم
أساسها الحرية والعدالة .

ومن مطالعات جمال ه أم القرى ه وهي كتاب آخر معتل ، يتحدل فيه الكتنب . مؤتمر انعقد في مكة واشتركت فيه كل الشعوب الإسلامية ، وفيه يبحث المؤتمر عن الأسباب التي أدت الى تخلف الشرق ، ووسائل التي يستطيع بها ان يتخلص من أخطائه ، ويتحرر من النير الأجنبي . ان نظام الحكم الملكي في بعض بلدان العرب ، ومع ذلك فإن هذه البلدان في تقدم مستمر . والصبيحة ، بالنسبة للبلدان الشرقية ، هي ان أمراءه يعيشون في اسح وانرف دون ان يوجهوا أدنى اهتمام الى حقوق الشعب وحاجاته .

وفي هذا المؤتمر يقف ممثل الاسكندرية ليعلم .
« إن تحامنا مانح عن كوننا التي انقابت الى غموة طويلة ، والذي ينتقصا هو القائد ، الزعيم ، الذي سيكون شريفاً وقدره للشعب ، وينقصنا ايضاً رأي عام قوي . »

وبعد الاتفاق على تحديد جوهر الاسلام ، وبعد الاتفاق على القول بأن الشعوب الإسلامية يجب ان تستعيد عزتها وكرامتها ، يعلن المؤتمر موافقته على المقترحات التالية :

- ١ - ان المسلمين يتخبطون في حالة من الكسل والحمول .
 - ٢ - فيجب اخراجهم من هذه الحالة .
 - ٣ - الجهل هو سبب هذا المرض .
 - ٤ - والدواء الماجع هو تثقيف الشعوب الشرقية وبث روح الحماسة والرغبة في التقدم في نفوس الاجيان الطالعة .
 - ٥ - يجب تشكيل مصطبات تقوم بهذه المهمة .
- وفي الختام يختار المؤتمر مصر مركزاً لهذه الحركة بسبب تقدمها في حقن العدوم والدور البارز الذي تلعبه بين الشعوب الإسلامية .
بالاصطفاء الى دمت كنه قرأ جمال عبد الناصر في الحقة كتاب احمد امين عن زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، امين جمال امين الامعاني .

والشيخ محمد عده . كما قرأ كتاباً عنوانه « مشاهير الاسلام » ، واحداً
مقالات لامير شكيب ارسلان عن الشرق وأهماده العائرة التي كان بشرها
في « اللواء » و « الاحبار » التي كان يديرها امين الراعي زعيم الحزب
الوطني ومعارض كل اتفاق مع الانجليز .

ومع تلك المؤلفات كان جمال ياتهم التهاماً ما كانت تكتبه الصحف
الوطنية الوفديّة والجرائد ذات الميول الاشتراكية ، كما كان بتوجيه
استاذة القرآني يطلع على خير ما عند الغرب .

وفي هذا المجال قرأ كتاباً يخوي سير أكبر رجالات فرنسا في
التاريخ ومن بين هؤلاء أعجب جمال عبد الناصر بأثنين هما
فولتير وروسو ، وبعد تعيينه في لجنة تحرير مجلة المدرسة « النهضة
المصرية » كتب جمال عبد الناصر في تلك المحلة مقالاً بعنوان « فولتير
رحل الحرية » . وفي تلك المقالة برر إعجاب الفتى المصري بصفت
فولتير ، لا سيما ثورته ضد الفساد في الحكم والروتين ورجال الدين
والكنيسة وفيها يقول :

« نفسد كادح المتكر طويلاً كي يبقى دائماً مفكراً حراً من
كل قيد . »

« ان روسو وفولتير ابدن أعداء اعداداً كافياً ثورة سنة ١٧٨٩
بأنياب في طليعه قادة القرن الثامن عشر . »

ورويّة « المؤساء » لفيكتور هيغو التي نقلها الى العربية الشاعر
المصري الكبير حافظ ابراهيم ، كانت في برنامج الدراسة ، فقرأها
بطناً بشغف ، كما قرأ سيرة نابليون ، وغاندي ، والاسكندر الكبير ،
وبوليوس قيصر .

عندما طالع جمال عبد الناصر روسو وفولتير ، لم يظالعهما كصاب
يدرس درساً ويستعد لتقديم امتحان فيه . بل كشاب يريد ان يهيم

الحياة . ويدرس المجتمع . وبغش عن حلول للمشكلات التي تتر
في الحياة .

كان يرى حوله العمال المحرومين من لذت الحياة . وكان يحاور
دون ان يعاشر الاغنياء من مصريين وأجانب ، هؤلاء الذين يعيشون
عيشة البذخ والترف ، فتساءل في نفسه : لماذا وجدت هذه الفوارق ؟
لماذا ترى الثروة والعي هنا والشقاء والذل هناك ؟

في هذه الفترة قرأ جمال عبد الناصر مرتين رواية ديكر الشهيرة
« قصة مدينتين » التي تدور حوادثها بين باريس ولندن سنة ١٧٩٣ ،
ونخرج من قراءتها مستتحاً ان العنف لا يجر إلا العنف . وان السياسة
الفضلى هي تلك التي تتحاشى إراقة الدماء . وفي مجلس الثورة عندما
كان بعض الاعضاء يعربون عن ميلهم الى استخدام العنف كان البكاشي
جمال عبد الناصر يعارضهم ويذكرهم بكتاب ديكر وينصحهم باعادة
قراءته .

وفي إحدى المناسبات أعدت مدرسة النهضة رواية لتمثيلها في التاسع
عشر من كانون الثاني سنة ١٩٣٥ في قاعة مسرح « برنتيا » برعاية
السيد نجيب الخاللي وزير التعليم العام . وكان موضوع التمثيلية مأساة
شكسبير « يوليوس قيصر » . وبالطبع لعب جمال عبد الناصر دور
يوليوس قيصر .

كانت شخصية القيصر منهومة من الشبهة الوطنية المصرية على
غير حقيقتها :

ان يوليوس قيصر ، في نظرهم ، رجل يارز في مجتمع فاسد لقد
وجد الشعب الروماني عبداً لخمسة عائلة من النبلاء ، فقرر ان
يقتله من عبوديته . وبدأ ثورته بزواجه من فتاة تنسب الى الشعب ،
ثم حارب عساق واطغيان ، وأصدر قوانين تعاقب الماسدين والمحترسين
في الداح . وبعد ذلك تفرغ لحرب القاتل السويسرية المعبرة على

روما ، وصد قاتل « اسوتس » في حرب دامت عشر سنوات . ولم
يكسب بنيت بل دخل الماريح كنائب عسكري كبير استصاع ان يخضع
بريطانيا ذاتها ..

وهكذا أصبح يوليوس قيصر معبود الشعب الروماني ، ولكن
أعداءه الذين ساء بهم ، أصبح عنهم تآمروا عليه . انه لم يكثر
لتهديد والخطر . لأن حيائه لم تكن تبهه كبيراً ، فقد أوصى
بكن أملاكه وقصره وحاشائه من مواليه . لم يبق بكر واجه واحقر
المتمربين .

كان جمال عبد الماصر آنذاك معجماً أشد الإعجاب بشخصية يوليوس
قيصر الوطني الحري لشريف المؤمن بشعبه . لذلك أقنع وطنه من طعيان
الاعبياء لقد بعث شعبه . وحق من صغته قوة .

والحقيقة ان شخصية يوليوس قيصر ختلف كثيراً عما تصورها الطالب
جمال عبد الماصر ، فهو كما وصفه سوتون في مترف ، فاسق ، ميل
الى الأدب والتاريخ . ولد من عائلة ارسنقراطية مفلسة ، وتزوج وهو
في السابعة عشرة من عمره من اوريبة العمة لوسوتيا ، ثم طلقها ليتزوج
كورنيليا ابنة ماريوس ، الخطيب الشعبي الروماني ، وقد كلفه هذا
العمل ملاحقة الدكتاتور سيلا . فسافر الى آسيا الصغرى ليعود الى روما
بعد موت سيلا ويعيش في البذخ والديون . وبعد موت كورنيليا تزوج
النبيلة بومبيا حميدة سيلا . ومن ثم بفضل مساندة الاشراف دخل مجلس
اشيوخ كوكيل للخراج ، ثم عين مراقباً للملاعب ، عندئذ بدأ ينمي
شعبيته عن طريق تنظيم الالعاب بأموال كراسوس شريكه السري ، وأعاد
الى ساحة روما أسلحة ماريوس التذكارية . ولما اختير سيداً أعلى للبلاد
عاش حياة الفسق والفحور والخلاعة .. كان زوجاً لكل النساء وامرأة
لكل الرجال ، كما كتب سوتون . لقد طلق بومبيا ليتزوج للمرة الرابعة
من كالپورنيا ابنة احد القناصل .

ولتعذر وجود المال لديه قبل من ملك مصر بطليموس الحادي عشر
هديته الاسطورية المؤلفة من ستة آلات « ناليت » من الحمر ، وذلك
لقاء قانون سنه مجلس الشيوخ الروماني سمي بتوحيده بطليموس صديقاً
لشعب الروماني . و بطليموس هذا أنزل كاهل المصريين بالمرتب عن
طريق وزير ماليته « رابيريوس بوستوموس » وقد ثار عليه المصريون
وأرغوه على الفرار من الاسكندرية . وقد قدم قيصر بكل هذه الاعمال
قبل حروب غالبا ، وقبل حملته الى شرق صدد بومبيوس عشر سنوات ،
تلك الحزمة التي قادت به الى محاذ مائة مصر انماوية كبرياصرة ابنة
بطليموس الحادي عشر في الاسكندرية حيث أغنته تسعة مصر تقمصاً
بلا له آمون . وقد ررقت منه كليوباترة ابنة هو بطليموس الرابع عشر
الذي لقبه الاسكندريون « سيزاريون » او اقيصر الصغير .

وأخيراً قدمت كليوباترة الى روما لتشهد الاحتفال باستصار يوليوس
قيصر ، وأتذاك بين العلويين المقيدس بسلاسل الذهب كان « ارسينوي »
شقيق كليوباترة ، والسيء الحظ « فرسجيتوريكس » بطل المقاومة
العالية الذي أمضى خمس سنوات في سجون روما الرهيبة .
لقد أقامت كليوباترة في داره يوليوس قيصر كحليبة له ، في
انتظار اعلان حببها ملكاً لتتوج ملكة للعالم على الرغم من وجود
كالبورينا التي كان يوليوس قيصر قد وعد عشيقته بطلاقها ، إلا اذا
استصدر قانوناً بطلاقها يُتيح له الزواج ، كماوك الشرق ، من
عدة زوجات .

كان يوليوس قيصر تحت تأثير كليوباترة ، يعمل على تحويل دولته
الجمهورية الى مملكة ، على طراز مملكة الفراعنة ، ليحكمها حكماً إلهياً
مطلقاً ، بتوارثه ابناؤه من بعده . ولهذا السبب استشاط شيشرون
غضباً وكتب الى صديقه أتيكوس يقول : « انني أبغض ملكة مصر » .
ان هذه الاعمال كلها أدت الى مقتل يوليوس قيصر على يد

بروتس وحصة من المتأمرين وهذه الصورة واقعية للسيد روماني
تختلف تماماً عن تلك الصورة المثالية التي أخرجها بعض كتاب مصر
مواظماً صلب الإرادة يخارب الفساد ، ويتروح فناء من الشعب واد
كان قد حارب التتائل السويصرية ، وانتصر على العالين فليس لأهم
كانوا يهددون روما . بل هو الذي ذهب اليهم وحاربهم في بلادهم
لبعضها الى امر طوربته رومانية ، ويقدر به حمل معه من غالباً يهود
أمير باعهم في سوق النخاسة

ثم أم بكس بولبوس قيصر منذ ناية عهده شريك كراسوس
العبي الكبير ، الذي سحق بالحدبد والمار ، ثورة للعبد قادهما
سبارتاكوس ؟..

ان هذه المصطلحات كلها لم تكن معروفة من قبل حكام عسائاصر
كل تأكيد ، عندما طلب أن يسند اليه دور بولبوس قيصر وفضلاً
عن ذلك ، ليس صحيحاً ما قيل من انه هو الذي ألح في الطلب
لكي تمال رواية شكسبير في عيد مدرسة النهضة السوي .

ان الحقيقة أسط من ذلك بكثير ، تسند عرفتها من فم مخرج
لرواية نفسه ، الذي لعب فيها دور بروتس ، ان وزارة التعليم امام
التي تشرف على المدارس الخاصة لا تسمح بأن تشترك الفتيات في تمثيل
رواية مع امتيائ لذلك كان من الضروري البحث عن رواية لا
ادوار رئيسية فيها إلا المذكور . وهذا الامر ينطبق على مأساة بولبوس
قيصر ، اذاً حرف منها المشهد الذي تظهر فيه كلبورينا في قصر
الامبراطور .

ومن ثم ان الدور الرئيسي في الرواية ، هو دور بروتس ، ثم
دور انطونان . أما دور بولبوس قيصر فهو قصير ، وقد أسند الى
حسام عد الماصر . الذي يمثل لأول مرة . بينما أسندت الادوار الصعبة
الى من هم أدري منه بالتمثيل . وعندما طعن بولبوس قيصر بالخنجر

على مسرح « برنتانيا » في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٣٥ .
هـبّ موظف البريد عبدالناصر حسين ، الذي كان هناك لمشاهدة
ولده يقوم بدور قيصر ، واقفاً في مقعده والخوف ياد عليه .
وبفضل الله لحظ ان ابنه ما زال على قيد الحياة يتحرك ،
فهدأ روعه .

لقد كانت هذه الرواية المخيفة عسيراً فهمها على ابن الفلاح من
من بي مر ، ولحسن الحظ كانت تمثيلية فحسب ..

عودة الروح لتوفيق الحكيم

لقد ذكرت عدداً من الكتب التي قرأها جمال عبد الناصر أثناء دراسته الأدبية ، وذلك اسماً الى ما قاله لي اساتذته ورفقه ، ولخصت اليها كتاباً آخر هو « مصري » لعل الخياط الكيلاني ، الوطني المصري الذي نهى الى حيف حيث اصدر مدة اربعة عشر عاماً صحيفة « مبر الشرق » للدفاع عن حقوق الشرق الناهض .

وطالب جمال عبد الناصر كان يحب ايضاً ويعجب بآثار الشاعر احمد شوقي ، ويحفظ عيماً قصيدة حافظ ابراهيم « العمرية » التي نظمها شاعر اسيل للاشادة بالحيفة الثاني عمر بن الخطاب رجل الفتوحات الاسلامية ، اكرى . وهما اود بصورة خاصة ان احل قصة اديب معاصر اثر كثيراً في نصبة المصلب جمال ، الا وهي « عودة الروح » او بقطة الدم لتوفيق الحكيم .

ان لهذا الكاتب العاطفي الانتقادي معاً ، آثاراً كبيرة منها يوميات نائب في الأرياب ، التي انتقد فيها الادارة المصرية في الريف ، وروايات تنبئية محكمة الست صعبة التمثيل ، مثلت في سالربورج وباريس وهي « شهرزاد » و « اهل الكهف » و « بغيليون » . اما روايته « عودة الروح »

فقد تُرجمت الى الفرنسية على يد موريك بزبن مؤسس جمعية اصدقاء
القاهرة الفرنسية في اشرق ، ورائد التقارب الثقافي بين فرنسا ومصر .
ولم يكثرث لهذه الرواية عند نشرها باللغة الفرنسية الا القليلون ، ولكن
اهميتها بعث الدروة بسبب التأثير العميق الذي تركته في نفسية القى
جمال عبد الناصر .

وبعد ان اصبح جمال رئيساً للحكومة المصرية اظهر تفديده للاديب
توفيق الحكيم باحراء ادهشت الاوساط الثقافية والادارية في القاهرة .
منذ أربع او خمس سنوات ، علم وزير التربية والتعليم بان توفيق
الحكيم مدير المكسة الوطنية ، ينصرف في وظيفته بشيء من الفرد في
الرأي ، واقترح على مجلس الوزراء عرله من هذه الوضعية ، وبالطبع
كان الوزير يحول الدور الذي لعبه الكاتب في تكوين شخصية الزعيم
الوطني ، فتأثر جمال عبد الناصر كثيراً من قصر نظر الوزير وما كان
من الرئيس الا ان عين توفيق الحكيم في اللجنة العليا لمصون والاداب .
وفي السنة الماضية ، امام دهشة الجميع ودهولهم قلد الرئيس جمال
عبد الناصر اديه المفضل توفيق الحكيم ، وشاح انيل . الذي كان حتى
ذلك الوقت ، وفقاً على رجال السياسة من الدرجة الاولى ، ولاول
مرة منح هذا الوسام الى رجل من رجال الفكر .

ان آثار توفيق الحكيم الاخيرة ليست ذات أهمية خاصة . لذلك يمكن
القول ان تفدير الرئيس للأديب الوطني كان يستهدف « عودة الروح »
او يقظة مصر .

لقد سبق لي وتحدثت عن هذا الكتاب عندما تناولت بالكلام
مظاهرات الطلاب سنة ١٩١٩ ، والرواية ، فضلاً عن أموراً طريفة ،
اني لا أخلق أهمية على الوصف الخيالي لعواطف الشاب محسن الذي
يلتهب حراً لحمارته الحميلة سنبة التي تقيم في الحي الشموي قرب السيدة
ربيع . لان اثنين من اعمامه الثلاثة شبان الذين يسكنون معه كما

شعران منه المثل ثم به سجاد السيرة . . .
رحوتها الجميل . بل اني اذتم بالصورة الوحيه في دلائلها وادق ما كنه
للمنى محسن لآلها تشهد ان حبيبها المصوره في ستمها . . .
جمال عبد الناصر ورفاقه في الدراسة .

لقد كان محسن انى رصياً ررباً . . . وم يأن به ميسل . . .
اسلامدة في سه الى الامام الصدقة . . . ولم يأن عره واحدة يرتص او
يندر . . . ونسليته كاث على الاحاب نسفته وكون مدفة يستعمل اوقسات
المراح لآفة ابيات من الشعر . . . او تناقش مع غلام . . . صدى الذي
يتحلى بالمبال و . . . مانع نسها . . . وسب رصانه كون محسن يبدو اكر من
سه بالعدل . . . وهكذا كون اسانته بطرون فيه شرة حسامة مرفقة
بالاعجاب . . . ويرقون له حاجاً اشراً . . . المنحد . . . وية العامر

كان لا يميل كبراً الى معاشره الآخرين . . . ويحصل امرلة على مراح
بعض رفاقه السبع . . . وعلى الرعم من تحتفه الذي كون بهرصه على
انلامدة الآخرين . . . كان هؤلاء يكون له لاحترام الرائد . . . اتصال عن
داك كان لجميع يحدون لدة حقيقية في سماعة يتكلم او يناقش مسع
عاس . . . تحت الدرح الكبير . . . حيث اعتاد الاثنان ان يجتمعا في استراحة
الظهر .

ونحن إذا عدلنا بعض التعديل هذا الوصف نجد امامنا صورة كاملة
للتالب جمال عبد الناصر .

كان جمال مولعاً بالتاريخ على الأرجح . . . وينضه على الادب .
ومناقشاته مع رفاقه كانت تتناول الموضوعات السياسية عامة ، وكان لا
يغوت درساً واحداً من دروس التاريخ ويتابع بكل جوارحه شروح
الاستاذ . . . كان يطر اليه باستمرار ، متكئاً على منكبه الايسر سائداً
ذقه براحة يده وكان لا يترك نقطة غامضة الا ويستفسر عنها . وبذهب
الى اناهج ليراجع المصور الجغرافي .

وقد قال لي احد رفاقه . « حتى عندما يكون جمال عبد الناصر
مهدداً في تنظيم مظاهرة سياسية . كان يترك كل شيء ليحضر درس
التاريخ ، درسه المفضل . »

ولنعد الآن الى بطل توفيق الحكيم .

« عندما تأتي العطلة المدرسية ، كان محسن يعضبها قرب دمهور ،
في مررعة والده حيث يشاهد عراك الشيخ حسن مراقب المررعة العام
مع عبد الحق رئيس الحراس ولاول مصري صيل ، فلاح ، والثاني
عربي بدوي »

كان الشيخ حسن حالساً على مقعد المصروف ، وفي يده مسبحة من
العبر ، لقد كان شاحداً ، وعبد العاطي الاعرابي الذي كان حارس
العربة يصرخ في وجهه بقوة :

والله والله عرجاوي ما يحشها وشرف البدوي نطة الوش من
هادي البارودة ؟؟

— مفيش لروم لشوشرة ، يا عبد العاطي ، ايدها .. اعمل معروف .
— والله هادا الفلاح ما يبات فيها :

— من الصلح حصل بيبكم على بد وكيين العمدة ؟

— احنا بدو شرفاء ما يمشي علينا كلام عمدة الملاحين .

فان هذا وترك الشيخ حسن وسار متعالياً وعلى شفته انفراجة اردراء ،
ومر في طريقه بمحسن ، وكان قد وقف عن كئيب يرى ويسمع غير
مريد قطع المحاوره بينهما . فما دنا عبد العاطي ناداه وسأله عما قله للشيخ
حسن منذ لحظة ، وعن السبب في حقه على عرجاوي الفلاح . فأجابه
الحصير البدوي في صلف بان هذا الفلاح الهني عرجاوي يريد الزواج من
أخته البدوية ، وان أخته هامت بهذا الفلاح ، ولم يُفلح في ارجاعها
عنه لا الضرب المبرح والنصح ولا المعاييرة بنزولها عن محندها البدوي الى
الافتران بفلاح ، وفي النهاية انتقت مع عرجاوي على الهرب والزواج به

على ارفع من ارادة احرها عند العاطي . فوسم عند العاطي ن لا شع
عينه على عرجاوي هذا حتى يقتله .

وقد حاولوا تصحيح هذا . وحاولت اخصاة البدوية استعصاف احرها
وساقت اليه من يعبر رأيه فيها وفي روحها الملاح ولم يسمع كس ذلك .
واصر عند العاطي على تشييد كدسته هذا ما فهمه محسن من هذا البدوي
وعندئذ نظر اليه وسأله في رفق .

- يا ابي . احسن من الملاح . عند العاطي .

فأجابه الخفير وهو يحدق به مستغرباً جهله .

- كيف يا بيه البدوي مثل الملاح ؟

- ايه الفرق بين الاثنين ؟..

- كيف .. كيف يا بيه ؟ البدوي اصبل .

- والفلاح مش أصبل ؟..

الملاح عند ابن عبد ، احسا بدو ما درصى الفصيم .

ترك محسن عند العاطي وسار وحيداً يفكر فيما سمع منه . وقد تذكر
قول مدرس تاريخ مصر القديمة ان املاح المصري الحاضر ان هو الا
دهك املاح المصري العيسار ، الذي كان يعيش بحرث وبررع نفس
الارض قبل ان تكون البدو بدواً . ولقد توالت العصور عليه ، وتوالت
الأمم ، لكنه لبعده عن المدن واحصر ولاعنصامه يبطون القرى رثياً عن
مهب العواصف السياسية والاجتماعية في العواصم حيث تقيم الأمم الصغيرة
عبادة واحتياط بالاحساس لم يستطع طول الزمن ولا تقسماته ان تعبر من
شبه شيئاً . فبال هذا الملاح من يصح اتهامه بان لا اصل له ؟..
وهو اصل الاصول ..

ولكن العيب عيب الملاح وحده ، لانه يحول اصله هذا . بينما البدوي
بتوارث ما يسميه أصلاً اباً عن جد ، وقبيلة عن قبيلة . ثم ليس من
دلائل الاصل المرئي . ان القبيصة التي طبع عليها الملاح ، وذلك الهدوء وحب

السلام عنوان المدنية والاستقرار ، بينما هذا البدوي لا يزال على الوحشية
وحب الحرب والثار والدم ... بقايا الحياة الاولى الهمجية الملقة غير
المستقرة التي اساسها الغزو والسلب ونهب القبيلة للقبيلة ، ولكن الفلاح
يجهل أيضاً كيف يدافع عن نفسه ، فيقول : « ان طبيته وحببه للسلام
ان هو الا نتيجة اصله الرراعي العريق وما تطلعه حياة الزراعة من السلم
والاطمئنان ونمذ الغزو والسلب ، حياة مدنية اجتماعية لا حياة وحشية برية
جديدة . فهدوؤه وسلامه ، كرم اصل ، لا عودية ولا حسة عدا بن عبد . »
وأم محسن التركية الاصل تعامل الفلاحين كالعبيد ونقسو على الناظر
الذي يشرف على العربية لقد كانت تنتظر ضيوفاً عرباء نود ان تقيم لهم
مأدبة فاخرة وبعد ان التفت نظرة على ثياب الناظر طلبت اليه :
- امش يا راجل يا فلاح ، اليس أحسن هدوماك .

فاطرق الرجل حرجلا ولم ينس بحرف وقد احمر وجهه قليلا ولاحظ
محسن حمية ذلك فتأثر له ، ورأت الست وجومة فاعادت الكرة بقوة
هذه المرة :

- الله الله عجائب ، واقف ليه ؟: مستنظر ايه ؟..
فأجاب الرجل بصوت ضعيف متلعثم وابتسامة الساذج الحجل وهو ينظر
الى الارض :

- ما هو ده يا ست احسن ما عدي ، وسكت قليلا مطرقاً ثم رفع
رأسه وقال في بساطة واعتقاد وهو يتناول طرف ثوبه ويريه للسيدة :
- دى شينه يا ست ؟: وحياة رأس النبي دا غزلي ...

فلم تتنازل السيدة الى رؤية ثوبه وادارت ظهرها ومشيت الى عمل
تلاحنه ، وسار خلفها محسن وهو يود لو يخلو اليها ليرجوها ان تخفف
من وحشتها على هؤلاء القوم وليفهمها ان هؤلاء الفلاحين المساكين لا
يعرفون لاهية .

ما فاربت الساعة الواحدة ظهراً حتى نبح كلب الغزبة دليل قدوم
غريب . وبدأ عمار العربية بنجلها عند الجسر ومرت تحت الجميزة ودخلت

حرف العربية . و برل منها افرخيدون بالذعات ثم لك صاحب المدر
« وبعد اعداء جلس الضيفان برشتان لقهوة وقد عرف في كرسين
كبيرين ووجهها قناة نافذة مملوكة على مصراعها . تطرح اسم
طربها قضاء حصر لا حد له . وسكون ساعة الضهيرة التام حيث
الملاحون في دورهم يستريحون او تحت طلال السط والبليح قرب
السواني . سكنت الهائم ابصاراً . وريص الكلب وأغمض إحدى عينيه .
حتى الطيور من قمر وادي حصاده كثرها في هدة قد هدأت على الاغصان
فوق رؤوس الملاحين الراقدين وقد انطلت رقرقها وانخسدت تشعل
الوقت تفلي ريشها بمنقارها بعضها البعض ..

وهباً عندئذ على الضيفان بسم عليل فاعلق الفرنسي اهدابه بصف
اعلاقة . ورفيقه الانجليزي دس يده في جيبه واخرج عليونه عندئذ
قال الفرنسي في صوت ناعم :

الا يؤثر فيك هذا السيم الرقيق يا مستر بلاك ؟

فالتفت اليه الانجليزي ثم اتجه الى النافذة كأنما يبحث عن هذا السيم
يريد ان يراه بعينه . وكان الملاحون قد بدأوا ينهضون زرافات
ووحداً انا كل يحمل رأسه او محله كي يستأنفوا اعمالهم في الحقول فقال
الانجليزي لرفيقه :

لا أرى الا سراً من ذوي الجلابيب الزرقاء ... فطر الفرنسي
الى الملاحين ثم قال معجباً : « ما اجمل ذوقهم . ان لون لباسهم
كلون سمائهم » . فارتسمت على هم الانجليزي ابتسامة تهكم وقال :
« انك ندع اذ تحسب هؤلاء الجهلاء ذوقاً » فاجاب الاثري الفرنسي
بايمان وقوة :

« جهلاء » ان هؤلاء الجهلاء يا مستر بلاك اسلم منا .

فصحك الانجليزي وقال في تهكم :

« الأسف يا سيدي مع انك في عروة واحدة ! ! ! »

فأجاب الفرنسي بجد :

- «نعم، بالاخص لانهم ينامون مع البهائم في غرفة واحدة» .
قالتت اليه مستر بلاك محذراً مبتسماً : « انها نكتة طريفه يا مسيو
فوكيه . » فأجاب الفرنسي : بل الحقيقة حقيقة تجهلها أوروبة للأسف...
نعم ان هذا الشعب الذي تحسبه جاهلاً ليعلم اشياء كثيرة . ولكنه يعلمها
بقوله لا بعقله . ان الحكمة العليا في دمه ولا يعلم . والقوة في نفسه ولا
يعلم . هذا شعب قديم ، جىء بفلاح من هؤلاء واخرج قلبه تجد فيه
رواسب عشرة آلاف سنة من تجارب ومعرفة رسب بعضها فوق بعض
وهو لا يدري .

« نعم هو يخجل ذلك . ولكن هناك لحظات خرج منها هذه
المعرفة وهذه التجارب فتسغه وهو لا يعلم من اين جاءته . هذا ما
يفسر اما نحن الاوروبيين تلك اللحظات من التاريخ التي نرى فيها مصر
تطفز طفرة مدهشة في قديم من الوقت .. وتأتي بأعمال عجاب في طريقة
عين . كيف تستطيع ذلك ان لم تكن تجارب الماضي الراسية قد صارت
في نفسها بصر الغريزة ، تدفعها الى الصواب وتسعفها في الاوقات
الخرجة وهي لا تدري . لا نطن يا مستر بلاك ان هذه الآلاف من
السنين التي هي ماضي مصر قد انطوت كالحلم ولم تترك أثراً في هؤلاء
الاحفاد . اين اذن قانون الوراثة الذي يصدق حتى على الجهاد ؟

« ولئن كانت الارض والجبال ان هي الا وراثة طبقة عن طبقة
فلماذا لا يكون ذلك في الشعوب القديمة التي لم تتحرك من ارضها ولم
يتغير شيء من جوها او طبيعتها ؟؟.. نعم ان أوروبة سقت مصر
اليوم ، ولكن بماذا ؟. بذلك العلم المكتسب فقط . الذي كانت تعتبره
الشعوب القديمة عرضاً لا جوهراً ودلالة سطحية على كثر دفين . ان كل
ما فعلناه نحن الاوروبيين الحديثي النشأة ان سرقنا من تلك الشعوب

القديمة هذا الرمز السطحي دون الكثر الدفين .

« بدت حتى ياورسي واضح قلبه نخبه خائياً خائياً . الاوروسي
انما يعيش بما يُدعى ويُعلم في صعر حياته لانه ليس له تراث ولا
ماص يسعفه بعير ان يعلم . احرم الاوروسي المدرسة يصح احوال من
الحوال . قوة اوروية اوحيدة في العقل .. تلك الآلة المحدودة التي يجب
ان نلأعنا نحن بارادتنا ، اما قوة مصر فن القلب الذي لا فاع له .
ولها كبر امصربون القدماء لا يمكنون في لغتهم القديمة لفظة يميزون
ما بين العقل والعقل والقلب عندهم كان يُعبر عنها بكلمة
واحدة هي « القلب » .

وسكت الانري افرسي برهة ونظر الى وجه المستر بلاك ليتعرف الى
اثر ما قلناه فيه فوجد ملامح جامدة وشفتين تفرحان عن ربة وشك .
فاستطرد الفرنسي يقول :

« نعم يا مستر بلاك هؤلاء الفلاحون لهم ذوق جميل . وهم ان
سألتهم عن كلمة ذوق لجهلوا معناها . اما نحن فنعرف جيداً معنى هذه
الكلمة . ولكن ثق ان فيها عدداً كبيراً ليس له ذوق ، نعم هذا هو
الفرق الوحيد بيننا . انهم لا يعلمون ما عندهم من كنوز »
« عندئذ هم الانجليزي بالسفوف وهو يقول منهمكاً :
- انكم معشر الفرنسيين تضحون بالحقائق في سبيل الكلام ؟ فأجلسه
مسيو فوكيه بيده وقال محتداً :

الحقائق معي يا مستر بلاك ، انك تعرض بضعف هذا الشعب
الآن ... أليس كذلك ؟؟

- وايضاً اخلاق اهله لا تعجبني .

- اخلاق اهله ؟..

- نعم :

- ثق يا مستر بلاك ان الفاسد من هذه الاخلاق ليس من مصر بل

داحه عندها من ام أخرى كالأتراك مثلاً . ومع ذلك فلا يؤثر هذا في
الجوهر الموجود دائماً .

— قل ما هو هذا الجوهر ؟

— ادك ترتاب في قولي . ولكن اكفي بان اقول لك احترس ..

احترسوا من هذا الشعب فهو يخفي قوة نفسية هائلة . «

والتفت اليه مستر بلاك . ثم عاد وابتهم ابتسامه متهمكة وقال :

« ابن تخفيها يا مسيو فوكيه... » فاجاب المرسى بهدوء واقتناع « في

الشئ العميقة الذي خرجت منه تلك الاهرامات اثلاث » .. فقال الانجليزي

في فتور : الاهرامات ؟؟

نعم الاهرامات التي قصدها شاميون بقوله « لا استطيع ان

اصفها اد ان شيئاً من اثني امان كلامي لن يعثر عن جزء من الف

مما يحب ان اقول . واما اني لو اردت رسم ابيت صورة للحقيقة لعدني

الاس مغرقاً في الحماسة او مجنوناً . ولكن اقول شيئاً : اولئك القوم

كانوا يشيدون كعمالقة طولها مائة ذراع »

عندئذ نظر الانجليزي وقال باسماً : « كل هذا خرج من بشر . اي

بشر ؟ » فاجاب فوكيه بهدوء : « هذا » وأشار باصبعه الى الجهة

اليسرى من صدره « القلب » . ارى ان قولي لم يعجبك يا مستر

بلاك — اعترف بذلك — نعم ان لنا العذر ان لا نفهم هذا ان لغتنا

نحن الاوروبيين لغة المحسوسات . انما لا نستطيع ان نتصور تلك لعواطف

التي كانت تجعل من هذا الشعب فرداً واحداً يستطيع ان يحمل على

اكتافه الاحجار الهائلة عشرين عاماً وهو باسم الثغر مبتهج الفؤاد راض

بالألم في سبيل المعبود ، اني لموقن ان تلك الآلاف المؤلفة التي شيدت

الاهرام ما كانت تساق كرهاً كما يزعم هيردوت الاغريقي عن جهل

وحماقة . .. انما كانت تسير الى العدل زرافات وهي تنشد نشيد المعبود

كما يفعل احفادهم يوم جني المحصول . نعم كانت اجسادهم تدمى ،

ولكن ذلك كان يشعرهم بلذة خفية ، لذة الاشتراك في الألم من أجل
سب واحد وكأوا يصرون إلى السماء تنظر من بينهم في سرور لا
يقبل عن سرورهم رؤية الخمر القابعة تقدم قرابين إلى المعبود . هذه
العاطمة ، عاطمة سرور الألم جماعة ، عاطمة نصير الحميل والاحتمال
الناسم الأهوال من أجل سب واحد مشترك عاطمة الإيمان بالمعبود والضحية
والانحداد في الألم يعبر شكوى ولا ابن . هذه هي قوتهم »

انصب عندئذ المقتش الاخير في كرسبه وقد بدا على ملامحه
معنى الحر والاهتمام وكأنما قد افحمه بعض ما سمع وفيما هو كذلك
هت السيم عبيها هنة حملت ان ادسها في هذا السكون التام اصوات
الملاحين يهون عن بعد عواء حميلاً ، فاشترأت التردى قلبلاً ثم اشار
اليهم وقال :

- هل رأيت في راء آخر شفى من هؤلاء المساكين ؟ انت مقتش
ري ونعم جيداً يا مستر بلاك ، أوحدت افقر من هذا الفلاح لمصرى
أو أهول عملاً . اني اعلم ذلك انا ايضاً فقد اشتعبت بالحمر عن الآثار
في قرى الصعيد . وخالطت بعض الملاحين وعلمت كل شيء ، عمل
ليل سهار في الشمس المحرقة والبرد انقارس . وكسرة من حيز الدرة
وقطعة من الخبز مع بعض الاعشاب من السريس وعيره مما يست وحده ،
نصحية مستمرة وعمر دائم . ومع ذلك فيها هم يغنون اسمع برهة
يا مستر بلاك ...

وسكت الأنري نفريسي هنيهة كأنما يستعمر روح هذه الاغنية التي
تأتي مع النسيم ثم استطرد يقول :

- اسمع هذه الاصوات المجتمعة الخارجة من قلوب عدة الانحلا
خارجة من قلوب واحدا ؟ اني اؤكد ان هؤلاء اقوم بحسون لسة في
هذا كبح مشترك . هذا ايضاً الفرق بيننا وبينهم . اذا اجتمع عمل
على الألم احتسوا جرائم الثورة والعصيان وعدم الرضا بما هم فيه .

وان اجتمع فلاحوهم على الألم احسوا السرور الخفي واسده بالاحاد في
الألم ، ما اعجبهم شعباً صناعياً غداً ؟...

اسند المنشئ الانجليزى يده الى حبيه لحجه كالمنامل ثم قال
- ما كنت احسبك حاداً وانت تفهمني ان بين مصر اليوم ومصر
بالامس علاقة .

فاجاب العالم الفرنسى :

- واي علاقة قلت واقول ايضاً ان الجوهر هو ابدأ ان هؤلاء
الملاحين الذين دعوا من قبل واحد المتعددين الذين تجمعهم
العاطفة والايثار في واحد ... ما زالوا يعون بشوهم ولا يعلمون
ثلث العبارة التي كانت احداهم يدعون بها موتهم في الجحائر وعندما
يصير الوقت حاوذاً سراك من حديد لثلاث صائر الى هناك حيث الكل
في واحد .

وها هم الملاحون الاحقاد من حديد يدكرون من اعمق قلوبهم
ان الكل في واحد وصمت العالم الفرنسى قليلاً وعنده ينس المنشئ
الانجليزى قائلاً ، وكأنه لا يزال تحت تأثير ما سمع « شيء غريب »
واجاب الاثرى الفرنسى : « نعم ومع ذلك هو ذكرت ان هذه
العواطف هي التي شيدت الاهرام لزال عجبك . والا فكيف كنت تريد
ان يبني هذا الشعب بناءً كهذا ان لم يكن هذا الشعب كنه قد تحول
في وقت ما الى كتلة آدمية واحدة تستعذب الألم في سبيل واحد » وهو
يمثل المعبود ورمز الغاية ... »

فما كان من الانجليزى الا ان لمعت عينه لمعاناً لا احد يدري ان كان
بارقة الاعجاب او الفسق وهمس وهو يهكر : « صدقت صدقت »
فاردف الفرنسى الاثرى يقول : وكأنما يختم مقدمانه السائفة : « ان
هذا الشعب المصري الحالي ما زال محتفظاً بشك الروح » فساله الانجليزى
على الفور : « اي روح ؟ » فاجاب بثقة وتؤدة : « روح

المعبود .

هزل الانجليزي الغليون من قه وسدد نظرات جامدة ساهمة الى
الساعة ، ولعلت اليه الفرنسي وكثما ادرك ما في نفس الانجليزى من
قلق فابتسم حفية ثم وضع يده على كف الانجليزى وقال له بغته ..
احل يا مسر بلاك ؟ .. لا نستهن بهذا الشعب المسكين اليوم ان القوة
كامنة فيه ولا ينقصه الا شيء واحد .

- ما هو ؟ ..

- المعبود .

فصر الانجليزى اليه نظرة لا يدري امعاها الاستيضاح ام الموافقة
فاجابه الفرنسي بعد هنيهة :

- نعم ينقصه ذلك الرجل الذي تتمثل فيه كل عواطفه وامانيه
ويكون له رمز العاية عند ذاك لانعجب لهذا الشعب المتعانس المتجانس
المستعد للضحية اذا اتى بمعجزة اخرى غير الاهرام .
لا ريب ان هذا المص الذي اقتبسته من رواية « عودة الروح »
لتومبى الحكيم قد كان ذا اثر بليغ في نفس الطالب جمال عبد الناصر
الذي توقف عنده طويلاً وتأمله .

والمعجزة التي حدثت سنة ١٩١٩ . عندما جسد سعد زغلول الارادة
الوطنية في مقاومة الجملرة كان لا بد من ان تتكرر في اعتقاد جمال
اذا قبض الله لشعب مصر رجلاً يعرف كيف يوحد صفوفه التي جزأها
الاحزاب ويُنقذه من السياسيين الذين مرقوه واستعبدوه والعائلة الملكية
الغريبة والجيش البريطاني الدخيل .

وليس ما يمنع من ان يكون قد تساءل وهو فتي بعد قراءة هذه
الرواية :

ترى لماذا لا اكون انا هذا الشخص ؟؟؟

وبعد ان اصبح جمال زعيماً لبلده ، كان عليه ان يتذكر عودة

الروح ، عندما تواطأت فرنسا و إنجلترا واسرائيل على تفكيك وحدة
الشعب المصري ، ومن المؤكد انه تذكرها يوم قرر بناء اسد العلي ،
لان هذا العمل الجبار سيستهلك مواد تساوي سبع عشرة مرة حجم
الهرم الاكبر .

جمال يفتش عن حزب سياسي

في صيف سنة ١٩٣٥ تعاقب عبد الفتاح يحيى وتوفيق نسيم على التوالي مكان صدقي الذي اضطرت حالته الصحية الى الابتعاد مؤقتاً عن الحياة السياسية . وُدستور سنة ١٩٣٠ الذي حاربه حزب الوفد بضراوة عُلّقى بأمر ملكي سنة ١٩٣٤ . وأعلن العزم على وضع دستور جديد للبلاد ، وسبب تأخر وضع هذا الدستور حُكِمت مصر عن طريق المراسيم الاشتراعية . والحكومات كانت تنقادونها القوى العاصفة في البلاد ، الملك فؤاد والمفروض السامي البريطاني من جهة ، والمعارضة الوطنية التي تطالب بعودة دستور سنة ١٩٢٣ التحرري من جهة اخرى .

وكان التدخل البريطاني في الشؤون المصرية الداخلية استناداً الى التحفظات الاربعة التي كرسها بيان سنة ١٩٢٢ يُثير الوطنيين . واذ كانت السياسة الداخلية قد فقدت صفتها الدكتاتورية الحديدية التي عرفت بها ايام صدقي ؛ فانها ايضاً فقدت صفتها الديمقراطية الدستورية لذلك كان الكبار ناقلين . والطلاب لما يحيش في نفوسهم من حماسة الشباب قد قرووا في هذا الجدل المضطرب من سلبية الكبار الذين بلوا لهم جبناء .

تذكر جمال عبد الناصر آ نثذ المظاهرات التي اشترك بها في الاسكندرية

لخمس سنوات نخلت حيث تلقى الضربات المترحة بينما كان يهتف
« لنحي مصر » . فتألم من جمود مواظبيه . ومخالفاته عن اتحاد العرب
وطولانهم ابان فتوحاتهم ، وإيمانه بالقوة التي تسبغها على الشعب المصري
وحدة العمل دفعاه الى البحث عن المنظمة التي يمكنه ان ينحدر فيها
للعمل في سبيل تحرير بلاده .

لقد اتصل بالوفديين الذين قد ااصلوا طويلاً بقيادة سعد زغلول
ولكنه لمس ان وصولهم الى الحكم كان خيبة أمل لبلاد ، وان الساسة
المستهين قد عملوا في سبيل مصالحهم الخاصة اكثر من عملهم في سبيل
المصلحة العامة ومصلحة الوطن .

لقد أعجب أكثر بالحزب الوطني الذي عرف بعده ورفضه لكل
تشارل لبريطانية ونخاط ايضاً اعضاء حزب احمد حسين الاشتراكي
« مصر الفتاة » الذين كانوا يتمصاتهم الحضراء يستدون « القمصان الشبية »
للحزب الناري او « القمصان السوداء » للحزب القاشستي . وهذه
الاحزاب المعادية للسامية والاجانب عدااء عنيفاً كانت قد استهوت الشبية
الوطنية التي ينست من جمود الاحزاب السياسية التقليدية . ولمحاربة
نفوذها في هذا الحقل اضطر حزب الوفد لان يخلق منظمة « القمصان
الزرقاء » وكانت تجري مقابلات حماسية بين الفريقين . والجدير بالذكر
ان منهج « مصر الفتاة » الذي يقول اولاً واخيراً « مصر للمصريين »
كان يتضمن تأميم قناة السويس وتصنيع وادي النيل وتوحيد مصر
والسودان .

وكان جماعة القمصان الحضراء يتمرنون في صحراء حلوان على استعمال
القنابل في انتظار الفرصة المناسبة للقيام بالثورة ، وكان رجال الشرطة
يراقبونهم . وفضلاً عن ذلك كان بين أفرادها خليط من العناصر ،
حتى انه قد اندس بين شبابه المثاليين اشخاص « ألفوا عصابات تفرض
على التجار الاعلان في جريدة الحزب لابتزاز الاموال .

وفي هذه المأساة ، لا بد من ان نتساءل . « ترى هل انصم جمال
عبد الناصر الى الحرب الاشتراكي ؟ » ان الآراء مضاربة في هذا
الحصر . ويظهر انه في تميّشه عن منظمة وخطية ماضلة قد أعجب
خاصة بمنظمة « مصر الفتاة » ، ولكن نزاهته قد دعت الى كره احمد
حسين المشكوك في سيرته . ومع ذلك بقي الى علاقة طيبة مع نائب رئيس
هذه المنظمة السيد فتحي رصوان ، الذي أصبح فيما بعد وزيراً للإرشاد
القومي في حكومة الثورة .

وفي مدرسة النهضة كان جمال عبد الناصر ينشئ بحماسة زائدة مع
رفاقه في الشؤون السياسية وكان اساتذته يحاولون تهدئته اد ان الحكومة
كادت تود ان لا يتم الطلاب ، لا سيما طلاب الكليات الثانوية ، شيء
غير دروسهم . وكانت السياسة وفقاً على انكار ، ولكن جمال نفرد
على هذا الامر ، لأن أوصاف بلاده السيئة أثرت فيه وجعلته لا يستطيع
الثناء سلباً ، فبحث وتحدث عن السياسة في ماعب المدرسة . كما دعا
روايته الى بيته الصغير في شارع حميس العباس ، أو حديقة مسجد الصاهر ،
أو ابعث في مسجد سيدي الشعراوي حيث اعتاد ان يدرس .
كان عمر جمال عبد الناصر آنئذ سبع عشرة سنة ، ولكنه كان يبدو
أكبر من سنه . ونفوذه كان وليد رصانته في الاستقصاء عن الاشياء .
وكان يحرص على ان يجمع حوله الرفاق الذين يشاركونه آراءه
السياسية .

وقد روى حسن النشار صديق الدراسة الحميم لجمال عبد الناصر كيف
حاول الطالب جمال ان يتصل برجال السياسة وبالمنظمات الطلابية :
« لقد قررنا ان نصل بزعيم حزب سياسي . فحصدنا على موعد
في شهر الاثاء في الثاني عشر من شباط سنة ١٩٣٥ . لقد كان ذلك
الزعيم شخصية « رزة » ، كان وزيراً .
« وعندما وصلنا كان خارجاً من مكتبه ، فأسرع جمال ليلحق »

أمام المصعد وقال له : لقد ألفنا وفداً من التلامذة ونحن نود ان نعرف رأيك عن افضل طريقة لخدمة مصر ؟!

« لقد لاحظنا جميعاً الجرأة التي اندفع بها جمال عبد الناصر ليتكلم بها مع وزير ، دون تردد . لقد كانت هذه ميزة من ميزاته . وقد نصيح الوزير في ذلك الحين الاتصال بطلاب الجامعة ، وكما نعلم انهم كانوا يجتمعون في ناديتهم .

« وبعد مضي شهر من الزمن توجها لثانية الطلاب الجامعيين ، ومع الاسف كانوا يتناقشون في أمور غير محدية ، كما وان يبحثون في كيفية املاء مراكز اللجنة التنفيذية بطلاب ، فمن سيكون الرئيس ، ونائب الرئيس ، وامين السر ؟

« لقد بقينا الى آخر الاجتماع آمين ان ينتقل البحث الى معالجة الامور التي تشعل باسا لندرس تحديد الشبهة ضد الفساد والاستعمار . ولكن مثل هذه الامور لم تكن لتحظر في بائهم ، ولذلك قررنا ان نعمل وحدها . وان نؤلف لجاناً من طلاب المدارس الثانوية الرسمية والخاصة . «

لقد عاد جمال مع رفاقه الى المدرسة فاشطين حذقين . ولكن عريبتهم لم تثبط ، ومما ان اساسه الكبار سلبون ، وطلاب الجامعة مشمولون بسفاسفهم ، لذلك سيجتمع الطلاب الثانويون وحدهم للاحتجاج واشغال الجذوة الوطنية في النفوس .

وكان الطلاب الوفديون يملكون الاكثريه الساحقة في لجنة اتحاد الطلاب الجامعيين . ومع ذلك وفق عبد العزيز الشوريجي الطالب الحقوقي والعضو في الحزب الوطني الى ان ينتخب عضواً في اللجنة العليا للاتحاد ، وكان ذا علاقة بالجنة الطلاب الثانويين ، لا سيما بالطالب الثانوي جمال عبد الناصر . وقد ذهبت لمقابلته في مكتبه ، ولما أبغته عن غرضي ، استعاد دكريات عام ١٩٣٥ ووصف لي جمال عبد الناصر ، كما عرفه في ذلك الوقت ، فقال :

... من جهة العناصر ... كما تصور سياسي معين . كان
صاحباً في دن عالم المشرق كان يذهب إلى هذا وهناك . ويزور
مركز الأحداث السياسية آملاً أن يجد فيها الحزب الذي يتحدون مع
أمناء الوصية وقد بدأ له الحرب لوفدي مريداً في شعبته وتنظيمه لأن
الشعب كان متناً حول رعيته يُصفي عنه قوة لا يستهان بها ولكنه
كان أكثر شأناً مما كانت « مصر الفتاة » والحزب المثالي الذي
بعض العناصر الضرورية لتحقيق لاماني الوطني لم يكن له وجود
في نظره . .

صديق يكتب إلى صديقه

مع الصيحات جاءت إعطاة وتفريق الطلاب . على الرغم من ذلك ظل
حماي على اتصال به . كـ يكتب هم للإبقاء على حدود الروح
الوطنية في نفوسهم

وهذه رسالة كتبها حماي عبد الناصر إلى صديقه حسن الشار في الثاني
من أيلول سنة ١٩٣٥ :

« صديقي حسن ، لقد انصابت تليهنياً بوالدك لأنسم أحمارك ،
وعلمي أنك كنت في المدرسة . لذلك أكتب لك ما كنت أود أن
أقوله لك عن كتب وبصراحة لقد قال الله تعالى « وأعدوا لهم ما
استطعتم من قوة » .

فأين هذه القوة التي أعدناها لهم ؟

إن الحالة اليوم حرجية ، ومصر تعيش في الدوامة ، ويبدو لي أن

البلد ينازع :

إن اليأس قد بلغ أشده . وامن في قدرته أن يبذل هذا اليأس »

إن حكم مصر قائم على الفساد والمحسوبية ، فمن يستطيع أن

يغير ذلك ؟

السنور مدلق ، والحماة مستعل ، فمن سينول للاستعمار ، وقت
مكثك ١١ لا ريب ان في مصر انساناً ذوي كرامة يأبون ان يموتوا
كالحيوانات .

ابن وطبة سنة ١٩١٩ الهية ؟ .. اين هم اولئك الذين يقيمون على المصحبة
بجبانهم من اجل تحرير مصر ؟ اين ذك الذي يستطيع ان يعيد بناء
الوطن ، لينمكس المصري الضعيف الدليل من ان يرمس رأسه ويعيش
سبداً كريماً في بلده ١١؟

ابن العرة " وابن الوطبة " اين تلك الروح التي تسمى حيوية
الشعب ، كل ذلك قد تلاشى وانحطت بانهم كدس الكهف ، من
يستطيع ان يوطأ اولئك الذين يقيمون في بيوتهم عن حالهم ؟
لقد قال مصطفى كامل « لا حياة مع اليأس » ، واياؤنا عندنا
الآن على أشده ، اما نراجع يا صديقي ، وانا ننتقل الى الوراء ،
خمسة سنة الى الوراء ، لقد عدنا الى عهد كرومر . وكرومر في ذلك
الوقت وجد من يقف في وجهه يرغمه على تقديم اسأله ، من يستطيع
ان يثامم اليوم ويتنضض مضاجع امثال كرومر ؟ الجميع يزحفون
وراء الاستعمار والشيء الوحيد الذي يخيدونه هو الرياء .

يقولون ان المصري رعديد يخشى المصحبة مهما كانت خفيفة ، انه في
حاجة ان زعيم يقومه في معركة الفضال والكساح من اجل بلده . عندئذ
نجد هذا المصري كاصفاقة يفتي الرعب في امع معافل الضغيان .
وقال مصطفى كامل ايضاً : « لو انتقل قاضي من اليسار الى اليمين ،
ولو نرحلت الاهرام من مكانها وغير البيل مجره لما حدث عن
الماء اني آمنت بها . »

ان جميع ما حصل حتى الآن ان هو الا مقامة لعمل اهم واشمل ،
لقد قلنا مراراً اما سعمال معاً لا يخط الشعب من عنوته ، وبعث القوي
الكامة في بيوت اسائه مع الاسف حتى الان لم يفعل شيئاً .

ولهذا انا في انتظارك يا أخي ، لتأتي الي في الرابع من ايلول سنة ١٩٣٥ في الساعة الرابعة بعد الظهر لتداول في هذا الأمر ، آمل الا تفوت هذا الموعد .

انه مستند فريد ذلك الكتاب الموجه من فتى يافع في السابعة عشرة من عمره الى أحد رفاقه . إنه يبدأ بآية من القرآن هبط بها الوحي في إحدى المعارك على النبي وأمر اتباعه ان يستعدوا جيداً ويستجمعوا قواهم ليصدوا المشركين .

ان الله هو الذي امر بالاستعداد للمعركة ، على لسان نبيه ، وهذه الآية ما زالت تبعث الحيوية في النفوس وتحركها فلماذا لا يبدأ بها جمال عبد الناصر رسالته ؟؟ ولماذا لا يضع نشاطه القومي تحت رعاية الله ؟ ولكن ما هي القوى التي يستطيع هؤلاء الشباب الوطنيون ان يستجمعوها ؟ اننا بعيدون جداً عن حماسة سنة ١٩١٩ ، والوصول الى الحكم ومراوئته قد افسدا حزب الوفد ولم يعد همّه الا ان يرعى المرشحين الذين يحركون الدفع لصندوقه ويمولون فيما بعد نفوذه في البرلمان ، لقد فقد هذا الحزب الكبير قيمته ونفوذه واصدق دليل على ذلك ان الملك وصدقي ومن ورائهما الاخليز استطاعوا ان يقيموا النحاس مرات من احكم دون ان يؤدي ذلك الى الثورة في البلاد . وحتى بعد اعتكاف صدقي تمكن توفيق نسم ان يفرض السكينة على الشعب .

ان نشاط الشباب قد تلاشى . والشعب نائم نومة اهل الكهف التي دامت قروناً ثلاثة : لقد لاحظ جمال عبد الناصر بأسف ان مصر تتقهقر عوضاً عن ان تتقدم في طريق الاستقلال . والمقروض السامي البريطاني السير مايلز لميسون كان يذكره بالورد كرومر ، من مصر غير استوح ، الذي حيء به في عهد الحديوي توفيق ، بعد فشل الثورة العربية وقبل انتشار رسالة مصطفى كامل التي بعثت الروح الوطنية المصرية . ان مصر في حاجة الى قائد يقود الشعب الى المعركة ، قائد حديدي

الارادة بخرج معجزة تفوق معجزة الاهرام كما كتب توفيق حليم في
كتابه «عودة الروح» هذه الروح ابعثت سنة ١٩١٩ ثم فقت مصر
من حديد على يد السياسيين الادبيين المأجورين

ان الرسالة التي ذكرناها على الرغم من الانفجارات اليائسة التي تحتويها
تنتهي بملاحظة احتجاجية بلاءة اد ان حال عبد الماصر لم يستسلم الى اليأس
بل دعا صديقه المشار لبحثا معاً عن الطريقة الماحقة لسد العجز الذي
نخفه وحال اسباسة . ان الواجب يفرص ايثار الشعب . والكشف على
القوى الكامنة ولهذا . انا في انتظارك يا أخي لتأتي في الرابع من ايلول
في الساعة الرابعة بعد الظهر لتداول في هذا الامر .

ترى الا تؤثر في النفس هذه الشجاعة التي يواحه بها الوطني الشاب
المهمة الشاقة لاجلاء الحدود الوطنية المصرية مرة اخرى . انه يذكر
« داود » الصغير بواحه العملاق جيلات اد يدفع على المسحدر الصخر
العائد عليه باستمرار .

جمال ينظّم المظاهرات

في تشرين الاول سنة ١٩٣٥ عاد الطلاب جميعاً الى المدارس ، وفي هذا الخصوص يروي اسناد الخرافية في مدرسة النهضة السيد فكري ابراهيم فيقول :

« في يوم العودة الى المدارس اجتمع تلامذة مدرسة النهضة جماعات جماعات في الملعب واحدوا يتجاذبون اطراف الحديث ويروون كيف أمضوا آخر ليلة من ليالي العطلة .

فهنا خرج مع رفاق له ، وآخر قام بتسلّيات اخرى . جمال وحده بقي صامئاً يستمع الى رفاقه . كان يبدو أكبر سناً منهم ولما سأله أحدهم وانت يا جمال كيف أمضيت سهرتك ؟ ... اجاب .
- لقد طالعت كتاباً عن شخصية النبي محمد .

فارتج على الرفيق وسكت . لقد كان الجواب صدمة له ، فكيف يتسلى قى في عمر جمال بقراءة كتاب عن النبي محمد نبي المسلمين .
ان هذا الجواب الذي ورد على لسان معلم جمال عبد الناصر يدل أبرز دلالة على المشاغل التي كانت تحتل نفس الشاب . ويُفصح الأستاذ فكري ابراهيم بعد ذلك عن ميزتين من مميزات جمال عبد الناصر فيقول :

« تشاجر رفيقان دت مرة فحكما جالاً فيما بينهما وعرضا عليه
قضيتها . ودون تردد قال حمل لأحدهما : « الحق مع صديقك ...
وعليك ان تعتذر له »

« فغضب هذا وقال لجمال : « انك متحيز له لأنه صعيدي مثك »
فابتسم جمال وأجابه بهدوء : « هل هو من العار ان يكون المرء
صعيداً ؟؟ بالنسبة لي انا ، اني فخور بكوني صعيداً ، فالصعيدي
هو رجل بكل معنى الكلمة ، لا يتارل ابداً عن حقوقه مهما كفه
ذلك . »

وعلى أثر ذلك اعتذر الصديق واعترف بأخطائه .

انا يحب ان نتذكر هذه العبارة « الصعيدي هو الرجل الذي لا
يتنازل مطبقاً عن حقوقه » دائماً ، لاسيما عندما نتحدث عن المفاوضات
التي دارت مع التحليز بشأن قناة السويس ، وفي المباحثات من أجل
التعويضات المطلوبة لما سببته حملة خريف سنة ١٩٥٦ . وفي كل هذه
المواقف بدا جمال عبد الناصر المفاوض الذي يتمسك بحقوقه ، بكل حقوقه ،
لا يتنازل عن أي قسم إلا اذا تنازل البريطانيون من جانبهم . والفرق
شاسع بينه وبين الخديويين الاتراك الذين كانوا يتعاملون مع اوروبا
كأسياد أسخياء ، يمنحون الامتيازات ويوزعون الهدايا بكرم زائد ، في
وقت كان الشعب يدفع ثمناً باهضاً لهذه السياسة الباذخة .

وهذه رواية اخرى جاءت على لسان فكري ابراهيم :

« كان استاذ الجغرافية يلقي درساً عن تأثير المناخ والبيئة على
الاسان ، فقال ان سكان المناطق المعتدلة يمتازون بالحيوية والشايط ،
والارادة القوية ، والميل الى الاستقلال ؛ ولذلك هم قادرون على بسط
نفوذهم وسيطرتهم على غيرهم من الشعوب . وأصدق مثل على
ذلك انجلترا .

« عندئذ سمر جمال عبد الناصر نظره بالاستاذ كأنه يريد إثارة .

واكتفى بأن يقول بكل أدب : « اني لا أوافقك فيما ذهبت اليه يا
استدي . ان ما تسميه برعة استبدالية ، وقدرة على السيطرة ، وما
تعتبره فضيلة وميرة ، ليس في رأيي سوى تكالب خبيث : اني أرى
فيه نقيصة وليس فضيلة . »

ان السيد فكري ابراهيم لا يستطيع اليوم إلا أن يوافق الوطني البعيد
النظر فيما ذهب اليه .

وها نحن في تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ لقد مضت سنة كاملة على
وجود توفيق نسيم في الحكم . وعلى الرغم من وعوده اني قطعها لم
يطبق الدستور من عتله . رحل السياسة دفون ، واصحاب تمنح
باستمرار . ومع ذلك لم يكثرث رئيس الوزراء الذي يدعمه القصر وبريطانيا
لكل هؤلاء .

في تلك الاثناء أشعلت بريطانيا النار في البارود . ففي خطاب اقامه
في العاشر من تشرين الثاني في « جيلد هون » السير صموئيل هور وزير
الدولة للشؤون الخارجية ، صرح أنه ليس صحيحاً ان بريطانيا تعارض
عودة الحياة الدستورية في مصر . وقل بالاصافة الى ذلك : « عندما
استشارنا أولو الامر ، قلنا لهم اما ضد عودة دستور سنة ١٩٢٣ وسنة
١٩٣٠ ، لأن الاول غير صالح للتطبيق في مصر ، والثاني لا يرضى
عنه الشعب المصري . »

وبذلك انضح رسمياً ان رئيس الحكومة المصرية يطلب التعليمات من
لندن حتى في الشؤون المصرية الخاصة التي لا تدخل في نطاق التحفظات
الاربعة . وها هي ذي إنجلترا وراء الملك فؤاد تُعلن ان الدستور الذي
وضعه جهابذة النابون المصريين غير صالح لمصر . وان سير مصر نحو
الاستقلال التام قد توقف ، وسيطرة بريطانيا على البلاد ترسخت .
فما كان من الصحافة المصرية إلا أن ثارت . غير ان الاحزاب
السياسية انقسمت على نفسها ، وكانت بعيدة جداً عن الوحدة الوطنية

بي تيڤورت سه ١٩١٩ . ولم يكن في الميدان سوى الطلاب الذين
ترأسوا حركة الثورة وقادوها ...

في الحادي عشر من تشرين الثاني عداة نصريح السيد صموئيل هور .
انطلق المتظاهرون في شوارع القاهرة يرددون هتاف : « ليحيى الاستقلال
وليُسقط الاستعمار » فنصدى لهم البوليس عند جسر بولاق ، وارتدوا
الى جسر عباس نحو جزيرة الروضة . ومن جديد صدمهم عند الجسر
باصير الخرب من قصر الامير محمد علي راکو الدراجات النارية من
الاحبر سبن كانوا يصفقون امام عى المتظاهرين ، فسقط عسدد من
الحرحى ، واستشهد الطلاب عدد المقصود شبكة ، واعتقل عدد من
الطلاب الآخرين .

بعد بضع ساعات اجتمع جمال عبد الناصر باعضاء اللجنة التنفيذية
لائحة الطلاب اسويين انى برئسها وتباحث الجميع مع عبد العزيز
اشورخى مدوب لجنة اتحاد الطلاب الجامعيين ، فنقرر ان يجتمع الطلاب
في اليوم التالي في ساحة الاسماعيلية (ميدان التحرير اليوم) بمصالية
بعودة الحياة الدستورية .

في امس عشر من تشرين الثاني صباحاً احتشد الطلاب من ثانوين
وحاميين في الساحة وتصدق عبد العزيز على مصباح هناك وبدأ يخطب في
رفده الطلاب فاذا بالبوليس المصري يهاجم الطلاب ويضربهم بالهراوات .
وتلقى حصيب نفسه ضربة أسقطت له نظارتيه ، فالتفتها جمال عبد الناصر
وراح يرسل الى رفاقه كي يصمدوا ويبقوا في أماكنهم ، فانطلق الطلاب
يصيحون بأعلى صوتهم « نجيا مصر » ، فاذا برحال الشرطة يتأثرون
بحماسة الطلاب الرائدة ، فامتنعوا عن ضربهم بالعصي ، وانضموا اليهم
في الهتاف « نجيا مصر » . ثم تفرق المتظاهرون ولم يُعتقل احد منهم .
وفي صباح اليوم الثالث عشر من تشرين الثاني جمع جمال عبد الناصر
الفتى الرصين الرزين ، الذي يبدو أكبر من عمره ، رفاقه في ملعب

مدرسة النهضة ثم صرخ فيهم بأعلى صوته « لنحي مصر » فردد هتافه
كل الرفاق وراحوا يصرخون معه عبارة « نحي مصر الحرة » ثم حملوا
علم المدرسة وخرجوا في مظاهرة الى الشوارع ، ومروا امام المدارس
الآخري فوافقهم تلاميذها .

وتقول مجلة المصور ان استاد اللغة الانجليزية في المدرسة السيد وولي
قد اخرج مسدسه واطلق على المتظاهرين وتدى للشرطة ، وان الطلاب
قد ثاروا منه فحربوا له سيارته ان هذا الحادث لم يتأكد لدي .
ويقول وولي انه لاحظ بكى اسي ان طلابه غير مستعدين لنفس
آرائه ، وان جمال عبد الناصر بصورة خاصة كان بعض السياسة الانجليزية
والاستعمار وما يسمى بالرسالة القديسية لاوروة وكان يرى في التوسع
السياسي البريطاني او الفرنسي رغبة في الاحتلال غير المشروع وجشعاً
مبطاً بمظاهرات اسابية ونفسه المتشددة كانت تثار ضد كل تعاون
مع المحتل البريطاني .

لقد ايقظت مظاهرات الحادي عشر والثاني عشر من تشرين الثاني
المواطنين النامين نومة اهل الكهف ، وكى لا يصطدم الانجليز بحمة
الشعب ، وجهوا عليها اول الامر البوليس المصري ، ولكن رجاله
تراجعوا عن مهمتهم ، واستنكفوا عن ضرب شباب متحمسين يهتفون
« لنحي مصر الحرة » وشعر جمال عبد الناصر نفسه بان مظاهرات الثاني
عشر من تشرين الثاني قد سجلت نصراً ، وانه يجب اعتنام الفرصة
الذهبية للبدء في الهجوم على المحتل البريطاني :

وفي صباح الثالث عشر من تشرين الثاني اجتمع طلاب مدرسة النهضة
في ملعب المدرسة ، وبدأوا يرددون هتاف « نحي مصر » ثم حملوا علم
المدرسة وانطلقوا في الشوارع يقودهم الطالب جمال عبد الناصر للتظاهر
في المدينة ، لقد مروا امام مدرسة فؤاد الاول فاذا بطلابها يتركون
صفوفهم وينضمون الى المظاهرة تتقدمهم الاعلام المصرية .

ومر الموكب امام فندق شرد حيث كان على السرفة الشهيرة بضعة اشخاص من الانكايز يحرسون الويسكي ، فدا بحال يصرح بالانجليزية « لتحي مصر وتسقط بريطانيا » ويقود المتظاهرين الى المدينة لينضم الي طلاب الجامعة الذين ينتظرون قدومهم من الجزيرة . ولما كان رجال الشرطة قد سدوا جسر بولاق فمضى ذلك انه كان على طلاب الجامعة والمدارس المهمة المحتشدين في سستان أم درمان ان سلكوا طريق حسر الروضة فاتجهوا نحوه .

ولكن حسر الروضة الصغير متحرك بفتح اضع ساعات في اليوم لتتم المراكب المهرية ذات الاشرعة العالية ورغبة في تهريق هذه المظاهرة فتح الموليس اذن هذا الحسر وبذلك فصل النيل بين طوابير التلاميذ .

فما كان من حال الا ان برل الى الضفة واستاجر رورقاً صغيراً وانضم اليه بعض طلاب المعهد الصناعي في جزيرة الروضة ثم تسللوا الى تحت الجسر وبجحوا في ادارة الجهاز الآلي واقعدوا الجسر . عندئذ الطلاب عليه لاجتياز النيل المتاصل بينهم وبين رفاقهم . فاذا بالشرطة تسد بهم ثم تطلق عليهم النار .

ومن حراء ذلك سقط الطالب محمد جميل مرسى شهيداً ، كما مرق الرصاص احشاء الطالب بكلية الآداب عبد الحكيم الجراحي الذي فارق الحياة بعد خمسة ايام في المستشفى متأثراً من جراحه . وقد اعرب الجريح الى الرفاق والاهل بدين عادوه في المستشفى قبل وفاته بانه سعيد بان يضحى بنفسه من اجل مصر وحررتها .

وكان ان شنت الصحف حملة شعواء على الانجليز ورجال الشرطة المصرية الذين تعاونوا مع المحتلين ، فاعتقل عدد من الطلبة ، الامر الذي اثار حفيظة الاهلين مما حمل المفوض السامي البريطاني على القول : « اجل ليس قتل مواطنين يافعين في السابعة او الثامنة عشرة من عمرهم

مدعاة للفخر يوماً ، ولكن ما العمل ؟... وماذا نفعل بالذين تعتقلهم
من الطلاب المتظاهرين ؟ ..

عاد جمال الى بيته من أجل ان يعد الطعام لرفاقه المسجونين الذين
لا يستطيعون تناول طعام السجن ، ثم توجه الى بيت الأمة ، داره
سعد زغلول سابقاً التي كانت مؤتمراً وطبياً دائماً بحبي ذكرى ايام تشرين
الثاني سنة ١٩١٩ الدامية :

وبالقرب من « بيت الأمة » حصلت معركة اخرى مع الشرطة ،
اد لاحظ احد الضباط الانجليز بين الجموع المتظاهرة شاباً بحيلاً طويل
القامة يبدو عليه انه المحرض على التظاهر ، فاطلق عليه رصاصة مزقت
له جبهته ، وسال الدم على وجهه فقاذه رفاقه الى مكتب حريدة الجهاد
المحاور لصاحبها الكاتب الوطني توفيق دياب . وهناك جرى تضميم
جرح جمال بعد ان رفض التوجه الى المستشفى لئلا يعقل . وما زال
الرئيس يحمل في جبهته حتى اليوم اثر تلك الرصاصة :

عندما كان جمال تلميذاً في الثانية عشرة من عمره تلقى ضرب المراهات
من شرطة الاسكندرية . وفي الثامنة عشرة تلقى الرصاص في جبهته ونجا
من الموت باعجوبة . تلك هي ذكريات الفتوة في نفس جمال عبد الناصر
ولا عجب اذا اضمح في نفسه على مدى الحياة كرهاً لرجال الشرطة
الاجانب وجيوش الاحتلال .

وتروي صحيفة الجهاد في عددها الصادر في الرابع عشر من تشرين
لثاني سنة ٩٣٥ كيف لجأ الطلاب الجرحى الى مكاتبها بعد اصطدامهم
بالشرطة ، وتذكر بين الجرحى اسم الطالب جمال عبد الناصر المجروح
في جبهته ، والطالب عبد الحميد عزة ، والازهري الشيخ جبر .
وتضيف بان عضواً بارزاً في حزب الوفد السيد حمدي سيف النصر
دي كان وزيراً للحرية قد ضرب ضرباً مبرحاً على رأسه من البوليس
اثاء الاضطرابات التي حصلت قرب « بيت الأمة » .

وفي مساء ذلك اليوم نفسه قررت الحكومة اقتفال المعاهد شهراً كاملاً
فعم الاحتجاج الاوساط كلها ، وفي العد لم تصدر اية صحيفة . واحس
الاخيلز بان الاتحاد الوطني يعود الى الظهور ، فصرخوا بانهم ليسوا
ضد النظام الديموقراطي .

وفي الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩٣٥ اصدر الملك فؤاد أمراً
ملكياً باعادة دستور سنة ١٩٢٣ ، وكنت المصور اثر ذلك تقول « لقد
انتصر انتصار الحرية ، لقد انتصر الشباب ، بل لقد انتصرت مصر كلها » .
والواقع ان الانحياز قد تراحعوا لان الوضع الدولي كان يدفعهم الى
ايجاد محال للنمائم مع مصر . لقد كانت ايطالية تسير بخطى ثابتة نحو
النصر في حربها ضد الحبشة وكانت تحشد جيوشها عند منابع النيل على
حدود السودان من جهة ، وفي ليبيا من جهة ثانية ولو ان موسوليني
الذي اسكرته خمرة النصر دفعته اطامعه الى الانحياز نحو مصر ، فأية مهمة
عسير على بريطانيا ان تواجهها في حربها معه ووراءها الشعب المصري
في ثورة عليها .

وبالاضافة الى ذلك كانت قوة المانية النازية الصاعدة في اوروبا قد
بدأت تنشر شبح حرب عالمية جديدة فوق العالم .
وذلك التراجع بالنسبة لبريطانية لم يكن خسارة كبرى . ان عودة
الدستور تعني في نظرها اتاحة المجال امام الوفدين للعودة الى الحكم أو
قيام حكومة ائتلافية ليس الا ، والدستور الممنوح مرة اخرى للمصريين
يمكن سحبه وايقاظ مفعوله في كل وقت بامر ملكي وايعاز من لندن .
وبينما كانت الاحزاب المصرية تحتفل بالنصر الذي جنته ولم تربحه ،
اعلان الحزب الوطني عزمه على الاستمرار في المعركة حتى يتم الجلاء
التام عن ارض مصر . وجمال عبد الناصر رئيس اتحاد الطلاب الثانويين
حاول بدوره اقناع رفاقه والمنظمات الطلابية بضرورة متابعة الجهود حتى
تنال مصر ثمن الدم المراق ، اي حتى تنال استقلالها التام .

كان الفتى اليافع كمواطن صعيدي يطالب بكل حقه . كان يريد ان يستمر الطلاب في اضرابهم للابقاء على روح الضال في الامة . ولكن الرأي العام كان ضد ذلك ووجه النحاس نداء الى الطلاب يدعوهم فيه الى العودة الى دروسهم ، وان كل من يستمر في اعداد المظاهرات يعتبر خائناً ، وعمله مضر بالمصلحة العامة .

طوعاً او كرهاً . عاد التلامذة والطلاب الى صفوفهم . وحصلت مشادات بين الطلاب الوفديين والوطنيين ، وجرت معارك بين « القمصان الخضر » و « القمصان الزرق » وكان يتزعّم فريق الطلبة المتعنتين في كنية الحقوق آذاك نور الدين طرّاف ، الرئيس الحالي للمجلس التنفيذي في الاقليم المصري . وعندما كان الطلاب الوطنيون المتطرفون الذين يشكّون اقلية يتعرضون لهجوم الطلاب الوفديين ، كان يهب جمال عبد الناصر على رأس فريق من الطلبة الثائرين لمجدهم .

وفي كتاب « فلسفه الثورة » يفرد جمال عبد الناصر بضعة اسطر لذكريات الشباب فيقول : « في تلك الايام قدت مظاهرات في مدرسة الهضبة ، وصرخت من أعماقي اطلب الاستقلال التام ، وصرخ ورائي كثيرون ... ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح اصداً واهنة لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور . »

واكتفى ممثلو الطلاب بزيارة زعماء مختلف الأحزاب . طالبين اليهم ان يشكلوا حكومة ائتلاف وطني ويؤلفوا جبهة موحدة للتفاوض مع بريطانيا

المعاهدة المصرية الانجليزية

اثر ذلك افسحت وزارة توفيق نسيم المكان لوزارة علي ماهر التي
دام حكمها أربعة أشهر . ثم حكومة ائتلافية برئاسة مصطفى السحاس
رئيس حزب الوفد . ومات الملك فؤاد وخلفه ولي عهده فاروق يعاونه
مجلس وصاية . وألف وفد وطني للشاخص مرة اخرى مع بريطانية بشأن
المسائل المذكورة . وادت المحادثات في آب سنة ١٩٣٦ الى توقيع معاهدة
صداقة بين مصر وبريطانيا ، من شأنها ان تنهي الاحتلال العسكري
والوصاية البريطانية . ولكنها استثنت بعض القواعد العسكرية البريطانية
للدفاع عن وادي النيل وقناة السويس ضد كل عدوان خارجي ممكن .
وفي نهاية الحرب نصت المعاهدة على ان توضع الاراضي المصرية بطرق
مواصلاتها ومطاراتها وموانئها تحت تصرف الجيش البريطاني . وعلى
بريطانية من جهة اخرى ان تسرع الى نجدة حليفتها فيما لو دخلت في
عماز حرب ما .

وكانت تعهدت بريطانيا بان تسعى لادخال مصر الى عصبة الامم ،
وتعهدت ان لا يتخذ اي منها موقفاً بعقد معاهدة سياسية تتعارض
مع مضمون هذه المعاهدة التي يجب ان يُعاد النظر فيها بعد عشرين سنة .
وتتضمن السودان اُبقى نظام اشراكه موقفاً فيه . اما المصالح

الاحتبية فتحت عنها بريطانيا وتعهدت بمساعدة الغاء نظام الامتيازات .
تلك كانت الخطوط الكبرى لمعاهدة سنة ١٩٣٦ الانجليزية - المصرية
التي وافقت عليها الاحزاب كلها ، ما عدا الحزب الوطني ، ولم يكتف
انتصارها بالموافقة بل عدوها معاهدة الشرف والاستقلال ...

ولعل من المفيد ان نتساءل : ماذا حل بحال عبد الماصر في الوقت
الذي كان رجال السياسة يتفاوضون مع اخيرة لتوقيع هذه المعاهدة ؟؟؟
في رسالة بعث بها في الثاني من ايلول سنة ١٩٣٥ الى صديقه حسن
الشار نعلم في اية حالة نفسية كان حال عبد الماصر في الوقت الذي
أشرف فيه على الانتهاء من دراسته الثانوية .

في الفترة الممتدة بين تشرين اول سنة ١٩٣٥ وكانون الثاني سنة
١٩٣٦ اخصص حال وقته ونشاطه للدعابة السياسية متقللاً بين مراكز
الاحزاب ، منظمياً لجان الطلبة الثانويين الذين كان يتولى رئاسة لجنتهم
التنفيذية .

لقد حاول اساتذته ووالده ان يهدئوه ويدفعوه الى الاهتمام بدروسه
وترك مهمة الدفاع عن الدستور والضال من اجل الاستقلال الى الساسة
الكبار . ولكن حال الذي عُرف عنه الاجتهاد والانتظام لم يصنع الى
هذه المصائب ، لقد انصرف بكل حوارحه الى العمل الدعائي . كان
القلق الوطني في ايلول قد تحول الى عمل محموم . وبدا كأنه توج
بانتصار كبير عند اعلان عودة دستور سنة ١٩٢٣ . ولكن ذلك الاندفاع
تلاشى عندما رفضت الاكثرية الاستمرار في الضال ، وتكرمت
للاحزاب السياسية مهمة التفاوض مع بريطانيا مع الرغبة الملحة في
الوصول الى اتفاق . وذلك لان الانتصارات الفاشستية كان تقلق المصريين ،
وتدفعهم الى تمنى المساعدة البريطانية :

قرباً من سياسة المهادنة هذه قرر جمال العودة الى مدرسة النهضة ،
غير ان المدير وضع عراقيل كثيرة في وجه عودته اذ كان البوليس يراقبه

ويبدح تقارير الطويلة عن نشاطه اسري وامهه بدعوة التلاميذ الى
الثورة ولم يتراجع المدير اضطر جمال الى التنازل في البيت .

بعد اشتداد معركة السياسية والمظاهرات الصحوة جاءت الحقيقة هزيمة
محنة جمال ، ما هي الطريقة التي يمكن بها اطلاق والده الموطط ابريدي
السيط ، وعمه حبيب حسين بان الفنى جمال مفصول من المدرسة ؟
وما هي الجهة التي يمكنه الاستعداد لها دون شهادة الدروس الثانوية ؟

من حسن الحظ ان رفاق جمال تدخلوا وطمسوا من سبيل زكي ان
يعود عن فرار الفصل ويقتل رفيقهم ، ولما رفضت المدرسة بكاءها .
أخرج لئلا تكل المقاعد الى الملعب وهددوا بحرقها ، كما أعلنوا
الاضراب العام . ولما ان النهضة هي مدرسة خاصة ، وموارثها نهار
اذا ما ثار رفاق جمال ، لذلك عاد المدير عن قراره ، فأصر التلاميذ
على ان يتوجه ناظر المدرسة الى بيت جمال ويعود به جالساً عن يساره
في سرية وهكذا عاد جمال الى مدرسته في موكب من الطلاب .

وعندما اقربت امتحانات آخر السنة أعلن المدير انه لن يسمح جمال
بالاشتراك فيها لأنه لم يداوم الا اربعة واربعين يوماً طيلة السنة الدراسية .
وكان ان تدر الطلاب من جديد ، وتراجع المدير مرة ثانية . وفي
الاسبوع الاخيرة انصرف الرعيم الطلابي الى العمل الجدي المتواصل ،
ونجح في امتحان البكالوريا بدرجة مشرفة .

لقد تعرفت مؤحراً الى ضابط مصري كان قد التقى بجمال عند الناصر
صدقة خلال صيف سنة ١٩٣٦ . لقد كان ذلك في دمنهور ، عند عمه
حسين حسين ، الموطط في وزارة الاوقاف في تلك المدينة آنذاك . كان
جمال عوصاً عن ان يشارك الاكثرية نقاؤها بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦
نائراً على سياسة المحاس الداخلية والخارجية . وامام شاب في التسعة
عشرة من عمره ، لأول مرة تكلم جمال بحراً ضد الانجليز ، وحكومة
الوفد ، والملك . وكان محدثه يصغي اليه مشدوهاً ، معموراً بخمسة

الوطنية . وكان لا يخشى الا ان تصل أنباء هذا التأثير الى آذان الشرطة ويعتقلوه .

وهذا الضابط الذي يكبر حمال بسنة واحدة كُتِبَ له ان يلتقي به مرة ثانية ، بعد اثني عشرة سنة قرب الفالوجة اثناء حرب فلسطين . في تلك الاثناء كان التحالف المزيف بين مصر وبريطانيا يُعطي ثماره المسمومة وكان الانتداب البريطاني على فلسطين قد انتهى الى مأساة لسوء تصرف الانجليز ، والجيش المصري بلا عدد ولا مخططات ولا قادة ، ألقى به فاروق مستخدماً في أنون حرب فلسطين لمواجهة المصائب الصهيونية .

قبول جمال في الكلية الحربية بعد رفضه

كان على جمال عند الناصر ، بعد ان أتم دروسه الثانوية في القسم الادبي ، ان يختار الطريق الذي سيوجه فيه دروسه العالية . كان يهتم كثيراً بالسياسة ، ويشغل حماسة للضال من اجل استقلال بلاده ، وكان بسبب الانصالات التي كان قد أجرها مع السياسيين والاحزاب يضمم اشمزاراً طوّلاء جمعياً ، لقد حملته مطالعته عن ابطال العرب وسير الرجال العظام امثال الاسكندر المقدوني ، وبوليوس قيصر ، ونابليون ، وغاندي ، والمصلحين التقدميين امثال الاعاني ، والشيخ محمد عبده ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول ، حملته على ان يتعشق الاعمال العظيمة في الحقل الوطني . وفي اعماقه ، على ما يبدو ، كان يحمل أثراً من سلاطين المماليك الذين كانت تقوم مساجدهم امام مدرسة النحاسين ، وجميع ذلك دفعه الى الايمان بان استقلال مصر لن يتم بالخطب والمرافعات ، بل يجب ان تواجه القوة بقوة مثلها : وجيش الاحتلال بجيش وطني . وهكذا قرّر جمال ان يلتحق بالجيش .

تقدم الى الكلية الحربية حيث أجرت له اللجنة قبل كل شيء ، محصاً طبيباً دقيقاً .

بهذا الخصوص لا خوف من شيء ، إذ أن المرشح قوي البنية ،
سليم الجسم . ولكن اصحاب العلاقة أعلموه بأن عليه ان يعود بعد ايام
لاجراء امتحان « المطهر » .

وفي اليوم المحدد اجتمعت اللجنة ، وكانت تضم كبار رجال الجيش ،
ووقف جمال أمامها حافق القلب ، قلب رئيس اللجنة مملأاً مملوءاً بالاوراق ،
فلاحظ جمال بأن الملف يحمل اسمه . وبدأ رئيس اللجنة بالسؤال :

— ما اسمك ؟

— جمال عبد الناصر حسين .

— ماذا يعمل ابوك ؟

— انه موظف في البريد .

— موظف كبير ؟

— لا ، موظف صغير .

— من أين انت ؟

— من بني مر ، منطقة اسبوط .

— اذن انتم فلاحون ؟

— نعم .

— ألم يكن أحد افراد عائلتك ضابطاً من قبل ؟

— كلا .

— لماذا اذن تريد ان تصبح ضابطاً ؟

— لأقف نفسي على خدمة الوطن .

— هل عندكم أملاك ؟

— كلا ، فنحن من أبناء الشعب .

— هل أوصى أحد بك ؟

— تقصد هل تسندني واسطة ؟ كلا ..

- هل اشتركت في مظاهرات سنة ١٩٣٥ ؟

- نعم .

- طيب ، يمكنك ان تسحب .

ذهب جمال ، وعلم بعد أيام بأنه لم يُقبل لأنه محفيد فلاح من بني
مر ، وابن موصف بربدي بسيط ، ليس له أملاك ، ووطي ماص
بصورة خاصة ، مهم لا يقبضون في الجيش إلا الذي توحى عائلاتهم
وسوايقهم انتم الى السلطات الحاكمة . هم لا يقبضون ثائراً في الجيش .
لقد كانت حبة الامل قاسية في نفس جمال ، وحاول ان يُخفي
ألمه وينحدر ، وفي قرارة نفسه "ولد الحق على نظام يحول بينه وبين
عزيمه على التضحية في سبيل تحرير بلاده .

لقد أبقوا ان مجلس الوصاية الذي يرثه الأمير محمد علي الارستقراطي
الثراء ، والحكومة الائتلافية التي ينزعها مصطفى السحاس الصدى
الرباب بزعيم الكبير سعد رغالول وصديق الملايين الكبار الذين لا يهمهم
سوى اسعار القطن ، وكبار الموصفين والصباط ، اصدقاء القواد الاخيرة ،
أبقوا ان كل هذا العالم الذي يقدم مصالحه الخاصة على المصلحة العامة
والاستقلال الوطني . كل هذا العالم يجب ان يبحث ليفسح المجال أمام
النظام الجديد الاشتراكي الوطني الذي تدعو له « مصر الفتاة » .

وبعد رفض الكلية الحربية ، قرر جمال ان يدخل الجامعة في تشرين
الاول سنة ١٩٣٦ ، وتابع مدة سنة أشهر محاضرات كلية الحقوق
على الرغم منه ، لأنه حاول في نفس الوقت ان يدخل في
مدرسة لبوليس . ولكنه هنا ايضاً رفض ، وبالتقرير الذي وصاه
مركز بوليس الجمالية أورد ان جمال عضو في حزب احمد حسين
الاشتراكي ، وذكر انه قد نظم مظاهرات طلابية ، أي انه لا يقدم
الضمانات الضرورية في الانضمام والطاعة السياسية .
ولحسن الحظ ان المعاهدة الانجليزية - المصرية التي اغتريها جمال

كارثة وطنية لانها كرسست بقاء قوات بريطانية في مصر - هذه المعاهدة كان فيها فحوة استفاد منها الوطني الشاب .

ان مصر قد اصححت حليفة بريطانيا ، وصار من الطبيعي جداً ان يتضاعف جيشها ، بعد ان حال الانجليز دون ذلك منذ ثورة عرابي ه وهكذا قلت الكلية الحربية في خريف سنة ١٩٣٦ واحداً وخسين تلميذاً بدأ تدريبهم في كانون الثاني سنة ١٩٣٧ ، وأعلنت وزارة الحربية انها ستجري دورة ثانية للدخول الى الكلية الحربية .

وكان جمال ينحرق رغبة في ترشيح نفسه للدورة الثانية . ورفاقه الوطنيون في الجامعة كانوا يشجعونه على تجربة حظه مرة ثانية . وقال له أحدهم : « عندما تنتهي من دراسة الحقوق ستبقى مدى الحياة الاستاذ جمال ليس إلا . أما اذا أصبحت ضابطاً فيمكنك ان تصل الى رتبة لواء ، الامر الذي يؤهلك لحمل لقب باشا . »

ذلك ما قاله رفيقه . اما الفتى الناثر فكان يرى ان العسكرين في التاريخ قد استخدموا القوة للتخلص من الساسة الانتهازيين . ان القوة وحدها اذا دُعِمت بدعاوة سياسية منظمة قادرة على انتزاع السلطة وطرد المحتلين الاجانب .

عزم جمال على ان يعيد الكرة ، وكان يحشى ان يعرقل مشروعه تقرير البوليس السياسي .

فقرر ان يستغل كل ما لديه من جرأة ، وذهب ليقابل امين الدولة المساعد الجديد في وزارة الحربية اللواء ابراهيم خيرى في بيته . وهناك قدم بطاقته الشخصية الى الخادم الذي رفعها الى الباشا . ثم أدخل الى قاعة الاستقبال فسأله الامين المساعد :

- ماذا تريد ؟

ألا يُقبل الطلاب في الكلية الحربية إلا اذا كان لديهم واسطة

ندعهم . أم أن هناك قواعد عامة سرت على الجميع ؟

قال الباشا !

ولماذا هذا السؤال ؟ هل سبق لك وقدمت طياً للالتحاق ؟

- نعم ، وقد نحت في الامتحان الطبي ، ودا كان لا بد من وجود دعامة للمرور في امتحان « المظهر » فما علي إلا أن اسحب وأبقى في كلية الحقوق .

نظر الباشا بعطف الى هذا الشرب التوي السية ، وطيد العزم ، وشعر بأن جمال برعب من كل جورحه ان يصح صابغاً انه عصر جيد للحينس

فقال له بكل بساطة : تقدم الى الامتحان .

وهكذا تقدم جمال عبد الناصر مرة ثانية الى الامتحان امام اللجنة ، وكان يرئسها ابراهيم خيرى نفسه . وتعرف الى جمال وحمل السعة على قبوله .

اهم قديلون الذين يعرفون هذه الحادثة . والرواية الشائعة ان جمال قبل في المدرسة العسكرية في الدورة الثانية لأن شح الحرب العالمية اشابة كان يقترب . ولأن الجيش المصري كان بحاجة ماسة الى ضباط . والواقع ان الحاجة لم تكن ملحة الى هذا الحد عندما قبل جمال عبد الناصر في المدرسة العسكرية في آذار سنة ١٩٣٧ ، ولذلك كان من المحتمل رفضه هذه المرة ايضاً لولا حصوله على ثقة اللواء ابراهيم خيرى . وكان هذا الصابط ايضاً وفضلاً عن ذلك يعمل بنشاط وحرية لرفع مستوى الجيش المصري . فقبل في الجهاز العسكري شياً من الطبقة الوسطى . شرط ان يكونوا أذكاء وأقوياء البنية ، حتى لا يقتصر ذلك الجهاز على اء الطبقة الثرية وصنائع القصر ورجال السياسة .

انه هو الذي قبل في الكلية الحربية عبد الحكيم عامر ، وزكريا محي الدين ، وحسين الشافعي ، وكمال الدين حسين . هؤلاء اثنان

الرجوعيين الذين فرض فيهم ان يكونوا أكثر تقبلاً لدعاة جمال
عبد الناصر الوطنية ، من أبناء العائلات الارستقراطية المنصرمين الى اللهو
والعبث .

وللحيلولة دون انحراف الضباط الى المقاهي ، شجع ابراهيم خيرى
قيام نادي الضباط ، الذي سيلعب فيها بعد ، دوراً بارزاً في اعداد
الحركة الثورية .

غير ان هذا الاستقلال الذي أظهره امين الدولة المساعد في تنظيم
الجيش قد أدى الى خلافات كبرى في وجهات النظر بينه وبين القصر
ورجال الحكم ، مما حمله على تقديم استقالته في سنة ١٩٣٩ ، فترك
المجال حراً لتدخل القصر المستمر في شؤون الجيش ، ألم يصل الامر
اثر ذلك بالملك فاروق ان مسح سائق سيارته الخاص رتبة تقىب في
الجيش دون ان يتكبد مشقة المرور فيما يسبقها من رتب ؟؟

وقصة رفض جمال عبد الناصر ثم قبوله في الكلية الحربية كان لها
صداها ايضاً في عالم السينما . والكاتب يوسف السباعي ، الامين العام
للمؤتمر الاسيوي الافريقي حالياً ، كتب سيناريو فيلم عن ثورة ١٩٥٢
بطله ابن بستانى لدى أحد أمراء العائلة المالكة . وفي هذا الشريط يُنقذ
امتى القومي المحتهد يوماً حياة الاميرة من الغرق ، ويصبح خلال العطل
رفيقها في اللعب ، ويعشق بذلك الفروسية . كان يحلم ان يصبح ضابطاً
وما كاد ينتهي من دروسه الثانوية حتى تقدم الى الكلية الحربية ، ولكنه
رفض لأنه ابن فلاح ، وليس له من يدعمه بين الشخصيات النافذة .

وبناء على الحاح ورجاء الاميرة الشابة تدخل الامير بشأنه لدى اللجنة
العسكرية فقبل الفتى . وبعد ذلك نما الغرام بشدة بين الفارس الجميل
والاميرة الحسنة . وكاد الامير العجوز يصنع من الدهول والعضب
عندما جاءه البستاني بحلايته وتحرراً على ان يطلب منه ابنته لابه اضابط .
كان لا بد من ثورة سنة ١٩٥٢ لهدم هذه الحواجز الطبقية وإدماج

المجال امام الحبيبين لاشباع نهما .

ان هذا الساريو بحسب روح الثورة المصرية اني ارادت ان تحارب
الافطاع وتحد من الرأسمالية الكبرى ، وتتيح مجال الوصول الى اعلى
المراتب للشبيبة الوطنية ، دون ان يكون لديها اي حقد شخصي ضد
عائلات العهد القديم . وحصول الضابط ابن البستاني على الاميرة يبدو كانه
دمر الثورة التي قضت على تسلط الاقلية الاورستقراطية - التركية
المصرية وسلمت مقاليد الامور للضباط الوطنيين الشباب .

ان قصة جمال عبد الناصر والمسالمة التي لقبها لدى ابراهيم حيري
هي التي اوجت الى يوسف الساعى بلا ريب ساريو الفيلم . والحقيقة
ابسط من الشريط ، ولم يكن هناك اميرة تركية حميلة مقنعة بالمادى
الديموقراطية .

دور
لدى عبد الناصر حبه هذا الدور الى

الضابط ابراهيم حيري يستولى له للدخول الى

الملك الحرسى ، وجلسا صورا الضابط في المقعد

الذي ينشأ جيمنا مع المقعد المماس جانب

السائد فساكاه من جمال بعد الاكم الى

انه اعتقل ابراهيم حيري هذا بهذه الحجة

والعبد ابراهيم اليوم الذي رشح فيه جمال لذلك

تميزان في الكلية الحربية

كان على جمال عبد الناصر الذي درس كلية الحربية في السابع عشر من آذار سنة ١٩٣٧ في الدورة السابعة ان يمرّ اولاً فيها بمرحلة فترة الامتحان ، وبعد خمسة اشهر اطلع خلالها على مبادئ الحياة العسكرية وامتحان لمعرفة مقدار احتمالها من الماخذ المعنوية والرياضية واثار ذلك اعلان مجلس الكلية ان الطالب جمال صاحب للحياة العسكرية ، وسجلته في الشعبة الاعدادية ثم الوسطى :

بعد الفترة المضطربة التي عاشها انتهى في مدرسة الهندسة ، ثم انشاء تمرينه الفصير في الجامعة وجدّ نفسه سعيداً احباً في حياة الكلية الحربية النظامية ، اذ ان المظمة والتمارين الرياضية ، وساعات المظلة الطويلة في المكتبة العسكرية ، كل ذلك قد تجاوب مع حبه الوطنية. لقد اصبح له هدف معين امام ناظره . انه يريد ان يكون ضابطاً مثالياً متحلياً بالصفات التي تؤهله للقيادة فيما بعد :

وعلى الرغم من انه دخل الى المدرسة بعد مضي ثلاثة اشهر على بدء الدروس فقد استطاع جمال ان يكتف نفسه بسرعة على الحياة العسكرية. الامر الذي اتاح له ان ينتقل الى الشعبة الهائية ويصبح رئيس فريق . وفي السنة التالية مكلف باعداد الدفعات الجديدة . وفي الفريق الذي

كلف شؤره كان عبد الحكيم عامر القائد العام الحالي لقوات المساحة في الجمهورية العربية المتحدة احد افراده ان حما هو الذي علمه كيف يرتب هدامه ويحبي رؤساءه ويقوم بتأريبه العسكرية الاولى . وقد جعل معها صديقين حميمين مبدئياً المشترك للمطالعة . وكان الطلاب يطلقون على عبد الحكيم عامر اسم « روبسون » لميله الى قراءة قصص الاسفار والمعارات العربية كعمارة « روبسون كروزويه »

وكان عبد الحكيم عامر طالباً مثالياً ، مجتهداً ، ينتهز بقانون المدرسة ، لذلك انسجم مع النظام العسكري تماماً ، وكان عبد الحكيم عامر اكثر حيوية ، ولكن اقل اتزاناً من جمال الذي استطاع ان يحرص شخصيته القوية على زملائه :

ومما كنه اللواء عبد الواحد عمار الذي كان يدرس آنذاك المدفعية ، والقانون العسكري في تقريره عن الطالب جمال قوله انه يتصرف كالرجل الكامل ، لا ينسجم الا نادراً . وهو رفيق مثالي يحبه رفاقه واساتذته جميعاً . وبفضل بنيته القوية كان يتحمل بصبر لا ينضب دروس الرياضة البدية . وما انه لم يقترف اي ذنب يستوجب العقاب منذ دخوله الكلية الحربية ، لذلك عُيِّن عريفاً ، وهذا امر نادر جداً ، في الطلاب . وكانوا ينادونه « العريف جيمي » وصداقته مع « روبسون » كانت معروفة لدى الجميع . وعندما كان جيمي « بطل » ، فمعنى ذلك ان روبسون لن يتأخر في الظهور والعكس بالعكس . ومكتبة الكلية كانت مكان اللقاء المفضل عندهما .

كان يستغرق تعليم تلاميذ الضباط عادة ثلاث سنوات ، ولكن في سنة ١٩٣٧-١٩٣٨ كان الجيش المصري في حاجة ماسة الى ضباط جدد لتنظيم الدفعات الجديدة من الجنود . ولذلك قبل جمال في الامتحانات النهائية بعد ستة عشر شهراً فقط من دخوله الكلية . وقد نجح في هذه الامتحانات ونال ٧١٪ من مجموع العلامات ، ومن المفيد الاشارة الى

انه لم يحصل الا على ٦٨٪ في التاريخ العسكري، المادة التي كنت يعتقها،
و ٧٢٪ في التنظيم الوطني ، بينما حصل على ٨١٪ في الرياضيات والعلوم
و ٩٥٪ في التنظيم الاداري ، تلك هي صدف الامتحانات ، حيث يلعب
الطالب او يمر بجهود حسب السؤال المطروح او حسب مزاج الامتحان .
في اول تموز سنة ١٩٣٨ نجح جمال عبد الناصر في الامتحانات لكلية
الحربية ، فعُيِّن ملازماً في سلاح المشاة ، وارسل الى ثكنة منقياد ،
على مسافة بضعة كيلومترات من اسبوط ، وني مر .
وقبل ان نلحق ببطنا الى الصعيد ، لا بدّ من ان نذكر الكتب التي
التهمها خلال مطالعته الطويلة في مكتبة الكلية الحربية .

جمال يدرس سير العظماء والعلم العسكري

تقع الكلية الحربية التي تضم اليوم أكثر من ألفي تلميذ ضابط في صحراء هليوبوليس الى الغرب من الشارع الذي يؤدي الى مطار القاهرة على مقربة من الكلية المصرية الفرنسية ونادي الضباط .

لقد زرتها وبفضل الاذن الذي زودني به مدير الكلية اللواء محمد فوزي ، استطعت ان اتفحص مكتبها الكبيرة بما فيها من كتب يعود اليها الطلاب والاساتذة من عسكريين ومدنيين .

لقد لاحظت ان الكتب التي طليبت أكثر من سواها في نهاية شتاء سنة ١٩٥٩ كانت الكتب التي تبحث في القومية العربية والمسائل البرولية ، لا سيما كتاب « مبادئ القومية العربية » لحازم زكي نسيبة الاستاذ في جامعة برنستون في الولايات المتحدة . وفي اللغة العربية راجع الطلاب كثيراً كتب عبد الرحمن الرافعي المؤرخ القومي الذائع الصيت . كما طالعوا كتاب « آراء واحاديث في القومية العربية » لساطع الحصري مدير معهد الدراسات العربية العليا في القاهرة سابقاً ، والمدير المساعد في الادارة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية .

ويطالع الطلاب بشغف لمحمود عيسى رئيس تحرير « مجلة الجيش » ويقرأون له « البرول في الشرق الاوسط » وكتابه « احلاف ضد

احلاف « الذي يعرض فيه التوثق الدولي الذي نتج عن تنافر الكتبتين
السياسيتين العالميتين . لقد قيل لي ان محمود عيسى قد نشر اثنين وثلاثين
كتاباً خلال حياته ككاتب . ويعتبر في الجيش مرجعاً في التاريخ
السياسي والاقتصادي ، ومن الكتب هامة الموحدة في المكتبة العسكرية
كتاب « التروول » للدكتور راشد الراوي ، ونجد فيها ابصاراً كـ
« في قلب افريقية » للكاتب الاميركي جون كونر المترجم للعربية ،
وكتابه « في قلب آسية » باللغة الانجليزية .

ولتكوين ثقافة صحيحة عن السودان يُنفع طلاب الكلية الحربية
كتاب دؤود بركات الذي عمن مدة طويلة رئيساً « تحرير الاهرام » .
وهناك عن اسرائيل كتب ثلاثة « عدونا اسرائيل » « ما حور حمرال
محمد صفوت ، اسى الغسل من الجيش الى الست الدبلوماسي والذي
يذكر اليوم بلاده في عاصمه اسرائيل و « مشكة اسرائيل » للدكتور
محمد رمعت ، وكتاب « بن سوربون في اسرائيل » لدريت لنويوف ،
باللغة الانجليزية .

وفي سنة ١٩٣٧ عندما دخل حمار عبد الناصر الكلية الحربية
لم تكن ذات ابنة فحمة حديثة ، بل كانت بناء سيقاً عند حمر النبة ،
قيل المستشفي العسكري ، في المكان الذي تشعه اليوم ، اركان
الجيش العامة .

وحتى سنة ١٩٢٧ كانت هذه المؤسسة تحمى اسم « الكلية العسكرية »
وشهادة الدروس الابتدائية كانت تكفي شراً لقبول . ومنذ سنة ١٩٢٨
اصبحت شهادة البكالوريا ضرورية لقبول في الكلية التي اصبحت
اكاديمية .

والمكتبة في مجملها بقيت في مكانها القديم اد اصبحت مكتبة الجيش ،
والسجلات التي تحوى اسماء الكتب المستعارة ما زالت هناك . والمكتبة
لم تتغير منذ سنة ١٩٣٥ . لقد امضيت عدة ايام في مراجعة لائحة

كتب التي كان قد طبعها جمال عبد الناصر ورفاقه ، في سني ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، حالاً ان طاولة صنوبر صغيرة دهمت بالثاؤون التي ، في المكان معه دي كان يحتله التي المجتهد ، تصفحت مجموعة من الكتب التي كان قد طالعها . فوجدت في هوامشها الكلمات العربية التي راجع المعجم بشأنها ، والكلمات التي لغت نظره فوضع تحتها خطاً للانباء . وما زال امين المكتبة يذكر جيداً الكتب التي قرأها المضابط ، التلميذ جمال لانه كان اتصال رواد مكتبة ، واكثرهم اعتناء بالمطالعة . كان اثناء سني درسته الابتدائية والباوية ذا ثقافة عربية صرفة تقريباً ولم يخصص سوى الزر اليسير من وقته للغات الاجنبية . وفي مدرسة النهضة بصورة خاصة ، كان مهتماً جداً بشاطه السياسي ، وتنظيم المظاهرات ، الامر الذي حال بين الاهتمام بدراسة اللغة الانجليزية او الفرنسية .

وبعد دخوله الكلية الحربية غرق في مطالعة الكتب الاخلاقية ، التي تبحث في الموضوعات التي تهمة . وفي مقدمتها سير الرجال العضاء امثال بونابرت ، والاسكندر وعاريفالدي وبسهارك ومصطفى كامل وهندبرع وتشيرل ووش ، ثم الكتب التي تتناول الشرق الاوسط والسودان ، والتاريخ العسكري .

ولم يكن التميز جمال عبد الناصر يقرأ فقط في المكتبة ، بل كان يحمل الكتاب معه في المساء ليُعيده في الصباح . وقد روى احد الذين كان جمال عبد الناصر يشاركهم غرفتهم ، وهو ليس من اصدقائه ، انه في المساء بعد ان يحين موعد النوم وتطماً الابوار ، كان يضع العطاء فوق رأسه ويتابع القراءة تحته مستعياً بقديل كهربائي من قنديل الجيب .

وهذه لائحة بالكتب الانكليزية التي يذكر امين المكتبة ان جمال عبد كان يعود اليها عادة :

الذئب الأشهب (مصطفى كامل)

غوردن في الخرطوم

بونابرت حاكم مصر

حياتي الماضية

الاسكندر الكبير

بسمارك

فوش رجل اورليان

غاريبالدي ، الرجل والامة

هندنبرغ وساغة الثورة الجرمانية

لورانس والعرب

مارلبورو

رجال واعمال

نابليون

الجنود ورجال الدولة (جزآن)

لورانس في شبه الجزيرة العربية

جغرافية الامبراطورية العسكرية

ذاك البحر (المتوسط)

قلب اوروبا

امس واليوم في سيناء

حملة فلسطين

الازمة الدولية

غاليبولي

حملة المارن

ارمسترونج

جون بوشان

شارل رو

ويستون تشرشل

ارثور ويدل

هيد لام مورلاي

ليدل هارت

نوب فريشوير

اميل لودفيج

غرافز ب

انكسبون ث ت

جون بوشان

اميل لودفيج

روبرتسون

ليدل هارت

كول

ج. مارتيني

جون غانتر

جارفيس

واينفل

ونستون تشرشل

جون هنسليد

لويل نينج

الستراتيجية الالمانية في الحرب الكبرى	بيام
تاريخ الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨)	ليدل هارت
استراتيجية حملة مصر وفلسطين ١٩١٧ - ١٩١٨	كيارسي
غوردون والسودان	آلن ب. م. .
نابليون وواترلو (جزآن)	بيك
حرب النهر	ونستون تشرشل
تاريخ فلسطين وسورية	اوليمستيد
مغامرة بونايرت في مصر	الفود
الستراتيجية البريطانية	سير ف. مورس
اعمال الابطال	كنيون وين
رحلتي الاولى الى البحار الجنوبية	كينغستون
التمرين على السلاح	المراجع الرسمية البريطانية

وباللعسة العربية : تاريخ الثورة المصرية بأجزائه الثلاثة لعبد الرحمن الرافعي .

ومن المجالات كان يراجع :

طبعة التايمز الاسبوعية
 انباء لندن المصورة
 مجلة الجيش الفصلية
 صحيفة مؤسسة الخدمات الملكية المتحدة
 المجلة الجغرافية
 القوات المحاربة
 صحيفة مصر

ومن بين الكتب المستعارة خارج المكتبة تصفحت ابن صدوق ، أعمال الأبطال لكينيون وبين الذي صدر سنة ١٩٢٣ وهو يبحث أولاً في « الشجاعة خلال المصور » والمجلد الثاني منه مخصص لأبطال التاريخ ، بينما اشألت لبطلاته ، ثم تأتي مذكرات عصر فيكتوريا البريطانية ، وتتبعها ثلاثة فصول عن أبطال الحرب العالمية الأولى في اساحة البر والبحر والجو . لقد فتش جمال الشاب الوطني عناءاً في الاحزاب السياسية عن نفحة سنة ١٩١٩ الثورية وكاد يقضي على مستقبله بتقارر الوائس التي كانت تصفه بالمحرّض الخطر . ومن مطالعته ادرك ان تحرير بلاده ان يتم عن طريق ثورة جماعية . وان شعب مصر كان في حاجة الى شخصية فذة ، بل الى « معبود » كما كتب توفيق الحكيم في كتابه « عودة الروح » . ومنها ايضاً تعلم كيف برز الأبطال وغيروا مجرى الاحداث . في دراسة سير الرجال العظماء راح جمال يبحث عن حواف هذا لسؤال ، كان مفتوناً بقراءة تاريخ كبار القادة العسكريين وكما يعبد الأبطال والبطولة . وفي لائحة امين المكتبة خمس كتب عن نابليون ، وثلاثة اخرى تأليف ونستون تشرشل ، وقد اتاحت هذه الكتب لطالب المعروف بميوله المعادية لبريطانية ان يفهم البطولة المدنية . وقوة الارادة البريطانية . وبين الكتب التي تبحث في المشكلات المتوسطة تصمحت كتاب الصحفي الايطالي مارتيني الذي نشر في لندن سنة ١٩٣٨ ، لقد صدر اذن عندما قرأه جمال ، تحت عنوان « لمن هذا البحر » ويروي المؤلف فيه قصة رحلته وانجائه في حوض المتوسط ، ابتداء من فرنسا ، وتونس ، التي كانت ايطاليا الفاشستية تطمع فيها - ثم طرابلس الغرب ومالطة ومصر وفلسطين والاردن وسوريا وقبرص .

وفي الكتاب نجد بين هلالين كبيرين المقطع المخصص لاحتلال تونس بالقوات الفرنسية والصليحة المشهورة التي اعطاها الورد سالكوري وزير الملكة فيكتوريا الى الفرنسيين الذين كانوا يهتمون كثيراً بمصر :

«حدوا تونس» تلك النصيحة التي شجعتهم على القيام بخدمة سنة ١٩١١
كما حد أيضاً حناً تحت مسموعات مارثي عن الصعوبات التي واجهت
المدارس الإيطالية في تونس سنة ١٩٣٧ .

« ان المدارس الإيطالية في تونس هي احد الاسباب الرئيسية لسرع
مع السمات الفرنسية . ذلك ان مدرسة تعتمد بال نحواً من اربعة عشر
الف طالب يُربّون على الطريقة الإيطالية .

« ن فرسة لا تُريد ان تسمح بفتح مدارس جديدة ، كما حدثت
نمو المدارس الموحدة امامه ، ولا را ، المدير الايطالي يشكي كثيراً
بمرارة من الصعوبات التي يواجهها لدى محاولته توسيع حدى المدارس ،
احد همت وجهة بصره و همت أيضاً وجهة بصره هرسين . »

والمرجح ان جمال عبد الناصر قد امان قراءة هذا الكتاب عن المشاكل
المتوسطة عندما اصبح اسناداً في الكلية الحربية بين سنة ١٩٤٣ و ١٩٤٦ .
وعد يكون في هذه المرة قد وضع اشارة على المقطع الذي اوردته
ومن الممكن ايضاً ان يكون جمال اخطاب قد لاحظ منذ سنة ١٩٣٨ ما
للتعليم من اهمية قصوى في تكوين الروح القومية . وفي كتابه « فلسفة
الثورة » الذي كتبه جمال عبد الناصر فيما بعد يلح على فساد التعليم في
مصر وقدم مثلاً على ذلك عائلة مصرية من آلاف العائلات مؤلفة من
ولد فلاح وأم تركية الاصل وابناء يتابعون دروسهم في مدارس الخيرية
وفتيات يذهبن الى المدارس الفرنسية .

وفي الوقت الذي عرق فيه الضابط جمال في مطالعة الكتب
الاحيوية لم يهمل تربيته القومية وثقافته العربية . ولم يكن كعبه
من الطلاب المنبأ الدين تأثروا معنوياً بالهجرة او فرسة او الولايات
لنحسدة ، ان ظل وطياً مصرياً ، يراوده حلم مصطفى كامل
في اعادة اجماع الشرق . وكان يشعر بمرارة زائدة عندما يلح

تنافس الايطاليين والفرنسيين على تونس معتبراً اياهم دخلاء في ذلك القطر العربي .

وكتب التاريخ العسكري والستراتيجية التي مرّ ذكرها في اللائحة تبدو رصينة للغاية بالنسبة لتتميز في التاسعة عشرة او العشرين من عمره . انها مختارة بفس ، فكاتب الكولونيل واينل عن حملة فلسطين ، وكتب كارسبي وأولمستيد ، وتاريخ الحرب الكونية الاولى لليدل هارت ، والستراتيجية البريطانية لسير ف. موريس ، والستراتيجية الامامية في الحرب العالمية ليام . كلها كتب فوق مستوى ضابط طرابلس . ودماع جمال كان يحب ان يتنحّر عندما حمل نفسه فوق طاقتها اذ قرر ان يلثمهم في مدة ستة عشر شهراً كتباً كهذه تفوق بكثير نطاق برنامج الدراسة في الكلية .

في بونايرت ، - بونايرت لونغ ، وشارل روك ، وبيك ، والعود ، كان جمال يرى المستقل اللامع لضابط شاب ، فني طموح ، نجراً على ان يرحرح السياسة ويستولي على السلطات في وقت كانت الثورة الفرنسية عارقة في فساد الحكم والادارة . وكان جمال يرى فيه ايضاً عدواً لدوداً لبريطانية وادارياً عبقرياً ومشرعاً قديراً ، فأعجب به واقنع بان الشرق ومصر بصورة خاصة ان تسترجع استقلالها وسيادتها الا عن طريق قائد عسكري مدني لا منازع له ، وان وحدة الاقطار العربية لن تتم الا على يد رجل مثله .

وما دما في مكتبة الكلية الحربية فلتتوسع في استقصائنا ولتر ما هي الكتب التي قرأها الضابط جمال عبد الناصر في السنوات الثماني التي تلت تخرجه عندما اصبح استاداً في الكلية الحربية نفسها ، وسلاحظ ، ان اهتمامه كان لا يزال ينصب على النوع نفسه :

اليابان تحارب من اجل آسيا

لماذا كانت اليابان قوية ؟؟

غرانت ولي

كينشتر

بزوغ فجر الجنرال بونايرت

حاكسون الرجل الصلب (جزآن)

عالم السلاح

الانسبيكوبيدا البريطانية (٢٤ جزءاً)

البحر الخطر

بريطانيا في البحر المتوسط (جزآن)

جغرافية حوض المتوسط

المتوسط في المحيط السباتي

مشكلات المتوسط

السويس وبناما

اربعون يوماً في سنة ١٩١٤

حملة بلاد ما بين النهرين

اربعة اجزاء ١٩١٤-١٩١٨

العملية العسكرية (مصر وفلسطين ،

جزآن - خرائط)

العمليات الحربية (فرنسا بلجيكا ،

جزآن - خرائط)

الحرب الحقيقية

الحرب الجوية (ثلاثة اجزاء مع خرائط)

جون غويت

جون باتريك

ماج - جن فولر

بولار

ولكنسون

هدرسون كولونيل ح

ارنست دوبوي

»

جورج سلوكومب

كوربيت

لامبل

البرايت مورو

غوردون ايس

اندرية سيففريد

ف. موريس

(المراجع البريطانية الرسمية)

(المراجع البريطانية الرسمية)

(المراجع البريطانية الرسمية)

ليدل هارت

وولتر وحوثر

بلو كود	معارك الجيش البريطاني
(المراجع البريطانية الرسمية)	حملة سنة ١٨٨٢ - مصر مع الخرائط
ليدل هارت	المعارك الحاسمة في التاريخ
الفورد وسوورد	السودان المصري سنة ١٩٠٨
بلوكود ر. م.	معارك الجيش البريطاني
كيري	دراسة الاستراتيجية والفنون الروسية اليابانية في الحرب
ليندسل	التنظيم والادارة العسكريان
لورد سترابولجي	من جبل طارق الى السويس
بون	الاعاء الاقتصادي في الشرق الاوسط
ستراتيجكوس	الحرب من اجل السيطرة على العالم
وايفل	النهبي في مصر
الغود	مصر والجيش
لورد لويد	مصر منذ عهد كرومر (جزآن)
آرنولد ولسن	قناة السويس
فالتين شارول	المشاكل المصرية
كولفين	بعث مصر الحديثة
كرومر	مصر الحديثة (جزآن)
الغود	التجارة العابرة من مصر
(المراجع الرسمية في الولايات المتحدة الاميركية)	دليل المضباط
دال كارنيجي	كيف تكسب الاصدقاء ١١٢٢٢
وليم براون	الحرب والشروط النفسية للسلام
وليم براون	الحرب بدون بنادق
ادوار فيدايرل	بناء الاستراتيجية الحديثة
فون كلوتز وبتز	في الحرب (ثلاثة اجزاء)

فون كلوتز ويتز	مبادئ الحرب
اسطفان بوسوني	حرب الغد
دتيتر ريتز (مذكرات)	حرب العدائين (في البوير)
تورمان ماكميلان	استراتيجية الجو
وليمز	لغز الرايخ
ج. جاكسون	قصة الغواصة
الكولونيل اللورد كورين	التربية والجيش
يلاوك ، هيلر	الثورة الفرنسية
— —	اطلس او كسفورد الحربي
مايجور فولر	جهاز الخدمة العسكرية
— —	امتحان الدخول الى كلية الاركان
المراجع الرسمية	تدريج امتحان الدخول الى كلية الاركان
— —	التقرير المختصر عن تقدم القوات في حملة مصر (١٩١٤-١٩١٨) — —
توفيق الحكيم	اهل الكهف
ايفانز	التخطيط الاحمالي لحملة العراق
— —	السنة الثالثة من الحرب في صور
كونراد هيدن	حياة هتلر
ريشارد ماكميلان	مغامرات في المتوسط

ريشارد ينفيلد كتاب (الذعر) - سيكاسيللي

عندما راجع جمال عبد الناصر الكتب التي كان قد قرأها سابقاً أكمل بذلك معلوماته عن فنون الحرب لليدل هارت، قرأ ثلاثة كتب جديدة عن «المعارك الحاسمة في التاريخ» و «أوروبا تحت السلاح» و «مبادئ الحرب» لقد تصفح الكتب الضرورية لتحضير محاضراته والدخول في

مدرسة اركان الحرب ، واهتم بمشكلات المتوسط ، فقرأ جزءين
لكوربيت عن « بريطانيا في المتوسط » و « قصايا متوسطة » تأليف غوردن
ايبست ، ومن « جبل طارق الى السويس » للورد سترايويحي و « معامرات
في المتوسط » لريشارد ماكميلان ، وهذا الكتاب الاخير الذي صدر عن
نيويورك سنة ١٩٣٤ كان على الماحور عبد الناصر ان يقرأه مرة ثانية
سنة ١٩٥١ وهو مهدي الى مونتعمري ورحاله ، ويصف فيه المؤلف المحن
التي مرت بالجيش الثامن ويتحدث عن معركة طبرق وبير حكيم والتراجع
حتى العلمين واعادة تنظيم الجيش على يد الجنرال مونتعمري واحيراً النصر
الذي أحرره . وفي المقدمة يقول الكاتب انه تردد في تسمية كتابه « معجزة
العلمين » على اعتبار ان العلمين بالاسمة لمصر هي وردان بالسبة لفرنسة في الحرب
العالمية الأولى ، ولكن تاريخ الجيش الثامن ان هو الا سلسلة من المعجزات
المتتابعة . ويمكن ان نتحدث عن معجزة طبرق ، كما نتحدث عن
معجزة مالطة ، والقوات الجوية في الصحراء العربية . ولا شك ان الفصل
عن « جيش افريقية » قد أثار اهتمام الضابط سبال عبد الناصر بصورة
خاصة ، لانه كان في العلمين سنة ١٩٤٢ كما سرى فيما بعد . والجدير
 بالذكر انه كان يرى الحرب آنذاك من زاوية تختلف عن تلك التي ينظر
منها الصحفي الاميركي مؤلف الكتاب .

وكذلك كان للكتابين المؤلفين عن قناة السويس ، كتاب اندريه
ميفريد « السويس وبنا » وكتاب ارنولد ولسون « قناة السويس » اثر
في نفس الضابط جمال عبد الناصر . وكذلك الكتب الكلاسيكية لكولفين
وكرومر ، وكتاب اللورد لويد المؤلف من جزئين « مصر منذ
عهد كرومر » وكتاب الاقتصادي اليهودي « بون » الالماء الاقتصادي
في الشرق الاوسط ، وكتاب العالم الفساني الاميركي كارنيحي « كيف
تكسب الاصدقاء » واحيراً باللغة العربية كتاب توفيق الحكيم « أهل
الكهف » هذه الكتب الثلاثة هي الوحيدة التي تخرج عن نطاق التكيك

العسكري ، ومن المسلم به انه لو أراد جمال عبد الناصر ان يقرأ روايات بوليسية وأدبية لما توجه الى المكتبة العسكرية . ولكن المطالعات التي أشرنا اليها تتطلب جهداً من شأنه ان يستأثر بكل أوقات فراغ الضابط المهم ، وهي تبعده ولا شك عن الادب والفلسفة والفروع الأخرى للنشاط الثقافي .

ولادة الحركة الثورية في منقباد

في كتاب ثورة على ضفاف النيل ، وصف الرعيم انور السادات منطقة الصعيد بلغة شاعرية ، ولم يقصر في حق هذه الارض . وصف ارض الفضائل العالية ، والتقاليد الثابتة والاساطير القديمة ، والاعمال المجيدة ، منبت الجنود النوازل ، والفلاحين الشيطيين المقدامين الامناء على عادات الجدود .

في قلب هذه المنطقة تقوم القرية في السهل الاخضر بين منعطفات النيل وقناة الابراهيمية ، والمنطقة العسكرية تمتد في الصحراء على حدود المزروعات وتقودك الطريق المعبدة الى بيوت من طابق واحد تحيط بها الاشجار والحدائق ، وبالقرب منها مطعم للجنود وملاعب للتنس وكرة القدم والمكاتب والبيوت المستطيلة حيث قاعات النوم الكبرى .

عندما وصل جمال الى منقباد في تموز سنة ١٩٣٨ كتب الى صديقه حسن النشار رسالة يصف له فيها مقره الجديد ، وهذا نص الرسالة :

« لقه بدأت امس اعمالى في منقباد ، انه مكان جميل ، والحو شاعري يبعث على التأمل .

« انه مشهد متغير يتألف من صحراء ، ومزروعات وبرك واقنية ..

« في الشمال مزارع ، وفي الجنوب سلسلة جبالية تمتد من الشرق الى
اغرب تحيط بها الصحراء التي تختصها كالام الحون .
« ومن دواعي السرور ان ابلغك ان معنوياتي ما زالت قوية . وجمال
في مقباد ، جمال نفسه الذي عرفته منذ مدة طويلة ، جمال الذي يبحث
في المحنة عن اسباب الامل » .

بعد السنوات القليلة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ التي كان فيها الفتى الوطني
يسحث عن طريقه بين منظمي المظاهرات ، واشتراكيي احمد حسين ،
وساسة الاحزاب ، جاءت فترة السنة والصف التي قضاهما في الكلية
الحربية . فهدأت من روعه وقوت معنوياته . وكان للانضباط العسكري
والمارين الرياضية والعمل المتواصل في جو من التعاون . وتقدير اساتذته ،
كل ذلك كان لديه كبير الاثر اذ جعل الوطني الشاب اكثر التزاماً
وجراً ، والاضاع السياسية مع الاسف لم تكن لترضي جمال
عبد الناصر .

حلال سنة ١٩٣٧ بدأت مصر في مونترو المفاوضات مع بريطانيا من
احل العاء نظام الامتيازات البالي ، وبعد اخذ ورد زالت الامتيازات
القانونية التي كانت تستفيد منها الجاليات الاجنبية .

ولكن حزب الوفد الحاكم ، قبل في لجنته التنفيذية فريقاً من كبار
الملاكين الذين يعضلون مصالحهم المالية الخاصة على العناية بأمر الفلاح ،
وحشد اصداره في المراكز الحساسة في ادارات الدولة ، واستصدر قانوناً
يحرم بموجبه على الطلاب تعاطي السياسة ، كما سمح لمنظمة « القمصان
الزرق » التابعة له ان تستبد بمناوئيتها ، وأقصى النقراشي وغيره من
السعديين عن الحكم لانهم حاولوا معارضة الاعمال غير القانونية التي قام
بها مستغلو العهد . دام ذلك سنة ونيقاً ، وكان آن بلغ الملك الشاب
فادوق سن الرشد ، فعين علي ماهر رئيساً للديوان رغم معارضة السحس ،
لقد كان الملك يريد ان يكون له الكلمة الفصل في تعيين كبار الموظفين

ومنع الانقلاب واللاؤمة . لذلك حل منظمة « القمصان الرق » .
بكلمة موحزة لم يكن فاروق ليرضى بأن يملك دون أن يحكم . وما
شعر بعدم ارتياح الرأي العام للسياسة التي اتبعتها حكومة المحاس لم يتوان
عن الدخول في نزاع مع رئيس وزرائه الذي يستند الى اكثرية ساحقة
في المجلس . وفي كانون الاول سنة ١٩٣٧ اقال وزارة المحاس وعين
وزارة جديدة برئاسة محمد محمود رئيس الاحرار الدستوريين . ثم تلا
ذلك حل المجلس . واهريت انتخابات موروقة رفض الوفد ان يشارك
فيها . وحكم محمد محمود مدعوماً بتأييد الانجليز له . مع مجلس مزور .
وفي تموز سنة ١٩٣٨ عندما ارسل الملازم الشاب الى مفساد . القاعدة
العسكرية الرئيسية في الصعيد . كانت احالة سياسية مصطنعة من حديد .
ووجد الضباط شباب انفسهم وحاة في الريف . فاجدوا يتبعون اخبار
العاصمة بواسطة الصحف . لقد اصبحوا في موضع يتيح لهم ان يحكموا
بتجرد على سياسة الملك والاحزاب . وجعل انقيم على مسافة كيلومترات
من مسقط رأسه وحد في بي مر اصدق صورة لحياة النعاسة التي كان
لا يزال يتردى فيها الفلاح المصري .

وكان الضباط المصري يرد هذه النعاسة قبل كل شيء الى
« الاستعمار » . لقد كان مقتنعاً تمام الاقتناع بأن بريطانيا تستغل مصر
كأبها مزرعة توفر القطن للمعامل لاندكشاير وكانت لا تكفي بذلك بل
تحول دون تصنيعه ايضاً .

ويتحدث انور السادات في كتابه عن ذكريات تلك الحقبة ويقول :
« لم تكن سوى ضباط صغار .. كان لنا رؤساء .. وكن يوحدهم
ايضاً انجليز .. ولم يكن لرؤسائنا المصريين سوى هم واحد . هو اذلالنا
والاستخفاف بنا من جهة . واطهار اسمى آيات الاحترام للانجليز
من جهة ثانية .. لقد كما شهود عيان هذه المشاهد المزرية التي نحر في
نفوسنا وتثير سخطنا . ولم يكن في ايدينا حيلة .

« و قد استطع ان يفعل ملازم مفيد بالانضباط العسكري اراء
حالات كهده سوى السكوت والاحتراق من الغيظ ؟؟
« لقد كما بذل جهدنا للمقاومة في ساعات الراحة . كما نعي
وتمزح ، ولم يكن نور أحداً من لساننا اللادع ، وحياة رؤسائنا الكبار ،
كان الموضوع الذي نتندر به .

« وشاءت سخرية القدر ان نطلع عليا ذات يوم بمقدم جديد يشه
العزاة الانراك ، كان جل همه ان يقتل السلطان عبد الحميد ، ألا
وهو محمود سيف ووجوده في الحامية كان كافياً لجعل حياتنا أكثر
تلبداً . لقد كان مستبداً قاسياً واحق ، لا يقبل عذراً ولا نقاشاً .
كان يفرض عليا بالطبع التقاليد السلطانية . وكما ، مقابل ذلك ، من
قبيل الهزء والسخرية نلقبه بـ « السلطان » .

« بدأنا حينئذ نشمئز من الخدمة العسكرية ، وبعضنا قد أعدوا فعلا
كتب استقالتهم من جيش يضم بين ضباطه أمراة كالسلطان عبد الحميد :
وكما مدهولين من صبر جمال وتجلده وهدوته ، أمام هذا الادلال
الطويل ، الذي فرض عليا . وكما نهديء أنفسنا برؤية جمال يعيش في
أمل لم يخطر في بالنا في تلك الحقبة من حياتنا .

« اني الآن أذكر تلك الايام والليالي ، أذكر مسراتنا وآلامنا ،
وأذكر ألفتنا ، والسلطان عبد الحميد الذي أراد ان يذلنا وأذل نفسه
أمام أصغر البريطانيين . وأذكر جولاته في منطقة منقباد ، والابهة
والقوة اللتين كان يضيفهما على جولاته . انني أذكر كل ذلك ،
وأذكر ايضاً انه خلال هذه الفترة من سن الشباب ، حيث كل شيء
حلم ، بدأنا نمكر . وأذكر ان جمال قال : « ان الانجليز سبب جميع
ما نقاسيه من تجارب . »

« لم يكن أحد منا يجهل ان الانجليز هم سبب تعاستنا ، وكنا جميعاً
بعضهم . ولكن جمال هو الذي قالها ، ويقول آشد كأنه كنا بمهنة

كبرى لا يخور لأحد منا ان ينهرب من الاشتراك فيها .
« ولدى القيام بالمناورات ، كان الضباط الشاب يدمون تحت اسياف
على مسحدر ثلة الشريف ، وهي مرتفع كلبي بطل على ودي اسيل :
وفي إحدى الأمسيات من فصل الشتاء احتفل هؤلاء بعيد الميلاد العشرين
لرميلهم جمال ، وكان ذلك في الخامس عشر من كانون الثاني
سنة ١٩٢٨ . »

ويروي أدور السادات كيف اعتم جمال هذه الفرصة ليحدثهم بحديثه
أذهلتهم فيقول :

« في إحدى أمسيات الشتاء سنة ١٩٢٨ كما على جبل الشريف ،
بعد وليمتنا المتواضعة ، وكنت آنذاك ملازماً في الدوح الخامس بمشاة .
وكان معنا في تلك الأمسية ركريا محيي الدين واحمد ادور وعبرهما من
الضباط . كما تحتفل بعيد ميلاد جمال عبد الناصر ، وعلى مائدتنا الكبيرة
كان يوجد العدس المشهور الذي طبخناه بأيدينا . وبالقرب مما كانت
كومة من قصب السكر ، وكى نعطي هذه المناسبة حق قدرها من
التكريم جلبنا الكسناء من اسبوط . وبينما كنا نمزح بدأ جمال حديثه
بصوت هادىء رزين فقال :

« لفتنم هذه الفرصة ونخلق فيما بيننا رابطاً متيناً . ليكن اجتماعنا
هذا تاريخياً وليحرص كل منا على ان يبقى أميناً للصداقة التي تربطنا
وتوحد فيما بيننا . »

« وبفضل هذا الاتحاد سننتصر ونذل جميع العقبات : »
« لقد كان ذلك اول لقاء مع جمال . كنت قد قابلته عرضاً من
قبل ، ولم أمل اليه لأنه كان رصيباً ، حتى في ساعات المزاح . وكنت
قد احتفظت بنظرتي هذه منه حتى في يوم احتفالنا بعيد ميلاده . »
وهكذا في منقباد حول نار المعسكر الذي أقيم على سفح جبل الشريف
نعرف الضباط الى بعضهم وارتبطوا بوشائج الصداقة . أجل ، لقد كانوا

ياوعين في العمر . صغاراً في الرتب ، ولكمهم مغممون بالآمال
والخيوبة . كانوا يتناقشون في حالة مصر السياسية والاجتماعية ، تجمعهم
الثقة على النظام .

ويقول انور السادات : « وكنا نتكلم عن البلد المريض ، وكنا
محميين على انه يلزمه نفحة قوية جديدة لاستعادة صحته . وكنا نحلم في
اعادة بناء اوطن بشكل تضمن الحرية فيه للجميع . وفي هذه السهرات
حيث كنا نبحث سرّاً عن المعنى والتعريف السياسي لحركتنا استطعنا ان
نرى بصيص النور ينبعث من المستقبل البعيد . ووراء أحلام منقباد
وآمالها كان قد أصبح من الممكن في كل مكان في البلاد ، الشعور
بوحود ارادة جماعية تختمر في النفوس وتستعد للظهور . لقد كن ذلك
بمثابة بشار

ان الطفرة الحماسية للثورة الفرنسية كانت تلهب حواسنا من سقوط
الباستيل وتدفق القوات الشعبية ، هرب فارين ، وزوال الملكية ، وأطاح
هذه المأساة الكبرى ، روبسبير ، دانتون ، سان جوست . كانوا موضع
اعجابنا ، لاسيما بوناپرت الذي كان صعوده الصاعق نداء القدر ،
والميل الشديد الى الحرية والعدالة حملنا على ان نرى الثورة الفرنسية عملاً
عظيماً . وأفكارها اللاهبة وانتصاراتها الرائعة . شددت من عزيمتنا
الثورية وارادتنا . كما معجبين بهذه الملاحمة الكبرى ، واستخلصنا منها
بكل تأكيد دروساً مفيدة . لقد أبعدتنا آلامها عن ' الناحية السلبية المحرقة
مها ، ولم نحتفظ إلا بما هو صالح منها . ان اعادة بناء المجتمعات
الحديثة يتم حسب الافكار والتكنيك التقديميين للثورة الفرنسية . والخطوة
التي تتمتع بها الافكار التحررية في يومنا هذا يعود الفضل فيها للثورة
الفرنسية نفسها . »

يلاحظ المراقب المسدق ولا شك فيما كتبه انور السادات صدى
المطالعات التي يتغذى بها الطلاب في الكلية الثانوية ومكتبة الكلية الحربية .

ان طالباً فرنسياً أو سويسرياً قطعت بلاده مد زمن طويل مرحلة التحرر والثورات ضد الامتيازات الطبقية بحد صعوبة قصوى في فهم اصدى الذي تركه في نفوس شباب بلد إقطاعي خاضع للسيطرة الاجنبية اسماء روسو وروبسبير وديانتون وبوناپرت . ان اسماء عرابي ومصطفى كامل وماركس ولينين وسن بات سن ونهرو . كان لها منزلتها الخاصة في نفس جمال عبد الناصر ورفاقه .

انها كانت تعني النضال ضد الطغيان السياسي الاجتماعي . والثورة بالنسبة لهم . لم تكن حدثاً تاريخياً قابلاً للدرس والنقد ، والتحليل ، بل مرحلة من مراحل الحياة الوطنية ، يجب تطعيمها وتحققها . لقد كانت عملاً من اعمال الغد ..

كان جمال عبد الناصر في فريق الملامين يبدو أكثر بصحاً وتفكيراً من رفاقه . وازور اسادات الشاب الديناميكي المرح لم يستطع في البدء هذا الشاب الرصين ، الذي كان الجميع يشعرون بالخرح أمامه اذا أرادوا المزاح . ولكنه سرعان ما تأثر بشخصية ذلك الرجل الذي أصبح القلب النابض لفريق الشبان الوطنيين ..

لقد سبق لي وأشارت الى ملاحظة أبور السادات على ستار الحزن الذي أسدله على فتوة جمال موت امه المبكر . وكان يبدو في نظر اخوانه الشبان الخارجين العابثين كثيراً منكماشاً على ذاته ، ولكنك اذا عاشرتة شعرت بأنه ، على الرغم من تحفظه ، ليس فيه شيء من البرودة ، بل أن حساسيته مقيدة مكبوتة . أجل لقد كان في امكان هذا الفتى ان يندفع وراء عاطفته وميوله ، لا سيما انه شاب ممتلئ الجسم ، لكنه لم يفعل ذلك . بل اندفع وراء البحث عن الايديولوجيات القومية ، والاجتماعية ، التي كونها لنفسه :

لقد قال فوفنارغ يوماً : « ان المشاعر تخلق الميول » وبالتالي الاعمال » . وابن الست فهيمة ، هذا اليتيم الذي فقد أمه وهو في

المائة عشرة من عمره والذي فرضت عليه الظروف الابعاد عن عائلته
لسررات طويلة من اجل دراسة حتى لنفسه خاصة . أحد عوامده من
قراءته ومن دروس بعض اساتذته . لقد رأيت عند السيد محمد احمد
القرآبي الذي درسه مدة ستة ابلعة العربية في مدرسة النهضة رسالة من
جمال عبد الناصر « رئيس الجمهورية العربية المتحدة » تؤكد اعتراؤه بفضل
اسنده عليه لدروس قومية التي كان يلقيها خلال درسه . ان الشيخ
انقرآبي هو الذي دفعه الى قراءة كتب مصطفى كامل وطبائع الاستبداد ،
للكراسي . وغيرهما من الكتب التي تمجد الامة العربية وتدعو الى بناء
مجتمع عربي سليم يقوم على العدالة الاجتماعية .

لقد بقي والد جمال عبد الناصر الموصف العربي المضطرب المتمسك بالتقاليد
بعيداً عن عالم هذه الافكار الثورية الحادة . وكان جمال يفضل ان يروح
بأوكاره هذه الى عمه حاييل حبيب او الى اصدقائه الحميمين من مدرسة
اسهضة خاصة حسن وعلي الشار . وبقي فضلاً عن ذلك على اتصال
وثيق مع حسن الشار عندما دخل الكلية الحربية ثم خلال حياته في سلك
الضباط . والرمالة المدرسية هذه اشار اليها جمال مراراً في رسائله المتعددة
التي كان يرسلها الى صديقه من منقاد ومن الشكايات العسكرية الاخرى
التي اقام فيها :

لقد عاش الطالب جمال في الكلية الحربية منعزلاً جداً عن رفاق دورته
وعلى الرغم من قيوده الاجتماعية التي فرضها أصله عليه كان ذلك المجدد
معرف في الكتب التي تدخلة الى عالم جديد بالنسبة له عالم الفنون العسكرية
والسياسية الدولية . ولم يكثرث لمعاشرة زملائه الا عندما انتقل الى صف
المنتهين . عندئذ وجد جمال رفيقاً يستطيع ان يقاسمه كراهيته وحاسه
وميله الوطنية .

وكانت المبادرة في منقاد من قبل انور السادات . ان جمال كان يحب
ان يكون عامصاً جداً غير قابل للانقياد فيما يختص بصداقة الاخرين ؟
وفي كتاب « ثورة على ضفاف النيل » يضيف انور السادات بعد ان

يصف ولادة منظمة الضباط الشباب الوطنيين اسمه في سنة ١٩٣٩ رأى
جمال يقدم على تسجيل اسمه في لائحة العسكريين الراجعين في الخدمة في
السودان ، فألحق بموح المشاة الثالث ، وهناك حصل لقاء رجال كنه
لقاء أدكار . وتعرف جمال عبد الناصر الى الملازم الاول عبد الحكيم
عامر . . لقد خدما معاً ثلاث سنوات في السودان توطدت خلالها
العلاقة بينهما :

ان عالم الافكار الموجهة الذي عاش فيه طالب كلية الهندسة والذي
عدته مطالعات الكلية الحربية تعريلاً وتجاوز في عرلة مقبلة ، ثم في
السنوات الثلاث التي أمضيت في السودان .

الملازم عبد الناصر في السودان

لم يبق الملازم جمال عبد الناصر الى ما شاء الله في منقباد تحت إمرة « السلطان عبد الحميد » بل طلب ان يُرسل الى السودان رغبة منه في التعرف على معالم البلد الشقيق الذي يحكمه حاكم انجليزي باسم الحكم الثنائي الانجليزي - المصري .

وعندما نُقل الى الاسكندرية مع السرية الثالثة التي فُرض عليها الذهاب بسرعة الى السودان وطّد جمال صداقته مع زكريا محيي الدين الذي كان التقى به في الكلية الحربية ، ثم في منقباد دون ان تتاح له إقامة روابط معه . وهكذا بعد صديقه حسن النشار وبعد عبد الحكيم عامر وأنور السادات أصبح زكريا محيي الدين الصديق الرابع الذي اجتذبه جمال الى مبادئه الوطنية :

أثر ذلك ذهب جمال الى القاهرة ليتسلم أمر نقله ، ومنها ركب القطار الى الخرطوم . وفي ٣ آذار سنة ١٩٣٩ بعث برسالة الى صديقه حسن النشار يصف فيها بأسلوب مرح المقابلة التي تمت في القطار بينه وبين أحد أعضاء مجلس الشيوخ المعروفين بالثرثرة ، وهي تظهر لنا الملازم عبد الناصر قاصداً مسلحاً وتدل على مدى هزته بالبرلمانيين الثرثرين .

وهذا نص الرسالة :

آذار سنة ١٩٣٩

« في محطة الجزيرة ، فتح باب القطار ليدخل منه عربي متمنطق بسندقيته ، وحوله اخدم يرددون : حاضر يا سعادة الباشا !

« اقبى عليّ التحية فرددت عليه ... ثم أخذ مكانه الى جانبي ، بعد ان وضع امتعته على المقعد المقابل وقال : « اني عضو في مجلس اشيوخ ، ويقولون انني ثرثار كذاب . فقلت له : « تشرفنا »

— « وأضاف ... اني انا الوحيد الذي عارضت معاهدة سنة ١٩٣٦ ثم راح يروي قصة حياته منذ سنة ١٩٠٧ . ولست أدري حتى أي سنة . كان يسرع في الكلام وكل مرة كنت احاول فيها ان انس بكلمة كان يقول « انتظر ، انتظر ... » متابعاً كلامه بصوت مرتفع : « وعندما رأيت انني لن استطيع انوم . وأنه «فرض عليّ الاستماع ، بدأت أنظر ايه دون أن أفهم كلمة واحدة مما يقول ، حتى شعرت بألم في عنقي . واغتنمت لحظة سكوت لأسأله ابن سينزل ... وذلك كي أطمئن نفسي . ولكنه قال لي .. أشكر ربك الكريم الذي رزقك من يرافقك حتى بني سويف »

« وفي بني سويف أنزلت أمتعته . وخلال ذلك أعطاني نصائح طالباً اليّ أن أنتبه الى الجماهير ، وبدأ في سرد قصة ثانية ، فخفت ان يكون قد غيّر رأيه وقرر ان يتابع سفره الى محطة أخرى ، ولكن الله سلم فحفظني وانزله ... حتى الآن ما زال رأسي يتألم من حديثه ولا أدري كيف الخلاص من ذلك ... »

في الخرطوم وجد جمال عبد الناصر نفسه تحت امرة ضباط لم يشعر بميل نحوهم ولحسن حظه جاء عبد الحكيم عامر يؤنس وحدته هناك : وبسبب اصطدامها برئيس صلف سكير نُقلوا معا مدة شهر الى جبل الأولياء ، وهو مركز ضائع في الريف السوداني . بالقرب من سد مصري

على أنيل . وكان ذلك بمثابة نفي أكبره المصريون :

وفي الخرطوم ، كما في جبل الأولياء لم تنح الظروف أمام جمال عبد الناصر ورملائه المصريين ان يوثقوا روابط الصداقة بينهم وبين الضباط السودانيين ، اذ ان الوحدات السودانية التي يشرف عليها ضباط بريطانيون بقيت معزولة ، والدوليس الحربي البريطاني كان يحرص على ألا يتم أي اتصال بينهما وبين الوحدات المصرية . وفضلاً عن ذلك جاءت الحرب العالمية التي أسهمت فيها لقوات اسودانية بحراسة حدود السودان من الايطاليين في الحبشة والارتيريا . ثم بالتعاون مع الانجليز في مختلف الجبهات العالمية .

وهكذا اشترك اللواء ابراهيم عبود رئيس وزراء السودان حالياً مع حيوش احلفاء في احتلال شمالي افريقية سنة ١٩٤٢ على رأس كتيبة سودانية تعمل مع القوات البريطانية .

وفي أول ايار سنة ١٩٤٠ رقي جمال عبد الناصر الى رتبة ملازم أول ، ولاحظ رفاقه انه اذا كان لا يضحك فهو دائم الابتسام ويحب الحيوانات ، وكان يربي قرداً كبيراً في غرفته . وقد روى لي أحد رفاقه كيف جاء لزيارته يوماً فاذا به يشعر شعوراً غريباً عند مروره في الشرفة المظلمة المؤدية الى غرفه جمال ، اذ امتدت اليه يد طويلة باردة من السقف وأمسكته بلطف عند ذقنه .

لقد كانت تلك اليد يد قرد جمال الذي يداعب الزائر على طريقته الخاصة .

في السودان قاد جمال فصيلة ثم خدم كنايب ضابط في الفوج المصري الاول في الخرطوم . ومع ذلك بدأ الملازم الاول يعمل ويتعب من الحياة في بلد سهل عليك ان توطد علاقتك مع القروء أكثر من الشر .

وبسبب قربه من السياسة ورحالها أيقن انه في الجيش يمكن ان يجد

الرفاق الذين سيُصلح معهم بلده ويحرره من الاحتلال البريطاني ،
ولكن المستوى المعنوي لدى الضباط كان يثبط عزيمته . فهو لم يجد
فيهم فرسان النظام الجديد ، ورفاق الضال الذين يقبلون على التضحية
بكل ما لديهم وما يحلمون به من هنا في سبيل اهدافهم القومية .

أنور السادات يتأمر في مصر

ر بها آلاف جمال عند ماضر . وعند الحكم عمر في السودان عبيدين
عن الحياة العامة المصرية حصلت أحداث "حسام في العالم صورة عامة ،
وفي مصر بصورة خاصة :

وفي اوروبا بعد "الحرب اهرلية . بدأت المانية حملتها المظفرة وحتلت
فرنسه . وفي حزيران سنة ١٩٤٠ دخلت ايطالية الحرب . وفي ايلول
اطبق موسوليني جيوشه من ليبيا ضد الانجليز المقيمين في مصر معلماً انه
انه لا يريد الا الخير لمصر . ولا ريب انه لو قُبِضَ له واحتل وادي
نيل حل لاستعمار ماشيستي محل الاستعمار البريطاني .

كانت المشاعر في الجيش المصري مختلطة . كل واحد كان يريد
الحصول من الوصاية البريطانية . ولكنه يخاف من ان تحول اوصاية
وادي نيل ان مستعمرة سكنية كما هي الحال في ليبيا والحشة ،
وتخسر مصر من جديد جرءاً من الحريات التي قاست الكثير حتى حصلت
عليها بعد الحرب العالمية الاولى .

لقد استطاع المرشال غرازيانسي ان يتغلب على طلائع الجيش
البريطاني . واحتل السلوم في ايلول . ثم وصل الى سيدي براني على
مسافة ١٠٠ كيار متر داخل الاراضي المصرية . وعوضاً عن ان يتابع

محدبة هجومه على الاسكندرية والقاهرة . اقام في سيدي براني وترك
للاخير الوقت الكافي لاعادة تنظيم صفوفهم ، وتنتهي الامدادات للقيام
بهجوم معاكس : وكانت الحيوش البريطانية بقيادة الجنرال « وايفل »
الذي كان جمال قد قرأ له وهو في الكلية العسكرية كتبه عن حملة
فلسطين »

بدا « وايفل » هجومه في اواسط كانون الاول : وفي مدة شهرين
استطاع على رأس خمسة وعشرين ألف رجل ان يرد في « برقة »
جيشاً ايطالياً من مائتي ألف رجل ، قتل وأسر نصفهم .
وحلال هذه العمليات العسكرية اشتركت القوات المصرية مع القوات
البريطانية في تنظيم الدفاع عن الاراضي المصرية . وفي منطقة مرسى
مطروح كان الجيش المصري يحتل قطاعين وممرين داحيين ، بينما كان
الجيش البريطاني يتولى الدفاع عن القطاع الساحلي وهو الاهم في صد
الاعداء .

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٤٠ كان نشرشل قد نزع بقمه اكثرية
الضباط المصريين على بريطانية وميول عزيز المصري رئيس الاركان
العام في الجيش المصري نحو المانية . فطلب من حكومة القاهرة عزل
هذا الضابط ، وخوفاً من ان يضرب الجيش المصري القوات البريطانية
من الخلف طلب تسريحه وتسليم اسلحته للسلطات العسكرية البريطانية .
ولكن هذه الاجراءات المهيضة لم ينفذ الا قسم منها . فتراجعت
القوات المصرية الى القاهرة محتفظة بأسلحتها . ويقول انور السادات الذي
شارك في احتلال قطاع مرسى مطروح ان المطالب البريطانية قد اثارت
غفراً من الضباط المصريين . فتآمروا من اجل قلب حكومة مرسى واعلان
بطلان المعاهدة الانجليزية المصرية وفكروا في وضع ايديهم على طرق
المواصلات والمباني الرئيسية العامة ، والمطالبة بحكومة يرئسها علي ماهر
الذي ابعده بریطانية عن الحكم متهمه اياه بأنه موالٍ « للمحور » ولكن

المربق الصمير من الضباط الوطنيين كان قد تفرق ، ولم يكن لأي من
اعصائه السلطة الكافية لاتخاذ قرار . ان الميول الثورية لم تتجسد بعد
ويضيف بالحرف الواحد . « ان كل ثورة في التاريخ تمر على
العموم بمرحلتين . في المرحلة الاولى يبرر الرجال لقيادة الثورة . وفي
المرحلة الثانية تندلع الثورة فنقود الرجال وتوجههم . وكما آنذاك ، ولا
نزال في المرحلة الاولى . وادا كانت الآمال الوطنية الدفينة قد تحددت
معالمها ، وان القائد الذي سيجسدها لم يكن قد ظهر بعد . »
« ان هما كان محصوراً آنشد في تكتيل رجال فريسي اصحاب
ضمير حي قادرين على تفسير عجلة هذه الثورة . لقد كلمتني اللجنة
الاتصال بشخصيتين مصريتين بارزتين هما الشيخ حسن البنا المرشد الاعلى
للاحوان المسلمين ، واللواء عزيز المصري رئيس اركان الجيش المصري
سابقاً . »

الاتصال مع الإخوان المسلمين وعزيز المصري والألمان

في إحدى الليالي بينما كان أدور السادات في المعادي ، الضاحية
القاهرة الفائقة الجمال يتناول طعام العشاء مع بعض الرفاق ، ظهر أمامهم
شيخٌ ملتحج يرتدي معطفاً أحمر فضفاضاً ، فدعوه إلى مشاركتهم طعاماً .
فشكر لهم لظئهم وحلأس بينهم ، ثم أخذ يتحدث . كان حديثه شيقاً ،
وهيئته وقورة ، ومن خلال نظرائه الحزبية الحئة كنت تفجر طيبة قلب
التي جعلتنا نشعر كأننا في حصرة قدس (ثورة على ضفاف النيل) .
لم يكن حسن البنا ليتحدث كالمبشرين بعبارات ممقة وحسب ، بل
كان بسهولة مذهبة يعبر مباشرة إلى الموضوع المقصود .

ومنظمة الإخوان المسلمين كان قد أسسها في الاسماعيلية في منطقة
القناة حيث كانت الجالية الفرنسية تؤلف دولة ضمن الدولة بغناها ونفوذها
وحيث أنشأ البريطانيون بدورهم مستعمرة عسكرية قوية كانت تعرف
إلى تربية الفرد المعنوية ، وإعادة تنظيم المجتمع الإسلامي حسب ما جاء
في القرآن .

لقد استطاع الشيخ البنا بفضائله وفصاحته اللاهبة ، استطاع بمرعة

وذلك (بما ذكره) من توصف الحروف وسميتها من ثبات بصورة حركية
وذلك (بما ذكره) من توصف الحروف وسميتها من ثبات بصورة حركية
وذلك (بما ذكره) من توصف الحروف وسميتها من ثبات بصورة حركية

الجمعية العام في قصر قديم تحت الأشجار وبيكم ما كبه امور
عن هذه الزبارة

قد دار بيتا حديث طويل ، وكان المرشد العام فنياً يبحث عن
أروء الأمر في الأيمان وفورة النفس وشعرت تأتي مشققة معه
كل دهر من الدنيا المذهب الذي يحترم الأسس وكرامته . وما من
شيء ، به أن يكون اسم من ذلك في حصة ندرت فيها القيم الروحية
وماء الماء والمحطت الأخلاق . كان يشككي من الاحتياط المحيظ الذي
على الناس والعباد . ومن عدم اسبقه تعاليم الاسلام . لذلك شدّد
على ضرورة ارساء مهنمنا على الأبد ونشر مبادئ الدين بين
صفوف الجيش .

« وعن الحانة الراهبة في مصر ، كان يدي آراء صائبة واستنتاجات رائعة ، وكان نصره ثاقباً يصل الى البعيد ، وكان محسناً بانه يعيش حياة حنسة من حقب التاريخ المضطرب . وكان موقفاً في نفسه النقية المطمئنة معاً من ان كل شيء سيتعوض . »

ومن ذلك الحين تأكدت من ان ذلك الرجل يعد في مخيلته
مخططات رصيفة ضخمة . لكنه يصبر على ابقائها سرّاً بينه وبين نفسه ،
وادركت ايضاً انه يدير وحده وبطريقة (ديكتاتورية المنظمة) ومخطط
له سياستها كما يشاء . واقرب المقربين اليه كانوا يجهلون كل شيء عن
المخططات التي يضعها والاهداف التي يقصدها . كان يحرص على ان
يكون وحده الرئيس والسيد . ومنذ تلك الحقبة ، بدأ تنظيم تشكيلات

شه عسكرية وفرقاً للقتال ، وباء مستودعات للأسلحة والمخيرة .
وكان يلجأ الى اصغر الاعضاء سناً في المصحة للقيام بهذه العمليات .
وبين هؤلاء كان بالضبط المتطوع الذي قادني اليه لأول مرة في
المعادي .

« وقد شعرت بذلك يوماً عن طريق الصدفة . واذكر اني كنت
في مقر الجمعية عندما دخل جندي فحاة ، ووضع بعناية صندوقين
مقفلين امام المرشد العام ، وعندما عرفني اضطرب ولكن رئيسه طمأنه
بحركة منه . فعض المتطوع الشاب طرفه وابتم ابتسامة الرقيق وأحوة
السلاح . ثم فتح الصندوقين فاذا بهما يخويان عييات من المسدسات .

« احسستُ في داخلي آتد بغضة زائدة ، وقلت في نفسي .. ان
اليوم الذي سنعطي فيه نحن اشارة البدء في المعركة آت لا ريب فيه .
وعندما سمعنا ذلك سنستطيع ان نعتمد على قوة « شعبية » هائلة
متحمسة مناضلة ، تساندنا في معركتنا . »

لقد كان انور السادات اذن ضابط الارتباط بين جماعة الضباط الاحرار
والمرشد العام للاخوان المسلمين . وحسن البناء هو الذي جمعه بعزير المصري
الذي كان قد اقاله سرى رئيس الوزراء من منصبه في رئاسة اركان
الجيش بناءً على طلب الحكومة البريطانية .

كان عزيز المصري ضابطاً في الجيش التركي . وقد أبلى بلاء حسناً
في حروب البلقان واحرز انتصارات مجيدة على الابطاليين في ليبيا ، ولا
عجب فقد تلقن الفنون العسكرية الالمانية وسبق له وطاف في المانية
وفرنسة وانجلترا وهو صغير القامة ، نحيل عصبي فائق الحيوية وطني
منطرف يضرر للانجليز حقداً لا يجاريه حقد .

وكان جمال عبد الناصر وانور السادات ورفاقهما قد التقوا به لأول
مرة سنة ١٩٣٨ في الكاية الحربية حيث ألقى على الطلاب محاضرة عن
افرى الآلية ووسائل الدفاع لمجابهتها ، أظري فيها طريقة جديدة لشل

عمل المصنحات عن طريق جنود متفرقين مزودين بأسلحة وقنايل خاصة وقد لفت هذه الطريقة الأنظار والجزء من ضباط البعثة العسكرية البريطانية . ولكنها مع ذلك أثبتت صلاحيتها بعد التجارب خلال الحرب العالمية الثانية، عندما استطاع المقاتلون الشجعان أن يشلوا حركة المصنحات ويقفوها خارج المعركة باستعمالهم قنايل « مولوتوف » اليدوية .

كان عزيز المصري قد أزعج الإنجليز باتباع نظام الأدلة الألماني في الجيش المصري كما كان قد انعقد نشاط البعثة العسكرية البريطانية ، وقد أعاطهم حداً عندما أثبت أن رشاشات « البرن » المشتراة من إنجلترا ، كانت تُباع إلى مصر بأسعار أعلى بكثير من تلك التي كانت تطلبها تشيكوسلوفاكيا .. حتى أنه صرخ مرة في وجه أعضاء البعثة : « انكم أعضاء بعثة تجارية ولستم بعثة عسكرية . »

ولم يتزعج المادة العسكريون الإنجليز من ذلك فحسب ، ومن عداة عزيز المصري لهم وميوله الألمانية ، بل أنهم اشتبهوا في أن رئيس أركان الجيش المصري كان على اتصال بالعدو وقد ازدادت هذه الشكوك في كانون الأول سنة ١٩٤٠ ، عندما فاجأت القوات الحليفة القوات الإيطالية العسكرية في سيدي براني بهجوم صاعق حيث كان الإيطاليون منهمكين بأعداد العدة لأزحف المصفر على وادي النيل .

على أثر الهجوم وجد في محفوفات الأركان الإيطالية جميع الخطط العسكرية المعدة للدفاع عن الصحراء الغربية التي كان الأسواء ميتلاند ولون قائد العمليات الحربية في مصر تحت إمرة المارشال « واينل » قد ستمها بيده إلى اللواء عزيز المصري ، تُرى من أوصِل هذه الخطط إلى الأعداء ؟ ..

هل وصلت عن طريق رئيس الأركان العامة المصرية ؟ أم عن طريق رئيس الوزراء ؟ أم الملك فاروق نفسه ؟ .. ومهما يكن من أمر فإنه من غير الممكن أن تصل تلك المعلومات إلى الأعداء عن طريق

موظف صغير غير مسؤول . ومن العسير جداً في وضع كهذا تحديد المسؤولية .

ومن رواية انور السادات في كتاب « ثورة على ضفاف النيل » ، ان الاجليز لم يكونوا محطين كل الخطأ في حذرهم من عزيز المصري ، فأحيل الى التقاعد وُحُكِمَ عايه بالمطالة ، فما كان منه الا ان أفصح عن ميوله القومية للضباط الشاب الذين كانوا يجتمعون به سرّاً . بعد أحد كل الاحتياطات اللازمة حتى لا تنفع عيهم عين قلم الاستخبارات البريطانية ، أو البوليس الحربي المصري . لقد قابله انور السادات في المرة الاولى في مكتب محاور لعبادة طبيب في حي السيدة ريس الشعبي ، وبعد ذلك قام الملازمون الشاب بعملية نساق أسوار حديقة عين شمس حيث كان عزيز المصري يسكن قصرأ قديماً محاطاً بأشجار الممحة . كان اللواء عزيز المصري المبعد عن الجيش يعتمد على الضباط السان للقيام بانقلاب عسكري يحرر البلاد من الوصاية البريطانية . وكموافق سابق لمصطفى كمال ، كان بالطبع يستهويه نخاع حركة جماعة « تركيا الفتاة » وكصديق للشيخ حسن البنا ، كان يأمل في مزج الحيوية الدينية للاخوان المسلمين بالحيوية الوطنية القومية للضباط الاحرار . وكثيراً ما تحدث ، كما يقول انور السادات عن بونايرت الذي استطاع في الثلاثين من عمره ان يقوم بانقلاب الثامن عشر من « برومير » وبعيد بناء فرنسا وبحكم امبراطورية .

وقد أحييت الصعوبات التي واجهتها بريطانيا في الشرق الاوسط سنة ١٩٤١ آمال الوطنيين المصريين . فرشيد عالي الكيلاني كان قد بدأ الثورة عليهم في العراق ، والامان الذين اسرعوا لنجدة الايطاليين في ليبيا تمكنوا من ان يستعيدوا المناطق التي خسرها الايطاليون . وجيش افريقيا الذي كان يقوده رومل بات يهدد تهديداً مباشراً الجيوش البريطانية العسكرية في مصر . والهجوم الجوي المستمر على مالطة وعلى الامدادات

مقدمة الى الاسكندرية حملت الاميرالية البريطانية تفكر في الاسحاح من
الحوص شرق للبحر المتوسط وحصر الدفاع في جبل طارق .
ويقول السادات في ذلك : « ان المثل كان يربص بالبريطانيين ،
وعلى مصر ألا تفوت هذه الفرصة الذهبية . ان معويات قوائنا كانت
مرتفعة جداً . وقد حان الوقت الذي يجب عليها فيه ان تثبت شعورها
الوطني ونسهر عن وجهها فيه بدخول المعركة . »

في ذلك الحين قام نور السادات بانصالات مع القيادة الالمانية العامة
في ايبا وبحث أمر اهتمام نفوذ المصرية النائرة الى قوات المحور .
وفكر الالماني في ارسال عريير المصري الى العراق ليقود القوات العربية ،
وبدلت الاهتمامات السياسية والعسكرية التي أخذت تواجه حركة رشيد عالي
الكيلاوي وتهدها بالمش . وبخصوص ذلك كان اللواء العجوز لا يشارك
فقط اشدان رأيهم ونشؤهم وحماسهم لمدخل في ثورة بغداد ، بل
قال لهم ؟

— « انكم لا تعرفون مثلي الساسة العراقيين »

لمد قاسى الكثير من ازعماء العرب الذين كان قد أتيح له التعرف
اليهم في عهد الاسراك . وكان موقفاً من انهم يتآمرون مع الانجليز على
قومهم ، ولن يترددوا في طعن السياسي الجريء رشيد عالي الكيلاني
بالخنجر في ظهره .

وفي آذار سنة ١٩٤١ جاء أحد موظفي « الفيرماخت » لزيارة عزيز
المصري في منزله وسلمه رسالة احتصرها انور السادات بما يلي : « ان
الالماني يقدرون ، كما ينبغي التأكيد ، نشاط عزيز المصري الوطني .
ويعلنون له رغبتهم في التعاون معه والاستفادة من خبرته العسكرية
وخبرته ، وذا هو أراد من جانبه ان يتعاون معهم ، فما عليه إلا ان
يعلنهم عن رغبته ومشروعه ، وهم يأخذون على عاتقهم السيف .
قبل عزيز المصري مبدئياً العرض الالماني ، وبحث مع انور السادات

وسيلة الهرب من مصر ، واقترح ان تأتي غواصة لأخذه عند بحيرة
« البرلس » وتنقله الى بيروت . والملازم في الخيالة اسماعيل مطهر
الذي كان من بين الذين ألقوا أولى خلايا حركة الضباط الاحرار ،
كان يمسك بالقرب من بحيرة البرلس في محطة قناة السويس .
لذلك توجه الى هناك ليتعرف الى المكان . وبعد بحث المشروع بحثاً
دقيقاً زين ابيه من غير الممكن تسميته .

وكان الهرب بطريق الجو أكثر قابلية لتحقيق ، فانه عزيز المصري
وانور السادات الى مطار الحضاية ، وفصدا الملك ليتعرف ابيه بصحبة
الطيار عبدالمعزم عبدالرؤوف ، ولكنهم عندما وصلوا الى الصحراء ذهبوا
لما رأوا على حادي الطريق مستودعات لا حصر لها ومعسكرات تعج
بالجنود البريطانيين . واقترح الامام مكاناً آخر للهبوط في الصحراء النائية
قرب « حل » على طريق الواحات . وافق الجميع على تأجيل
وصول الطائرة والاشارة التي يجب تبادلها معها . كان على هذه
الطائرة ان تهبط عند غروب الشمس ، كما كان عليها ان تحمل شارات
سلاح الجو الملكي البريطاني .

ذهب عزيز المصري في السيارة مع عبدالمعزم عبدالرؤوف حسب
الموعد المحدد . ولكن احد دواب السيارة اعجز عن الاهرام ، وكان
من المستحيل اصلاحه بسرعة . فوصلت الطائرة وحطت لتعود من حيث
جاءت دون ان تحمل اللواء .

اتفق عزيز المصري مع قائد العرب حسين ذو الفتنار صبري نائب
وزير الخارجية للهرب هذه المرة على متن طائرة مصرية . ولكن
طيران الليل توقع بمحادث اصطدام . وقد اصطدمت الطائرة بأحد
الاعمدة وسقطت على الارض . والهاربون الذين نجوا بأعجوبة أشبه
الدمع عليهم وسجدوا وحكوا بالاشغال لشدة تأمرهم على سلامة الدولة .
ورب انور السادات بهذا الحصر يقول : « لو ان انصار لم

يلعب صدينا ، واو محمدا في صم قواتنا الى المحور ويمسا كان نمبر
مير الاحداث .

ان لنا ملء الحق في ألا شاطر انور السادات هذا الرأي . ويبدو
واضحاً حلياً من مراحل الفشل المتتالية ان حركة الضباط الاحرار لم
يكن أمامها أي أمل في الوصول الى نتيجة إيجابية ، لأن انضباط الدين
انحرفوا في حلاياها يعملون منعاي ان الميل الثوري ومحاولات عمارة
الاستعمار البريطاني بالاستعمار الألماني لا يمكن ان يؤدي في حال من
الأحوال الى تحرير مصر .

وكان لا بد من اجل رحرحة الوصاية الاجسية من ان تقوم ادارة
موحدة ذات ارادة حارمة تجمع ذوي الوايا الطيبة المنفرقين ويجب
ان يمحصر كل فرد في الجيش حتى يصح بالامكان الاتصال بعدد
كاف من الضباط الذين يقدمون على المخاطرة بمراكزهم ، بل بحياتهم ،
للاشتراك في عملية احياء وطنهم . ويجب الحصول على تعهد بالكتمان
التام وقول أي امر يصدر عن لجنة ثورية مصغرة .

وقد كرمس جمال عبد الناصر جهوده لتنظيم حركته بدقة ونهج
وصبر . وكان من شأن الحماقة السياسية التي ارتكبتها السلطات البريطانية
ان تسهل له مهمته ، اذ ان عملية عرض العضلات في الرابع من شباط
سنة ١٩٤٢ ضد الملك فاروق من جانب القوات البريطانية كان من
نتائجها مضاعفة مشاعر العداء نحو بريطانيا في صفوف الجيش ، فازداد
الميل الوطني لتشكيل حكومة قوية ، حرة من قيد مع الاجني :

هجوم المصنفات البريطانية على قصر عابدين

وأثره في تقوية الحركة الثورية

في عام ١٩٤١ بينما كان أنور السادات وعبد الماعز عبد الرؤوف وأحمد مطهر وحسن عزت يتصلون ويختمون مع حسن البكر وعزيز المصري للتخلص من العرش والاختيار ، كان الملازم جمال عبد الناصر في السودان يعيش حياة عسكرية صرفة لأنه في أوساط الضباط المصريين كان الانتهازيون يقدمون مصالحهم الشخصية العاجلة النافذة على مصلحة مصر التي كانت تنوق إلى التحرر والعدالة الاجتماعية .

وكان لا يمكن أن يُسمع له رأي ممن هم أعلى منه رتبة ، لأنهم كانوا يريدون اذلاء مع الانجليز منعجرفين متعطسين في علاقاتهم مع من هم أدنى منهم رتبة من أبناء بلدهم ؟

وهذه رسالة بعث بها جمال من الخرطوم في آب سنة ١٩٤١ إلى صديقه حسن البشار تعكس لنا بأسه الموقت . وهذا بعض ما جاء فيها ..

« .. ان عيبي الوحيد هو صراحتي ، فأن لا أعرف اللف والدوران كما انني لا أجيد التملق . ولا استرضي رؤسائي ..

« .. ان الحياة الحاضرة تختلف بكثير عما كانت في السابق . فلا

إخلاص ولا وُحْدان في حياتنا اليوم .. وبوصفي أو من الوحيد في محيطي
هذا بالوجدان والاحلاص . لذلك اُصْطُهدت ولعنوباتُ نصب علي .

ان المؤمن مُبتلى ..

.. أما زلت تذكر مادحا الاصلاحية التي كان يحب ان نفسه في
عشر سنوات ؟ لقد صرت اعتقد الان بأنه ينبغي الف عام لتفنيها .
سنتول بـ حال قد زعيم أوكد لك ان كلامي هذا هو وليد تجاربي
والصلاحي مع فريقي كنت اص حياً فيه ، وآمل ان يحقق أمل الوطن
على يديه .

في نهاية عام ١٩٤١ عاد الملازم جمال عبد الناصر الى مصر .
وكانت لاصراع العسكرية قد تبادلت . في شهر حزيران 'قطعت'
العلاقات الروسية الودية ، وجرى ذلك بروسية الى الوقوف الى جانب
اعداء المديّة وفي تشرين الثاني وكون الاول استضافت القوات
البريطانية في بقودها «أوكدت» ان ترد هجوماً معاكساً المانياً - ايطالياً
عن الشواطئ اللبية .

وفي السابع من كانون الاول سنة ١٩٤١ دخلت الولايات المتحدة
الحرب .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٤٢ بدأ «الفيلق الافريقي» بقيادة الجنرال
رومل عمليات حربية على أوسع نطاق ضد القوات البريطانية التي كانت
قد انضمت اليها قوات نيوزلندية وجنوب افريقية واسترالية وهندية
وبولونية وبوغسلافية وفرنسية (ديغولية) .

وكان ان تعاونت حكومة حسين سري مع الانجليز في الدفاع عن
الارض المصرية . ولكن الجيش والشعب كانا لا يشعران بأي تضامن
مع البريطانيين ، واحتره في نظر المصريين كانت الدولة المستعمرة ..
ولا كرامة اساحه كانت تنمى انتصار المديّة التي كانت محصاة اداعتها
تعيد المصريين بالاستقلال .

وفي أول شباط سنة ١٩٤٢ بعد مرور أيام فقط على استعادة الجيوش الألمانية لمدينة بنغازي انطلقت المظاهرات الطلابية في شوارع القاهرة مطالبة بحكومة يرئسها علي ماهر الذي كان الانجليز يعتبرونه موالياً للمحور وفي اليوم التالي أقال الملك فاروق حكومة حسين سري متهماً إياها بأنها قطعت دون علمه وبناء على رغبة السفير البريطاني العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشي الفرنسية .

ثم انطلق الأزهريون جماعات جماعات في شوارع القاهرة بنادون « الى الامام يا رومل » ويتظاهرون ضد الانجليز دون ان يحاول رجال البوليس ان يتدخلوا لفريق المتظاهرين .

وفي الثالث من شباط وقبل ان يجتمع الملك فاروق بعلي ماهر ويبحث معه بشأن تأليف الحكومة الجديدة اتصل به هاتفياً السفير البريطاني السير مايلز لميسون (اللورد كيلرن حالياً) بقصر عابدين . واعلم الملك بأنه نظراً للحالة العسكرية الراهنة فان الحكومة البريطانية تصر على ضرورة تشكيل حكومة برئاسة مصطفى النحاس الذي تثق به بريطانيا ، وبأنه تمنى يجب اقضاء علي ماهر فأجاب فاروق على مكالمة السير ولميسون انه قبل اعطاء الجواب سيستشير الشخصيات السياسية ومن بينها علي ماهر ومصطفى النحاس .

وفي صبيحة الرابع من شباط قبل ان يعرف قرار الملك وجه السير لميسون اليه التهديد التالي .. « اذا لم يُكلف مصطفى النحاس قبل السادسة مساء من هذا اليوم تأليف الحكومة المصرية الجديدة فان علي الملك فاروق ان يتحمل نتائج رفضه لتنفيذ الرغبة البريطانية . »

وفي الساعة السادسة اتصل هاتفياً السيد احمد حسنين رئيس ديوان الملك باستشارة البريطانية ليكلم السير مايلز لميسون ويخبره بان الملك قرر بعد مشاور مع عدد من السياسيين ان يرفض الانذار البريطاني . فأجاب لميسون على اذاعتب بأنه سيترور الملك في التاسعة مساء .

وتتماماً في الساعة المعينة افتحمت كنيبة من المصفحات البريطانية تواكبها
قوة آلية فصر عابدين ، ودكت مدخل باحة اشرف ولم يحرك الحرس
الملكي ساكناً لان أوامر الملك كانت تنصحي بأن لا يأتي باية حركة مقاومة.
ثم ارتقى السفير مصحوباً بالمواء «ستون» قائد القوات البريطانية في
مصر وضابطين افريقيين والمسدسات في أيديهم ، ارتقوا الدرع المؤدي
الى الاحصحة الملكية ، فتقدم باور الملك منهم ، فكان أن أبعده السفير
بيده قائلاً : « انني أعرف طريقتي » .

وعندما وصل السفير الى القاعة التي يشغلها مكتب الملك اعلمه بأنه
سحب القوات البريطانية ، وحيره بين التوقيع على الكتابين اللذين عرضهما
عليه . وكان الاول أمراً بتكليف مصطفى النحاس تأليف الحكومة الجديدة
والثاني بنصر على شارل عن العرش . فوقع الملك الامر الاول وعين
مصطفى النحاس رئيساً للحكومة .

وفي اليوم التالي وقبل ان ينسلم مصطفى النحاس سلطاته ، اعلم السير
ماييز لميسون بأنه لا داعي للابضاح بان معاهدة سنة ١٩٣٦ لا تعطي
بريطانية حق التدخل في شؤون مصر الداخلية وخاصة تشكيل الحكومات
وحلها . كان ذلك ذراً للرماد في العين .

وهذا التصريح لا يغير من الواقع شيئاً ، لقد أرغم السفير البريطاني
بالقوة المسلحة على تكليف رئيس حزب الوفد بتأليف الحكومة ، ولا
ريب ان قبول رئيس اكبر حزب مصري تسلم الحكم في ظروف مذلّة
كهنه كان لطمخة عار في جبين مصر .

لقد اعتبرت هذه العملية في طول البلاد وعرضها اهانة للشعب المصري
كله . وكتب انور السادات يقول :

« لقد اراد الجيش ان يثار لكرامة الوطن التي اهينت في الرابع من
شباط وبصر بضره ، وعقد ضباط فريقنا الذين اشتعلوا غيظاً اجتماعاً
في النادي العسكري في الزمالة ولكن مصر لم تكن مستعدة بعد لدور

الى الحللة وأي تدخل في الوقت غير المناسب من شأنه ان يفسد النتائج المتوخاة .

« والعقول الراجحة بيننا دعت الى التعقل فاستجبت الى بدائها ... »

« واذا كان هذا الحرح الذي اصاب الوطن لم يشعل ثورة في البلاد فانه اعطى الحركة الثورية قوة جديدة دافعة وانتقلت الحركة من المرحلة الشكلية الى مرحلة الجهاد وتضاعف عدد الخلايا تضاعفاً كبيراً .

وقدم كثير من الضباط استقالاتهم عشية الرابع من شباط . وقد كتب اللواء « محمد نجيب » في « مستهل مصر » عن تلك المناسبة يقول : « لقد بلغ السحط بي درجة دفعتني الى ان اوجه الى الملك فاروق المذكورة التالية : بما ان الجيش ليس لديه امكانية الدفاع عن جلالته ، فاني اخجل لذلك ان اسأل الري العسكري . وأرجوكم ان تتقبلوا استقالاتي من الجيش المصري . فأرسل الملك مرافقه العسكري السوداني اللواء عبد الله المحومي يشرح لمحمد نجيب ، انه حالما هو نفسه طلب الى الحرس الملكي ان لا يقاوم البريطانيين فهو لا يستطيع ان يقبل استقالة اي ضابط في الجيش »

وتستطيع ان تعرف رد الفعل لدى جمال عيسد الناصر من قراءة رسالتين كان قد ارسلها الى صديقه حمن الشار من العلمين حيث كان يعسكر :

في الرسالة الاولى التي كتبت بعد الرابع من شباط يقول الملازم الاول عبد الناصر :

« .. انني لأخجل كيف ان الجيش قبل هذا التطاول ولم يقاومه . ولكنني سعيد من ان ضباطنا الذين كانوا حتى اليوم لا يفكرون الا في لهوهم ، قد بدأوا يتحدثون عن الاخذ بالنار . وبعد ان عرف جمال عن طريق صديقه تفصيلات الحادث الذي هز

مصر ، كتب الرسالة التالية :

العلمين في ١٦ شباط سنة ١٩٤٢

عزيزي حسن ،

« لقد تلقت رسالتك ، وما ذكرته فيها اشعالي غيظاً ، ولكن ما
العمل اراء الامر الواقع ، لقد قلنا ورضحنا جميعاً ، واني اعتقد حقاً
ان الانجليز يلعبون في ايديهم ورقة واحدة ، انهم لا يريدون سوى
- اربابنا - وتهيأيدنا :»

« ولو انهم شعروا بأن هناك نفراً من المصريين مستعدون لاهراق
دمائهم ومواجهة القوة بالقوة لانسحبوا كالعواهر . تلك طريقتهم في
في العمل ، وتلك عاداتهم ، اما نحن ، اما في الجيش فان هذا الحادث
قد اقتضا ، وأثربا ، حتى اليوم لم يكن الضباط يتحدثون الا عن
الملدات ولتسليه ، اما الآن فانهم يتكلمون عن الضحية والموت ، دفاعاً
عن الكرامة ... انك تراهم نادمين لانهم لم يتدخلوا على الرغم من
ضعفهم الشديد ، من اجل النأر لكرامة الوطن وغسل العار الذي لحقه
بالدماء . ان المستقبل لنا .

« لقد حاول البعض ، بعد هذا الحادث ان يقاوموا ويثأروا .. بعد
فوات الاوان .. اذ كانت القلوب مملوءة حقداً ومرارة .
« لقد اعاد هذا الحادث ، او هذه الصدمة على الأصح ، اعاد الروح
الى بعض الاجسام . لقد تعلموا ان هناك شيئاً اسمه الكرامة ، وان علينا
ان نكون دائماً على اتم الاستعداد للدفاع عنها .. وهذا درس ولكه
درس قاسٍ .. »

يتبين لنا من هذه الرسالة العجيبة انه لو كان لدى فاروق الشجاعة
الكانسية ، لمقاومة الضغط البريطاني لوجد نخبة الجيش في جانبه ،
لقد وصل غضب الملازم الاول جمال عبد الناصر الى درجة حمته وهو
المتحفظ المتعفف في لعتسه على ان ينعت الانجليز « بالعواهر » . من
اصروري ان يكون جمال عبد الناصر في اقصى درجات الغضب ، والثورة

الفنية ليستعمل كلمة كهذه . لقد حاولت المصور التي نشرت نص هذه الرسالة ان تطمس هذه العبارة ولكنها تبدو واضحة في النسخة المصورة من الرسالة .

ولو فكرنا في الحالة الحرجة التي كانت تعانيها بريطانيا آنذاك لادركا السر وعرفنا ان لقادة العسكريين الانجليز كانوا حريصين على ان يكون على رأس حكومة مصر رجل سياسي لا علاقات له بالاطاليين والامان . ومن المحتمل ان تكون مظاهرات الايام الاولى من شباط التي بررت الى حد ما تصرف الاخير في الرابع منه ، قد نُظمت من قبل عملاء بريطانيين .

ومهما يكن فانها كانت تُعبر مع ذلك عن شعور الاكثية الساحقة من المصريين . وسكان وادي النيل لم يكونوا يشعرون بأي ميل لأي جهة من الجهات المتحاربة . وجل ما كانوا يرغبون فيه البقاء في منجى من الحرب . ولا يريدون ان يُزح بهم في هذا الاتون ، وبما ان الانجليز هم الذين كانوا يحتلون مصر ، لذلك كانت البلاد تتمنى ان يخسروا الحرب ويتم طردهم على ايدي الالمان .

وخلال صيف سنة ١٩٤٢ تفاقمت حالة الحفء سوءاً . فقد وقع القسم الاعظم من الشرق الاقصى في ايدي اليابانيين ، وفي المتوسط خسرت البحرية البريطانية افضل قطعها . وفي روسية احتل الالمان اوكرانيا وتقدموا نحو منابع النفط في القفقاس . وفي ليبيا سقطت طبرق في ايدي المحور بعد حصار طويل ، واندفع رومل بحبوشه نحو الحدود المصرية آسراً اربعين الف جندي بريطاني . ولم يتوقف الا عند العلمين .

وفي القاهرة والاسكندرية ، بدأوا يحرقون المستندات المعرضة للخطر . وراحوا يعدون كيفية اخلاء سفارات الحفء ومقر القيادة البريطانية العام .

وفي الجيش المصري ، راح الفريق الثوري يستعد للقيام بانقلاب

عسكري . وكان المقصود قلب الحكيمه - حكومة مصطفى النحاس -
والمجيء بعلي ماهر . الى الحكم . ثم الوقوف الى جانب قوات المحور
ضد الجيش البريطاني .

وكانت الساحة التمهيدية للضباط الاحرار انور السادات الاتصال بحسن
البا لتسيق عمل القوى المسلحة مع عمل الاخوان المسلمين . وقد استقبله
المرشد العام للاخوان المسلمين بسرية تامة . وهذا ما يروي به انور السادات
نفسه عن تلك المقابلة في كتابه « ثورة على ضنائف النيل » : لقد اخبرته
ان ساعة العمل ستدق ، وشرحت له ان مشروعنا قد أشبع درساً ،
وان نهيئ له سبب بالتعاون مع الالمان ، وحددت له الدور الذي نأمل ان
يقوم به الاخوان المسلمون في هذه المهمة ، وحدود ذلك الدور . وكان
الشيخ بصفي بانتاه زائد لما أقول . ولهرط تأثره تتم بصوت منخفض
بضع كلمات كثره يتكلم مع نفسه ، ثم امجر باكياً ، وبعد ان هدأ
وتمالك نفسه نظر الى وعلى وجهه امارات الامل المفاجيء وراح يتدفق
الكلام الحماسي من فيه قائلاً : « ... ان رؤية مصر في معركة الضال من
اجل الاستقلال قد حركت في الاعماق مشاعر الوطنية ، ومصلحة الامة
وسعادتها هما جل ما انماه في هذه الدنيا » .. ثم أطرق يفكر لحظة وقل
منتماً لاختفاء قمة الظاهر : « .. انا مستعدون للوقوف الى جانبكم في أي
وقت تريدون » . لا ريب ان قلبه كان معنا ولكنه لم يتفوه بالكلمات التي
كنت انتظرها منه ... »

« لم يُطمئني انه يتبنى مشروعنا ومخططنا . ولم يقل انه سيصدر
أوامره الى جماعته بالانضمام الينا فور صدور اشارة البدء بالمعركة .. »
وفي ذلك الاجتماع خرج المرشد العام عن تحفظه ، واعطى انور
السادات جميع التفاصيل عن التشكيلات شبه العسكرية التي تعمل تحت
لوائه ، وعن لاسلحة وتدريب . واقترح دمج حركة الضباط الاحرار
جمعية الاخوان المسلمين . فرد انور السادات بان الايدولوجية الثورية

تخلف عند هريدين . و ان رفاهه الصراط اصفوا من مبدأ يقول بضرورة
عدم الانتساب الى أي حزب ، وانه يكفي ان يتفقوا فيما بينهم لقب
نظم الحكم دون تحديد الشكل السياسي للحكومة المنتهية ، وان هدف
الوطين هو واحد . اما هو تحرير الشعب ورفع مستواه المعيشي

ولكن الشيخ حسن السالم لم يتمتع بهذه الحجة . وحالته النفسية حيث
كان يشرح الحق ، لامل لم تكن يسمح لمرشد الاحوان المسلمين العام
ان ينظر الى الامور بظروعه موضوعية . فتمهم الصراط الشب ب . يتقاط
الجاهل عن طريق تحريك الابدل الذي شيء . ونخرج هذه الحماسة
الجماعية ودفعتها الى العمل الفعلي شيء آخر .

وكان على صراط الاحرار ان يتوصلوا الى الاستدح فاعل انه من
الأفضل لهم الاعتماد على أنفسهم فقط لتنظيم الثورة . ووصلاً عن ذلك
على اثر ذلك المنايعة مع الشيخ حسن السالم اعتلت استغلت الصراط أمور
السادات وزجت به في احد المعتقلات :

و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

المرموال و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

المرموال و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

المرموال و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

المرموال و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

المرموال و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

المرموال و قد كان له من ذلك كبر وشرف وسمعة

جاسوسان عند رقصہ

[illegible]

كان من مآثر سنة ١٩٣٦ شكياً - نضع نهاية - معاهدة الصوبية
في كتاب ريفية حلاشا تعرض على مصر الاحتلال العسكري وكان
بعد ان تحول معاهدة غير المتكافئة ان حلف بقباله امرين ان يصلحه
المشاركة .

كان البريطانيون يمتدّون بهم لحماية مصر من كل اعتداء . وخاصة من الاستعمار الفاشيستي يقدّمون في مصر خدمة جليلة . وعلى الشعب المصري لقاءها ان يتعاون باخلاص مع بريطانيا في حربها ضد المحور . ولكن الضباط المصريين شباب الذين دخلوا الكلية الحربية العسكرية بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ لم يكن لديهم أي ثقة في أن يُنفذ بشرف ما

جاء في بنودها .

وبقاء القوات البريطانية فعلي في مصففة القصة بسدا لؤلؤا اصا
استمراراً للسيطرة الأجنبية كشركة في حسم مصر ولاحتوا ان بربرية
ما زالت تتدخل في شؤون مصر الداخلية واخارجية ، وم يرسح في
رؤوسهم سوى فكرة التخلص من الدول الأجنبية التي فرصت وجودها
في وادي النيل بحجة الحماية .

ولم يكن في بية أنور السادات مطلقاً عندما بسدا اتصاله
الحاسوسية الألمانية ان يحون دولة حليفة ، بل كان يقش من مسادة
موقنة من دولة قوية عسكرياً لبحرر لمدته من الاستعمار العيص والمظاهرة
الطريقة التي قصد بها في أربع من شباط سنة ١٩٤٢ تودد لث وريال
رادت مشاعر الحقد ضد بريطانيا تاحماً في عيون عصاة الوطنيين
وفي حزيران سنة ١٩٤٢ في الوقت الذي كانت امم المتحدة العربية
تستد منه عند العلماء ضد اشحات المحيطة في كتاب يقوم بها الفريق
الافريقي الألماني استقل المقدم المصري حسن عرت في القاهرة معونين من
فل الماريتال رومل . أحدهما هانز أبار ، وكان يعرف مصر معروفه
تامة ، اد ان هذا الألماني المولد كان قد انضم في القاهرة ان عائلة أحد
القصة الذي كان قد تروح من أمه . مما اناح له ان ينش العربية
وانتد اسمه من هانز ابار الى حسن حصر . ولكنه عوضاً عن ان يتبع

دروسه في مصر ، عاد لتابعها في المانية .

ولدى اعلان التعبئة العامة في المانية عبر هانز ابار في حمار
« امبرماحت » كاحتصاصي في الشؤون المصرية وفي أول حزيران
سنة ١٩٤٢ أرسله رومل الى القاهرة في مهمة خاصة مع رفيق له
منستريين بدباس ضابطين بريطانيين ، فاحتارا الصحراء حنوبي واحدة
سيرة في طريق شبه مهجورة تؤدي الى الواحات اخارجية ومن هناك الى
اسبوط على الطريق العادية . وقد قضا هذه المسافة في سيارة تابعة للجيش

بريطاني ومعهما أوراقيهما المرورة التي كانا يدرساها في مراكز تنقيش .
وقد حصلا على لرس من الجيش البريطاني عندما فرغ محرومهما من
الوقود . وكانا يحملان معهما كمية من المال ، إذ أعطيا في ليبيا أربعين
اللب ليرة استرلينية بكموت ، كان الالمان قد طبعوها في اليونان
لقد احراز الجاسوسان الالمان وادي النيل من أسبوط الى القاهرة
دون أي حادث ، وكان يستقلان بحفاوة في مراكز انقنيش من الحراس
البريطانيين والمصريين . وبعد وصولهما الى العاصمة تحديدا عن المباس
العسكري وظهرا بالثياب المدنية .

وبعد ان قدما المقدم حسن عرت الى أنور السادات أرز المعوثان
مستندات تثبت تابعيتهما الألمانية . وتصحح عن المهمة التي جاءا من
أجلها . ثم طلبا ان يقابلا « زعيم » الوطنيين المصريين فاجابا ان
المطمة سرية لا تصح عن اسماء رؤسائها . وقيل لهما ان علاقتهما ستقتصر
على أنور السادات صديق عزيز المصري وكانم اسراره ، وعلى الارز
الأول عند المعيم عند الرؤوف أحد أعضاء منظمة الأخوان المسلمين .
وبفضل هذه الاحتياطات ، نجا الضباط الأحرار من الوقوع في الشكة
التي كان قلم لاستخبارات البريطاني بالتعاون مع البوليس السبسي المصري
يعدها لنصاء على حركة المقاومة ، ذلك لان الجاسوسين الأمسيين لم
يكونا حذرين مطلقاً .

كان الثاربان الشابان قد اختارا منزلهما على النيل في بيت عثم
« الذهبية » لرقصة تدعى حكمت فهمي . وكما قد استبدلا بالبرث
الاسترلينية المربعة بأربعين ألف جنيه مصري بواسطة عميل يهودي حص
تقاضى ٢٠٪ من المبلغ بدل اتعابه . وفي باحة البيت لعائم أقاما حذر
راديو ومدّا الى فوق الجسر الاسلاك اللازمة لمحطة الارسل .
وعندما قام أنور السادات ببناء على طلب المقدم حسن عرت ، نزل
المعوثين الالمان صعد لعدم حذرهما .

اجل ، لقد كان جهاز الراديو داخل المركب مخفياً باحكام ، كان يجب الضغط على زر ليفتح الراديو عن فتحة تتسع للجواس عامل الى جانب لوحة النور وبحركة اخرى كان يقفل الجهاز وتنصاعد الموسيقى منه ، بينما يكون العامل في طريق اعداد جهاز الارسال . وفي الوقت الذي كان الضباط البريطانيون بناء على دعوة حكمت الجمعية برقصون ويشربون يستطيع الجاسوس الالماني ان يسترق احاديثهم ويلاحظ معلومات هامة صحيحة عميمة الفائدة :

وخلال المقابلة الاولى اسرَّ هانز ابليز وصديقه لانور السادات بأن جهاز الارسال الذي في خدمتهما قد اعتراه بعض الخلل ، وقد اعلموا القيادة الالمانية العليا بذلك وارسلت لهما بواسطة احدى السفارات جهازاً جديداً ، ولكنها يجهلان كيفية استعماله .

وقد فهم انور بوصفه صابطاً في سلاح الإشارة يعرف جيداً كيفية استعمال الجهازين فهم في الحال ان الجهاز الاول كان في حنة جيدة ، وان الجهاز الثاني من طراز « هليكو فتر » ولم يكن من امير تركيبي ؛ ولكن الجاسوسين المبتدئين اللذين زودا بمبلغ ضخيم من المال وجدوا الحياة جميلة في « ذهبية » حكمت فهمي ، وكانا يرغبان في ان يطبلا اقامتهما قدر المستطاع في مكان المذات هذا ، الذي قال عنه انور السادات :

« .. انه بيت من بيوتات الف ليلة وليلة ، حيث كان كل ما فيه يدعو الى الاسترخاء والاسترسال وراء الشهوات والمذات . في هذا الجو الفاحش الخليع نسي النازيان الشابان المهمة الدقيقة التي كان قد كلفها .. »

وفي الزيارة الثانية وجد انور السادات الشابين غائبين عن الوعي من فرط السكر مع امرأتين يهوديتين بارعتي الجمال . وفي اليوم التالي ألقى القبض عليهما :

وبعد بضعة ايام ابصاراً ، اوقف انور السادات وحسن عرت بدورهما وأحىلا الى المجلس العربي بتهمة التآمر على سلامة الدولة في زمن الحرب .

وحاول الناريان الا يتكلما في البدء وحدثا بعقوبة الاعدام . وصدف ان مر ونستون تشرشل في القاهرة في طريقه الى موسكو ، فاطمئع على الامر . واصر على ان يقوم هو نفسه باستجواب الجاسوسين ، وحصل منهما على اعتراف كامل بعد ان وسدهما بالانقاء على حياتهما . وكانت النتيجة ان فصل عبد الرؤوف وانور السادات من الجيش والحقا تم نقل الميا في اثناس من تشرين الاول سنة ١٩٤٢ . وفي التاسع عشر منه احرر الحلفاء النصر في معركة العلمين وطارد الجيش الثامن الذي كان يقوده الجنرال مونتميري جيش رومل .

وفي روسية تصدع المحرم الالماني سبب الدفاع عن متابعي اعداءه ، ثم المحرم الروسي لمعاكس . وكذلك انطلق الاسطول الفردي الذي بني مشغول الحركة مدة طويلة في ميناء الاسكندرية يريد من قوة الحلفاء العسكرية في المتوسط . وبدأ ميزان القوى يميل لصالح الحلفاء . وكان على الحرب ان تستمر سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . ولكن المقاومة لروسية والسدق المستمر للجيش الاميركية جعلوا من السهل جداً التكهن بنتيجة الحرب العالمية .

في ذلك الحين كتب انور السادات قائلاً . « ان تحرير مصر ليس قريباً ، بكل جرأة سيفقدهم شعب واري البيل انه لن يستطيع بعد اليوم ان يعتمد على احد سوى نفسه في سبيل الخلاص . »

وفي ٩ ايلول سنة ١٩٤٢ عاد جمال عبد ناصر من السودان وقد رثى في رمة غريب واغتم اوقات فراغه لانعام ثقافته العسكرية . وفي ١٩٤٣ من شاط سنة ١٩٤٣ عيّن استاذاً في الكلية الحربية وفي ربيعاً في الفصل الذي أفردناه لمطالعة اراء ادا كان قد قرأه كتب كان قد

قرأها في عهد التلمذة في الكلية ، فانه انصرف في الوقت نفسه الى دراسة كبار الكتاب العسكريين امثال ليدل هارت وكلاورنيز والاطلاع على مؤلفات الرجال والكتاب السياسيين امثال كرومر وتشيرشل مما ساعد الاستاذ الشاب على اعداد محاضراته ومكثته من الاستعداد للمدرسة اركان الحرب .

وفي الوقت الذي كان النقيب جمال عبد الناصر يتم تكوينه العسكري احتفظ بعلاقاته بخلايا الضباط الاحرار .

لقد نزلت مظاهرة القوة الانجليزية في الرابع من شباط سنة ١٩٤٢ كلسوط على احركة المعادية لبريطانية لذلك حصدت هذه الحركة وبدت كآه في سات عميق وراد في ألم الضباط الوطنيين ان يروا الملك فاروق متناسياً الالهة التي الحقها به وبلده وشعبه اللورد كليرن مصرفاً عن ذلك الى التلهي بالسماسف مع مصطفى الحاس ، عوضاً عن دولة تحرير الوطن .

كان فاروق يفتش عن مساندة له من كبار الضباط الاميركيين وسفارة الولايات المتحدة مع انه كان يفرض فيه ان يسعى للحصول على مساندة شعبه الذي تتزايد ثقته على الاجانب ، في تلك الاثناء كانت الحركة الوطنية كامنة تحت الرماد . وفي الكلية الحربية كان النقيب جمال عبد الناصر يدرس زملاءه ويحمل صفات كل من تلامذته موطداً معهم روابط شخصية مسجلاً الامكانيات والخصائص التي يتحون بها . كان يحبك بصبر طويل مخطط المنظمة التي يتوجب عليها عند ساعة الصفر ان تتسلم قيادة مصر نحو الاستقلال التام الماحر .

ولم ينس اولئك الذين عرضوا مستقبلهم للخطر لتحقيق برنامج مقباد الوطني . ففي معتقل الميا استقل انور السادات زيارة النقيب محمد رحيه حيل الذي استشهد ببسالة في حرب فلسطين . وكان قد جاء ليطمئنه عن عدته الصعبة التي تركها انور بلا معين ، فابده ان محة تعهدت

بار جمع عشره حبیبہاں : پھر یا مساندہ د وھد المبع الرھیدہ کون
سما لاداء امیرۃ انور سات حتی حرووحہ من المعتقل واستعادہ
لحریتہ ،

وی نشرین "ی عام ۱۹۴۱ نقض نصح انور اسادات فی اھرب من
معتقل المنا

النشاط السري للمدرسين النشيط

فهم الضباط الوصيرون الذين كانوا يعتمدون على المانية قبل سنة ١٩٤٣ لطرد بريطانية من مصر ، فهموا أحراراً ان بريطانية بفضل الولايات المتحدة ستبقى بعد الحرب العالمية الثانية في مصر . وفي الوقت الذي كان الساسة المصريون بطيرون فرحاً للمشاركة أملاً في تحقيق الاستقلال التام الناجز مكافأة لهم على معاونتهم ، كان العسكريون موقنين ان الوعود التي أطمقها الحلفاء خلال الحرب كاذبة لا قيمة لها ولم يصدقوا ، ولكن خيبة آمالهم تفاقمت يوماً بعد يوم بسبب أنانية الاحزاب السياسية المصرية ورخصها ، وأخذوا يعدون أنفسهم ليتسلموا رمام مقدرات البلد .

في الكلية الحربية كان النقيب جمال عبد الناصر يقوم بواجبات وظيفته بكفاءة وإخلاص كمدرّب للفرقة الاولى . كان يعطي التلامذة دروساً في الفن الحربي : لا سيما في استعمال الاسلحة الخفيفة . وكان له نفوذ بين الطلاب على الرغم من ان عدد الاساتذة في الكلية الحربية كان يزيد على العشرة ، فإن التلميذ ما ان يتخرج فيها حتى يعلن انه تلميذ من تلاميذ جمال عبد الناصر . وفي الوقت الذي كان فيه يقوم بوظيفته في الكلية الحربية كان النقيب جمال عبد الناصر يستعد لامتحان الدخول الى كلية اركان الحرب ، التي تجري مباراة صعبة للدخول اليها :

وفي سنة ١٩٤٤ دخل عامل جديد في حياة الضابط الشاب ، وكن
دكت بواسطة عمه خليل حبيب ، اذ تعرف جمال الى محمد كاظم ، وهو
تاجر ميسور ، ايراني الناحية ، يقيم في المنطقة التجارية في «اعورية» .
لقد عاشت عائلة كاظم هذه في بغداد قبل مجيئها الى القاهرة .

ومن هذا المحيط الدورحوازي ، الرصين ، المحافظ ، تروج جمال
امانة نجبة التي اصحت رفيقته الامة المحبسة ، تساعد في شطه ،
وأما انجبت له خمسة ابناء .

ابن هادئة جداً ومتحفصة ، وزوجة مثالية ، تحمل في محفظتها
المستندات التي بعدها روحها في افتراس التي كان التنظيم الثوري يخشى
فيها مدامه البوليس السياسي له .

ابن ولد حبيب عبد الناصر يحمل لثورة التي أعدها ابنه اعداءاً طويلاً
حتى ساعة حصارها ، ومع ذلك كانت نجمة كاظم كاتبة أسرار لزوجها
وساعده ، لا يثق في عمه السياسي . ولكنها فضلت فيما بعد ان تبقى في
معزل عن كل مظاهرة سياسية في مصر .

وعند تروج جمال عبد الناصر الاستاذ العسكري في الكلية الحربية
بدا كأنه اصبح برحوازياً آتد كان زميله انور السادات ، اصاب
المفصول من الجيش ، اثارب من المعتقل ، والذي يطارده البوليس
السياسي ، ينصرف الى العمل السري .

لقد كان الوقت لاعادة تنظيم حركة الضباط الاحرار على أسس
جديدة . والخلايا التي تشكلت في داخل الجيش ، كان يشرف عليها
جمال عبد الناصر ، وهو وحده مع صديقه الحميم عبد الحكيم عامر كان
يعرفها كلها .

وأما الخلايا التي تأسست خارج الجيش ، في الاوساط الشعبية ،
وخاصة بين الاخوان المسلمين ، فكانت على اخص بأور سادات
التي كانت في تطور علاقه بخاتمة شيخ حسن .

الى الانخراط فيها .

وكان دور السادات من أكثر المحبين لعمل الخير ، وحرصاً
على حقوق المسلمين الذين كانوا يهدون ويوحون بالاعتداء على ابرامهم
بمصر من ارض مصر كان دور السادات يتحرق بعمل ضد
الاجليز مباشرة .

في ذلك الحين . في تشرين الاول سنة ١٩٤٤ . أقبل مصطفى
المحاسني وعين امث فاروق مكيه رئيساً لوزارة السيد احمد ماهر .
احمد مساعدت سعد رعدول ساساً ، وشقيق علي ماهر .

كان رئيس الحكومة حبيب معروف بروحه الوضعية وشجاعته وحرته ،
كان قد تمضي فترة صويقة في السجن عام ١٩٢٥ على اثر اتهامه
بالانتماء في الاعتداء على السير لي صتاك سردار الجيش السوداني ادي
الذي ارتقى من اشراف المصريين الارهابيين . وأحلي سبيله فيما بعد
لعمل في وزارة الداخلية في الاعتداء ، على الرغم من ان البوليس كان
مردداً من يومه متاداً في كلية اتحادة قد درب قريباً من اشراف
على الفناء الثنابل في صحراء حلوان .

وذكر من حرب السعدتي الذي انشق عن حزب الوفد . كان احمد
مشر بدمي ربه وحده ورثت حبيبي الروحي للرعي الوطني الكبير
سعد رعدول وكتب رأيه السياسي انه من مصلحة مصر ان تدع ورقة
الخدمة ، للحصول منهم على الاسم من التام اسائر عندما يحضر المحور
الحرب من قبل والسادات اعلن في شباط سنة ١٩٤٥ الحرب على المانية
وكان . ولكنه في ابوم دته اغتيل في قاعة برلمان . فحمته في رئاسة
منه صديقه النقراشي ، من رفاق سعد رعدول ، الذي صحبه لآخر
فترة ما بنهمة الاشتراك في اعماله وكرهت ضد الاخير . وفي
يكن احلاصه وشجاعته وومبته وعنه موضع شك . وما كان لهم
من حق في حبه من سيرة حريسية بحسن مرامه وشر

المؤرر كليرين بمصائب هذه ولكن السعير البريطاني ما كاد يستمر
حتى صرفه قائلاً " قضية الجلاء عن مصر والسودان غير واردة
في الوقت الحاضر . "

كان من شأن هذا الموقف المتعسف الذي وقفه ممثل الحكومة
البريطانية ان أثار رقة الاوساط الوطنية على بريطانية ، فذهب المؤرر
السادات لمقابلة جمال عبد الناصر وعرض عليه مخططاً للعمل الثأري ،
نسف بموجه الشعب الشعبية التي يقودها وبشرف عليها السفارة
البريطانية بمن فيها .

لقد أصعب جمال عبد الناصر بكل جوارحه الى مقترحات رفيقه ،
ودرس المحسط في أدق تفاصيله ثم هز رأسه وأجاب : كلا ..
كان يحشى ان ياجأ البريطانيون الى القوة كما فعلوا في الماضي عندما
قصوا على الحركة الوطنية في عهد عرابي : وتذكر العقوبات التي
فرصوها سنة ١٩٢٤ بعد اعتيال السير لي سنك حاكم السودان العام ،
ان أية محاولة ارهابية لا تستطيع وحدها ان تحرر مصر ، بل قد تؤدي
الى مضاعفة السيطرة البريطانية على وادي النيل .

كان القبيب جمال عبد الناصر يعمل بطريقة أخرى لرفع نير الوصاية
البريطانية عن وطنه وقبل الدخول في المعركة يجب اعداد سلاح النصر ،
أي يجب اتحاد واعداد الرجال الذين سيتسلمون الحكم يداً واحدة
ويحققون المنهج الاصلاحى الوطنى .

وهذه مقالة نشرتها مجلة " المصور " لخالد محي الدين تجسد لنا
بوضوح الطريقة التي كان يلجأ اليها جمال عبد الناصر الاستاذ في الكلية
الحرية ثم في كلية اركان الحرب ، لاختيار اعضاء المنظمة الثورية
واحداً واحداً .

في أواخر سنة ١٩٤٤ كنت نتره مع رفيق لي ضابط في شارع
رمسيس ، وكنا كلانا أعضاء في منظمة مياسية سرية تأسست في الجيش

« ووحدة قل لي رميلي .. اسمع يا خالد لدي موعد مع صديق ضابط ، انه عنصر طيب ، تعال معي لتراه بنفسك ، وانا متأكد انه سيحسن وفادتك .

« من شارع رمسيس توجها الى شارع الجلالى ودخنا احد الابنية وصعدنا الى الطابق الثالث ثم فرعا الباب ، ففتح لنا شاب فرع الطول وشد على يدي مسحاً ، وقدمه رويتي لي قائلاً . اتيب جمال عند المصير ، الاسناد في الكلبه الحربية

« قادنا جمال الى عروة الطعام ، وجلس على طاولة كان عليها عدد من الكتب . وجلسنا نحن قبائنه على كرسيين في الجهة المقابلة للطاولة وانسم اذ فر لنا بانه أحضر هذه الكتب كلها ليسعد لامتحان الدخول الى كلية اركان الحرب .

« كنت انهرس جيداً في هذا الشاب الذي لفت نظري جيداً وقد اعجى منه قدرته على فهم من بآنى لريارته بسرعة فائقة . كان صوته هادئاً احرأ . وكان دائم الاستعداد للاجابه على استنسا . ولكي شعرت انه لا ينصح بكل ما يعلم ، كى يتكلم عن المظمة السياسية لسرية التي نحن اعضاء فيها كواحد من مؤسسيها .

« حاول ان يشركني في المناقشة ليعرف رأيي في ذلك ولكي نصات ان ابقى صامناً وتركته يتناقش مع رويتي . وعند ذهابنا قل لي منشأ : اود ان اراك ثانية . وبعد مصري عدة اشهر عند الخروج من ماراف في الملاكمة بين فريق الجيش المصري وفريق الجيش البريطاني في شكة قصر النيل شعرت بيد تربت كتفي . فاستدرت وذا بي وحها لوجه اسم اتيب جمال عند المصير الذي قال لي : اود ان اراك في وقت قريب ودي كثير من المسائل ارغب في ان احدثها معك . وتناديا راراً من دك وتحقتت من انه دك الرجل المعند بسمه الخريص عن

كرامته الذي يقدر كرامة الآخرين في الوقت نفسه .

ان خالد محي الدين يصغر جمال عبد الناصر بربع سنوات ، وهو ابن عم زكريا محي الدين وزير الداخلية ورئيس الامن العام منذ فجر الثورة . فهو اذن في وضع يسمح له بان يكون مطلعاً على كيفية نشوء حركة الضباط الاحرار . وقد ارجع تاريخ تأسيسها الى سنة ١٩٤٢ . خلافاً لما رواه ابور السادات عن ميثاق مقياد سنة ١٩٣٨ ، اتي الى الفترة اتي قامت فيها القوات البريطانية بمحاكمة قصر عابدين لفرض اراده بريطانيا على الملك الامر الذي ادى الى موجة من القصة والاحتجاج بين صفوف الجيش المصري وهذه الصدمة كما كتب جمال عبد الناصر من العسك الى صديقه حسن السناور هي التي هزت اعماق الضباط وجمعتهم يشعرون بان هناك كرامة وطنية يجب الدفاع عنها حتى لو كانت تمثل في ملك غير شعبي متلون مستهتر .

ولا بد من ان نلاحظ ان الحذر قد رافق تشكيل الخلايا الثورية في الجيش . وابلغ دليل ان خالد محي الدين لم ينعرف الى اسقبي جمال عبد الناصر الا بعد مضي فترة من الوقت على اشتباكه الى حركة الضباط الاحرار .

وحلال الحديث فقط شعر خالد ان الاستاذ الشاب « يعرف كل شيء » عن حركة الضباط الاحرار « وحتى غداة الثورة كان القسم الاكبر من اعضاء الحركة يجهلون ان جمال عبد الناصر هو الذي نصم واعد بصبر طويل ثورة ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ .

وفي سنة ١٩٤٥ انتصر الحلفاء على المحور وانشئت جامعة الدول العربية ودخلت مصر في هيئة الامم المتحدة . واقتصادياً كانت الحرب قد افادت البلاد وجعلتها اكثر تحرراً من التبعية الاجنبية بسبب نمو الحركة الصناعية ؛ وبفضل ما صرفته الجيوش الحليفة في وادي النيل خرجت مصر من الحرب وفي خزينتها فائض من النقد المادر يزيد عن المليار

دولار ، على الرغم من هبوط ميزانها التجاري لصالح الواردات. ولكن كل ذلك كان مجمداً في بريطانيا .

في الحقل السياسي بذل المقرashi جهداً لتأكيد حق مصر في الاستقلال التام الجار. وفي سنة ١٩٤٦ حلّ مكانه في رئاسة الحكومة اسماعيل صدقي الذي فشل في مفاوضاته مع بريطانيا. الا انه نجح في الدفاع عن المصالح الاقتصادية والتطوير الصناعي في البلاد .

وفي نهاية عام سنة ١٩٤٦ عاد المقرashi الى الحكم . وبعد فشله في اقناع بريطانيا بضرورة اعادة النظر في معاهدة سنة ١٩٣٦ وحلاء القوات البريطانية رفع في تموز سنة ١٩٤٧ النزاع الى مجلس الامن الدولي التابع للأمم المتحدة . فدرس المجلس الشكوى المصرية ، واستمع الى المرافعات الطويلة . ولكنه لم يتخذ قراراً في موضوع الشكوى. وليسحة الحسبة الوحيدة لكل المظاهرات الشعبية الصاحبة في المدن المصرية بالاضافة الى امركة الدبلوماسية الطويلة كانت انسحاب القوات البريطانية من القاهرة والاسكندرية وتجمّعها في منطقة قناة السويس حيث "بنيت قاعدة" عسكرية ضخمة مع مطارات واسعة ومستودعات فسيحة تحت لارض للأسلحة والذخيرة .

ان فريق الضباط الوطنيين لم يكن آتئذ يعتقد بتزاهة الاهداف التي اعلن الحلفاء بسببها الحرب ، لأنه رأى بريطانيا وفرنسة تنصرفان في الشرق الاوسط الى خلق دول تحت الانتداب ، ومماك خاضعة لتوجيه الاجنبي . ولم يكن ذلك مطلقاً الاستقلال الذي ارادته مصر . والوطنيون المصريون لم يبعد لهم ثقة ايضاً في وعود الولايات المتحدة الاميركية . لقد اجتمع في شباط سنة ١٩٤٥ الرئيس روزفلت عند عودته من بالطا على متن الطراد « كونيبي » في عرض البحر الاحمر بملك مصر وامبراطور الحبشة وملك العربية السعودية عبد العزيز آل سعود ولكن ذلك لم يسفر عن شيء .

وتشترى مع وزارة الخارجية البريطانية لم يتطلعا بعين الرضا الى هذه
الاصحاحات . لا مبركة كانوا حتى ذلك الوقت في منطقة النفوذ
البريطاني ، مع العلم ان خلال النفوذ الاميركي مكان النفوذ البريطاني
لا يعد تقدماً في نظر الوطنيين المصريين او على الاصح هذا لا يعبر
تقدماً الا اذا استخدمت الولايات المتحدة لترحلة النفوذ البريطاني .
ثم حيل دون حق مخصصة نفوذ احبي حديد . ان الوطنيين انشأوا
مقتنعين تمام الاصحاح بأن السلطة التي تعين وتقبل الحكومات على هواها
لا تعمل مخصصة بالحصول على الاستقلال التام . وكان الملك الشاب فاروق
قد حذر السمعة الشعبية التي احررها عند توليه العرش . وحادثة الرابع
من شباط سنة ١٩٤٢ كبت وصمة عار في جيبه

كان يداور ليكسب ود الاميركيين وكن يعتمد على مساعدتهم
ومساعدة القوات البريطانية المسلحة ، ليعرض سيطرته على الوطنيين
المصريين انصار النظام الديتقراطي وبرغمهم على السكوت ، وكذلك
الامر مع العاصر لشعبية التي تشرت بالدعوة الشيوعية .

التجانس الخمس لاضطباط الأحرار

بروي انور سادات في كتابه « نورة على صفاق النيل » ان جمال عبد الناصر نظم الحركة الثورية في نطاق خمس بلجان ، هي مديرية الشؤون الاقتصادية ، مديرية فرق اذخوم ، لجنة الأمن ، لجنة الارهاب ، مديرية الدعاوة .

ولم تكن مديرية الشؤون الاقتصادية جهازاً مكملاً بدراسة المشكلات الاقتصادية والمالية التي تهم الوطن ، لتحديد السياسة الواجب اتباعها في هذا الحل بعد استلام الحكم ، بل كانت اسط من ذلك بكثير كانت كتابة عن حرية الحركة الثورية نفسها . كان يجب تأمين المال اللازم لإعالة أولئك الذين كانوا يصرمون القسم الأكبر من وقتهم في العمل السياسي الأمر الذي يجمعهم من تأمين معيشتهم ومعيشة عيالتهم . وكان يدرم اموال لشراء اسلحة ، وتغذية حملة الدعاوة ، فعهد بهذه المهمة الى مديرية الشؤون الاقتصادية .

كان كل صابط يدفع مبدئياً مرتب شهرين من معيشه الى الصندوق . وعندما ان كثيرين كانوا لا يملكون هذا المبلغ نقداً ، لذلك كانوا يستديون من احد المصارف مقابل عمولة معينة ثم يستوفى هذا المبلغ على اقساط شهرية من مرتباتهم ، وبهذا الخصوص قال انور سادات :

.. لقد نفذنا جميعاً ذلك بكل طيبة خاطر ، وعلى الاصح جميعاً ما عايناه ، ما اندي كبت اعمال اسرة لا مجال لها سواء ولا ، سوى مرتى كقيب ، الامر الذي حدا باللجنة ان تعفني من دفعه بقر ، خاص . وكان للجنة الحق بمصادرة المبالغ الضاربة شراء الاسلحة ، وهكذا عندما عدت بأن عزيز المصري باع محصول بستانه من المسحة اسرعت المديرية الى مصادرة المبلغ الذي قبضه .

وفادني عرانة الصدوف في مستهل عام ١٩٤٥ ان استأجر انا بعضي حديقاً قنماً في بستان عزيز المصري الذي كان رئيساً سابقاً لأركان الجيش المصري ، وكان آتاك مارماً بالاقامة الجبرية ، وقد تم الايجار عن طريق السيد فتحي رضوان المحامي والكاتب المعروف ، احد قادة الحرب الوطني الذي اصبح بعد ثورة ٢٣ تموز سنة ٥٢ وكيلاً لوزير الدولة ثم وزيراً للإرشاد القومي . واداً كان محصول المسحة من بستان عزيز المصري قد استخدم عام ١٩٤٥ لتعبئة صندوق الحركة الثورية ، فذلك لأنه بين الصباط الاحرار والحزب الوطني ومنظمة الشباب كانت تقوم علاقات وثيقة .

اذن لقد كان على الادارة الاقتصادية ان تجمع المال ، وتؤمن عصب الحرب . اما مديرية فرق الهجوم فكان عليها ان تجمع المتطوعين وتنظم الخلايا في صفوف الجيش ، والتشكيلات شبه العسكرية بين الطلاب والعمال . وكان على رأس كل فرقة من فرق الهجوم الشعبية ضابط يقودها ويؤمن الاتصال بينها وبين قيادة الحركة .

وكان يجري اختيار المضمين الى الخلايا العسكرية بعد امتحان دقيق فردي . وهؤلاء كانوا ينتقون من جميع انواع الاسلحة . وكل عشرة من خلية كانت تشكل فرقة هجوم .

وتدريب الفرق الشعبية شبه العسكرية ، يجعل حركة الضباط على اتصال بمنظمة الشبيبة الوطنية التي كان يديرها عبد العزيز .

إبطال ثورة سنة ١٩١٩ . ويقول انور السادات عن هذا الماحول :
« لقد وضع تحت تصرفنا الحمار السري ، وورق المحوم في مصممه
التي شكها قبل أحداث سنة ١٩١٩ . ومما حتمته اشعة نابت ثمية حداً
بالنسبة اليها . »

وبالاصح الى ذلك كله كانت مابرية ورق المحوم تسجل اريداد
الامكابات ونقصها . وجمال عبد الناصر . وعبد الحكيم عامر ، وحدهما
كانا يعرفون باصط عدد المتسبين واسماءهم .

اما لجنة الأمن وكانت تراقب الأعضاء ، لتؤكد من سلامة مطلقهم
الثوري . وكانت تسهر على التمييز الدقيق للاوامر ، وكان لها سلطة
التول والطرده . وكانت مقرراتها الهامة تُعرض على اللجنة الادارية
العليا ، لقد كانت حمار استخبارات ، في الحركة السريية ، كانت
تحدد كميات المرور ، وتغير من وقت لآخر امكية الاحتمالات .

وخصوص لجنة الارهاب من العسير تحديد الدور الذي لعبته ، وأنور
السادات الذي يذكرها بين لجان الجهاز الاداري انذي نظمته جمال عبد
الناصر بصرح بدوره ان حركة الضباط الاحرار كانت ضد اللجوء الى
الارهاب كوسيلة للعمل . والاعتداءات والاعتياالات السياسية التي كان اللجوء
اليها شائعاً في القرن التاسع عشر في المصطلحات الثورية للتأثير على الجماهير
تحمّل خطر احياء التعصب الطائفي ، وورد في « ثورة على ضفاف
النيل » بالحرف الواحد .

« .. ان نزع العنف سيئة العاقبة ، بالنسبة لشرقين ذوي الدم
الحار . لانها تفكك اخس الغرائز من عقائلا وتؤدي الى احط درجات
الفساد الخلقي باسم مبدأ زائف . »

« لقد رأينا في مصر ، الى اي ضلال احرامي قادت هذه النزعة
الاخوان المسلمين . »

من الممكن ارضاء واشباع الشبهة ونزعها وتحويلك عواطفها ومشاعرها

دور اصحاب المجال حراً امام غضبات الغرائز والهبوط بالحماسات الى
الدرك الاسفل .

« ولا يمكن للعنف ان يكون غاية في ذاته ، ولذلك لم تضعه في
خدمة فكرتنا . ولم نعتبر ابداً نكتيك العنف والارهاب ضرورة لنا
ولو بصورة مؤقتة لاستلام الحكم . وفي كتاب فلسفة الثورة يروي الرعيم
جهل عبد الناصر كيف انه في فتوته اشترك في اعتداء على شخصية
سياسية موصومة بالحيانة ، وكيف انه قضى الليل يقاوي عذاب الضمير
حتى كان الصباح واستراح بعد ان قرأ الصحف وعلم ان الرجل نجا من
الرصاص . ان الشعب المصري شعب انساني يكره العنف . »

ويضيف أنور السادات انه في سنتي ١٩٤٥ و ١٩٤٦ تألف في الجيش
فريق ارهابي يضم ثلاثة وعشرين ضابطاً يتزعمه القتيب مصطفى كامل
صدقني ، وقد اعتال هذا الفريق بوحى من تعصب الاخوان المسلمين
المؤاء ابراهيم عطا الله ، ثم أمين عثمان الذي كان وزيراً للمالية في وزارة
مصطفى الححاس ، ومن أشد انصار التحالف مع بريطانيا حامية . وما
اعتقل احد المهتمين بالحادث الطالب حسين توفيق أعطى للبوليس لائحة
تضم كبراً من الاسماء بينها اسم أنور السادات الذي سجن واحداً وثلاثين
شهراً على الرغم من اصراره وادكاره انه لم يكن له اي علاقه بذلك
الفريق الارهابي وتعبقاً على ذلك كتب السادات يقول :

« لقد شجبا هذه الاعتيالات ، لبس لاننا كما نشعر بميل او
سخط على الضحايا التي كانت ضحية الاهمية في نظرنا ، بل لأن
الاعمال غير المؤزونة لا تتفق مع مبادئنا . » ويؤكد ان الاعتداء اوحيد
الذي قدم به انصاء حركة الضباط الاحرار كن الحادث الحزبي الذي
حصل في أحد ايام الجمع عند الخروج من جامع الرفاعي اذ قذف مئزر
شاب من حرس الحدود مصطفى الححاس لدى خروجه بعد صلاة الجمعة
حذاء ر .

تدوير هناك خاتمة ارضانية قاسية

والحرر يذكر ان الحدا لم يصب النحاس بالذات من احاد وجه
وراء الاودف وطن الجميع ان في الحدا دنة وحصلت صحة ا
كبرى تمت كانت الحربه نسياسه الواحده التي انتبت صائر الصا
الاحرار .

ورا كان ان دور بلجه الارهاب في حركة المصا الاحرار .
وما كان ان اعطاء يسمون للاسحة والذخائر التي كانت تشترى أو
تصنع بالاموال المجموعه بواسطة المديرية الاقتصادية الملية . ان امور
السادات يجيب على ذلك بنفسه :

« لقد اتاحت لنا الاموال المجموعه ان نقيم مصعاً صغيراً
سريعاً لصنع المسدسات واقبال المساة كوكثيل مولونوف وكما
في حاجة الى كمية كبيرة من القصب لصنع هذه القذائف . وقد
حصلنا على عشرات الآلاف منها من أحد تجار الجملة في شارع
كبوت ت . وبعد فترة وجيزة من الوقت اصبح المصنع منودعاً
حقيقياً للأسلحة . »

في ادن النحة الخامسة في الحركة . وهي مديرية الدعاوة ان
أنور السادات لا يُعطي الا بعض المصليات عن تنظيم هذا الجهار .
والدعاوة داخل الجيش كانت تتم من ضابط الى ضابط دون ان يهتم كما
يصهر باقناع الجود لانه من الامور المسلم بها ان الجود سادة الصغر
سيهدون أوامر ضباطهم . وكان خطراً عظيماً ان يرى الحدي ويسمع
وهو يقوم بمهمة الثقيف الوطني :

ثم ، علاوة على ذلك كان جمال عبد الناصر ومساعدوه الاقربون
صماصاً في أركان الحرب واساتذة أو مدربين في الكلية الحربية أو في
كلية أركان الحرب . ولم يكن لهم اتصالات متكررة بجود نصف وقد
حرى جهده كبير للتأثير على الجمهور ، وتأليب اشاعر شعبه
برضاية كان الضباط يتحدثون امراً بياً لرحل الشارع ويتكلمون في

المشكلات السياسية في المقاهي والمساجد حتى في القاطرات الكهربائية
وكانوا يستغلون الاحداث للاحتجاج ضد الوجود البريطاني في مصر
والمطالبة بالاستقلال التام .

وبعد حرب فلسطين كان جمال عبد الناصر وجمال عبد الناصر
هما اللذان بدحا مشورات المصايط الاحرار المشهورة التي تحتوي
الاشاعات سارية لحدث الساعة السياسية الموحدة ضد العدو الخارجي
اسمى بالمرمر البريطاني ، وصد العدو الداخلي المتمثل بالسياسة الاسفارية
الوصولية التي يستخدمهم الاحزاب لخدمة مآربه ، ثم المستعربين الذين يهونون
خيرات البلاد .

والصراط حمدي عبد هو الذي كان يخطي في دارته عميد كوري
التيه ، حمار رويو الذي سخدم قطع مذات السخ من المشورات التي
كان صباط اسحة السبابة بانفسهم يسلموها الى مصاء اماء او يضمونها
في صناديق بريد معينة .

ان الوصف الذي يعطيه اباه اهور السادات عن الجهاز الارابي الثوري
الذي نظمه جمال عبد الناصر اقرب الى الصميم ، ويسدو واضحا ان
الحبوط كانت تنهي كلها في يد القبيب الشاب .

والادارة الاقتصادية ، أي خراطة الحركة ، كانت امكانياتها المالية
ضئيلة الى درجة انه لم يكن يسمح بصرف أي مبلغ دون موافقة جمال
عبد الناصر . وبعد مقابلة صحفية مع رئيس الجمهورية العربية المتحدة ،
نشر الصحفي الالماني - الاميركي ، جواشيم جوستن في حريدة باري برس
في ٢١ شباط سنة ١٩٥٩ مقالة يروي فيها ان الفتاة الايرانية التي تزوج
منها جمال عبد الناصر سنة ١٩٤٤ كانت غنية ، وان ثروتها هي التي
مولت الثورة المصرية في سنواتها الاولى . ومن ناحية ثانية عندما بدأ في
سنة ١٩٤٩ تسريح المشورات الاولى التي مناصح عام ١٩٥٠ - صوت
الاحرار - مشور الحركة الثورية ، كانوا يطبعون على « السند »

مهماً مكتوباً باليد . وكان يسمى اجراء اكتاب مساهم لشراء جهار
- رونيو - الذي وضع في داره القريب حمدي عبيد ، كما يروي في
« المصور » الرعيم كمال الدين حين . وهو أبعد دليل على ان الامكنات
المالية كانت محدودة يجب الا تصرف الا على ما هو ضروري لارم ...
أما الادارة الثانية أي ادارة « فرق المحكوم » فان ائور السادات بهه
يقول ان جمال عبد الناصر وعد الحكيم عامر وحدهما كانا يعرفان كل
شيء عنها ، وعن المضمين اليها .

والادارة الثالثة لجنة الأمن سلمت منذ البدء الى زكريا محيي الدين
الذي أصبح وزيراً لاداخلية في حكومة الثورة . وهما ايضاً كانت مديح
جهار المرافعة كها في يد جمال عبد الناصر دون ان يكون أكثر اصلاط
الاعضاء في الخلايا على علم بذلك .

ولجنة الارهاب بصورة خاصة كانت لا تحرق على التيام بأي عمل
دون موافقة ذلك القائد الملهم الذي كان دون ان يظهر بوجه اعلان
حركة التحرر ، وعندما كان ائور السادات يلتهب حمسة لئس السيرة
البريطانية بمن فيها ، وعندما اقترح صلاح سالم بان يقوم الأركان الئنا
عشر الرئيسيون كل واحد باغتيال احدى الشخصيات التي تعيث ببلاد
وساداً ، كان جمال عبد الناصر برزائته وهدوئه وبعد نظره السياسي هو
الذي حال دون انقلاب حركة الضباط الاحرار الى منظمة ارهابية تخرب
أكثر مما تعمر .

ان الفريق الثوري الذي كان يتزعمه القيب مصطفى صدقي ، الروح
الرائع للراقصة تحية كاريو كا ، كان اقل حذراً . وكان جمال عبد
الناصر حكماً عندما اهل العروض التي تقدم بها اولئك الذين كانوا
يرعون في دمع الحركتين . وقد رأينا ائور السادات يسحر ثلاث مئيات
بست نهوره ونسأهله مع هذه العناصر المشوهة . وكان في ذلك وقت
سم اسبب صدقي ورفاقه الى لجهار سري التابع للملك وقت



1

1

انغصاب اليهود لفلسطين وطرد السكان العرب

منذ حدوث المظاهرات العدائية ضد اليهود في رومانيا سنة ١٨٦٦ ،
وفي روسيا ١٨٨٣ ، حتى تصريح بلانور الثاني سنة ١٩١٧ ، هاجر ما
يقرب من خمسين الف يهودي الى فلسطين .
وهذه الهجرة كانت عملاً وردياً أو عائلياً لجماعات مضطهدة ، كان
يحدثها الى فلسطين سراب ارض الميعاد . وقد قدموا الى هذه المنطقة
التركية الهائلة ، التي كانت فيما مضى بلاد كنعان لانتظار ظهور السيد
المسيح . جدوا اليها كما جاء جماعات من الفلاحين الالمان يحملون
ذكريات الكتاب المقدس ، وأسسوا فيها مستعمرتين زراعتين مزدهرتين
قرب حيفا . وهؤلاء المهاجرون الهيكليون الالمان كانوا على أحسن ما
يردم مع السكان العرب . إذ كانوا عمالاً صبورين ، يربحون عيشهم
بمرف حينهم ، ويشعرون العمال العرب في مزارعهم .
واليهود المحليون كانوا يتقنون المساعدات المالية من يهود اوروبة
ومبركة ليعيشوا على الصدقات الخارجية ومن الاعمال التجارية البسيطة .
كانوا مورداً للعرب ولم يكونوا عبئاً عليهم . وهم لم يغضبوا
شئاً لاحد .

ولما بدأ اليهود يشترون لأراضي لم يشعر العرب ، عرب فلسطين ، بالخطر الكامن الذي يهدد مصيرهم . لذلك اغتبط أصحاب العقارات لخصولهم على أثمان باهظة لأراضيهم التي لا تعطي إلا النزر القليل . وكانت فلسطين قليلة السكان ، وفلاحوها يعملون في الأرض بوسائلهم البدئية وكان من السهل جداً أن تستوعب عدداً أكبر من السكان ، إذا ما ازدادت المحصولات الزراعية ، وأصلحت الأراضي الجدياء .

ولكن بعد تصريح تيودور هرزل عن الدولة اليهودية ، وبعد مؤتمر بال الصهيوني سنة ١٨٩٧ . وبعد رسالة اللورد روتشيلد التي نصحت وعيلاً بريطانياً بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وبعد تأسيس الوكالة اليهودية سنة ١٩٢٩ أحدثت الصهيونية شكلاً استعماريّاً .

بموجب إحصاء سنة ١٩٢٢ لم يكن في فلسطين سوى ٨٣.٧٩٤ يهودي من أصل ٧٥٧.١٨٢ نسمة هم سكان البلاد . وفي سنة ١٩٣٤ أصبح عدد اليهود ٢٤٥.٠٠٠ وعدد العرب بين مسلمين ومسيحيين ٩٠٦.٠٠٠ نسمة ، أي أن النسبة ارتفعت من ١١ إلى ٢١ من عموم السكان ، وبدأ العرب يشعرون بالخطر ويقلقون ..

وفي عام ١٩٣٦ حصلت اضطرابات عنيفة استمرت ستين . وبمساعدة الجيش العربي الاردني استطاع الانجليز أن يُعيدوا الأمن إلى بصرى . وفي هذه الأثناء دعي أعضاء الهيئة العربية العليا إلى جزيرة سيشل ، والمتنبي الأكبر الحاج أمين الحسيني هرب إلى مصر .

وبحسب محاولات بريطانية من ناحية أخرى بوصفها دولة منتدبة على فلسطين من قبل جامعة الأمم ، حاولت أن تحدد الهجرة اليهودية لتخفف من حدة التوتر بين العرب واليهود ، ولكن البريطانيين لم يسبحوا إلا في كسب سداد البريطانيين على السواء . وبدأت الهجرة السرية . عن

طريق التهريب تتسع لنضائف عشرات المرات العدد الرسمي الذي كانت
تسمح به السلطات البريطانية .
هـ . قد أعطى عدد اسارية يومية الصهيونية سلاحاً قوياً . فوجد
اليهود تشعب مصصهه مسكل به في ايدان المسيحية يتهاقنون على المحرره
الى ايدان المسلم الخاضع للانداد البريطاني حيث كانوا يتحدون موطماً
وأمناً نسبياً .

وفي عام ١٩٤٥ حاولت بريطانيا ان تجمع المحررة نهائياً . ولكن
الرئيس برومان في مؤتمر لندن سنة ١٩٤٦ أيد النظرية الصهيونية القائمة
بأن فلسطين يجب ان تبقى مفتوحة لاستقبال المهاجرين اليهود
وعلى الأثر تعددت الاشتباكات بين العرب واليهود . وفشلت الدولة
المتدبة في السيطرة على الموقف . واعادة الأمن الى بصابه . وانهمت
بالنحير من قبل الفريقين . وتحدثت الدوريات من الدبابات المصفحة
تجوب فلسطين . وأصبحت مراكز البوليس استحكامات حربية . ومن
أصل موارد بلدت ٢٤ مليون ليرة استرلينية تخصص البث . أي ثمانية
ملايين سمحاحة على الأمر . وبدلت الدولة المتدبة جهدها عثاً كي ترافق
بيع الاسلحة والدخائر ومع ذلك كان العرب واليهود ينفقونها من
الر والبحر .

وفي الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة في نيسان سنة ١٩٤٧
وقف مندوب سورية الأستاذ فارس الخوري بدافع يبلاغه ضد إقامة
دولة اسرائيلية في بلد أكثر سكانه من العرب . فأرسلت الجمعية الى
فلسطين لجنة للتحقيق تضم مندوبين عن عدد من دول متوسطة وصغيرة
واستثنى منها الاربعة الكبار .

وعقدت هذه اللجنة جلساتها في القدس . وتوصلت الى ان المشكلة
اليهودية برمتها لا يمكن ان تحل لها حلاً في فلسطين . وقدمت في
حزيران تقريرين الى هيئة الأمم المتحدة .

١ الاول ، وهو تقرير الاكثرية ، يدعو الى تقسيم فلسطين الى دولتين ، الاولى عربية والثانية يهودية على ان يقوم بينهما اتحاد اقتصادي وترك القدس مع منطقة صغيرة حولها تضم بيت لحم لتحكمها سلطة دولية .

٢ والثاني ، هو تقرير لاقية ، يدعو الى اقامة اتحاد ودراي عاصمته القدس .

في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعية العمومية على تقرير الاكثرية ، واصبح تقسيم فلسطين امراً حتمياً واعلنت بريطانيا انسحابها الانتداب في ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ .

كان هذا القرار موضع نقد شديد اد انه خلق حدوداً معقدة غير منطقية لقد اعصى لليهود الاراضي الحصبة على ساحل المتوسط من ريموفوت الى حيفا مع منطقة صفد وطبريا ، وفي الجنوب القسم الاكبر من النقب حتى البحر الاحمر . وترك في القسم العربي القسم الداخلي الجبل في قلب البلاد من جين حتى جنوبي حرون ومنطقة عرة والقسم الشمالي الغربي من النقب حول العوجا .

لقد اثار تقسيم فلسطين هذه الصورة احتجاجات الهيئة العربية العليا في القدس هذه الهيئة التي تمثل السكان العرب من مسلمين ومسيحيين . وفي القاهرة قررت جامعة الدول العربية ان تقاوم تنفيذ مشروع التقسيم هذا ولو اقتضى ذلك استخدام القوة .

واليهود مع انتقادهم مشروع التقسيم اعترفوا بقرار هيئة الامم المتحدة مرحلة هامة من اجل اشاء دولة اسرائيل ولكن بالاضافة الى الوكالة اليهودية وانفردت العسكرية المشاميبة التي تمنعها - اذغانا - كان هناك مشات ارهايية متطورة كالارغون واسرن وهذه كانت تطالب بكل وسيل ولم تقل مثلاً بتدويل القدس .

من حزيران سنة ١٩٤٧ الى كانون الثاني سنة ١٩٤٨ نفذت

اعمال الارهاب من الجانبين العربي واليهودي ، وفي تشرين الاول سنة ١٩٤٧ احتج مدير الجامعة العبرية في القدس نفسه الدكتور جودوك ماغنيس على اعمال العنف التي لجأت اليها المظمات الارهابية المتطرفة : وبين كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، وكانون الثاني سنة ١٩٤٨ بلغ عدد ضحايا الارهاب الف ومئة وخمسين قتيلاً وعشرين ألف حريح من العرب واثني عشر ، كما ذكرت التقارير الرسمية . وادرجح ان العدد الحقيقي اسلى من ذلك بكثير ، لان كل فريق كان يندب جهده لاحتفاء امور ضحاياه كي لا يلفت نظر الحكومة فتعاقبه .

وعلى الرغم من الاضطرابات استمرت الهجرة بنسبة مرتفعة ، ففي اوائل سنة ١٩٤٨ كان عدد سكان فلسطين قد ارتفع الى ١,٨٥٠,٠٠٠ نسمة منها ١,١٥٠,٠٠٠ عربي مسلم و ٥٠,٠٠٠ عربي مسيحي و ٦٥٠,٠٠٠ يهودي .

وهكذا يكون عدد سكان فلسطين قد تضاعف منذ احصاء سنة ١٩٢٢ ، ولكن نسبة زيادة السكان العرب كانت ٣٢٪ اذ ارتفع عددهم من ٩٦٠,٠٠٠ الى ١,٢٠٠,٠٠٠ بينما ازداد عدد اليهود الذي لم يكن سوى ٨٤,٠٠٠ نسمة ثمانية اضعاف تقريباً في الوقت الذي قررت هيئة الامم المتحدة فيه تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية .

ان اسكان ١,٨٥٠,٠٠٠ نسمة في فلسطين ثنائهم من العرب والثلث الباقي من اليهود ، كان مشكلة عويصة . ولكنه لم يكن مستحيل الحل . ولو ان الدول الكبرى التي تسيطر على هيئة الامم المتحدة ، تحملت مسؤولياتها لاستطاعت ان تفرض حلاً معقولاً . ولكن من الممكن ان نشذ ان نجد متطوعين مخلصين لتأمين السلام في الديار المقدسة .

ولسوء الحظ اتخذت مقررات متضاربة في هيئة الامم . ولم يعمل شيء لتأمين تنفيذها . كان كل عضو يتهرب من تحمل مسؤولياته . وانجلترا لم تفكر الا في تأمين جلاء جيوشها من فلسطين في الوقت الذي

ارادت اعداءك عنماً فيه بين اليهود والعرب ، وارتدت الوصية
طابع التعصب :

لقد حصن الصهاينة مستعمراتهم الزراعية ودرروا شاسهم على استعمال
السلاح . و حرب من جهتهم هم الآخرون حشدوا استوعب وفي السادس
من آذار اجتار قائدهم فوزي الشوقي الاردن على رأس لوح مدرع .
ان الانجليز يعرفون جيداً القائد العربي وهو ضابط سابق في الجيش
التركي ، ومن ثم في الجيش الفرنسي في سورية . وقد وضعوا جائزة
ثمناً لرأسه لانهم كانوا لا يحاولون الا مدى عدائه لسياستهم ، ولكنهم
مع ذلك تركوه يمر مع جيشه على حمراسي الذي كانت تحرسه
كتيبة بريطانية مدرعة :

وهذا يعني ان الدولة المنتدبة قد رفضت قبل انتهاء مدة ائتمارها ان
تؤمن التزاماتها وتفرض السلام .

وفي ١١ آذار نسب بناء الوكالة اليهودية في القدس وكان ذلك على
يد السائق العربي الكهل في القفصية الاميركية وهو معروف من الجميع
بصدقه لليهود . ومع ذلك ادخل الى باحة بناء الوكالة سيارته المملوءة
متفجرات .

وفي الثالث من نيسان كتبت الهيئة العربية العليا التي يرئسها الدكتور
خالدي الى مندوب اللجنة الدولية للصليب الاحمر لتتعهد باحترام تقاضيات
جنيف بشأن معاملة الجرحى والاسرى المدنيين من قبل القوات المسلحة
العربية ، واخذت جامعة الدول العربية على عاتقها التعهد نفسه باسم
الحكومات الاعضاء .

وفي الخامس من نيسان وقعت غولدا ماير وبين زفي نفس
الاتفاق باسم الوكالة اليهودية . ولكن في الوقت الذي كان الجميع
يأملون في تخفيف النزاع حدة وقسوة لحصره في نطاق العمليات العسكرية
لحماية السكان العرب واليهود معاً ، ازدادت خطورة الاحداث بسبب ما

في الثالث والعشرين من نيسان استولى الصهاينة على ميباء حيفا .
ويقول رينيه : .. كان السكان العرب واليهود يعيشون هناك في تعاظم
تام ، ورئيس البلدية الذي بقي في مركزه عشرين سنة كان يهودياً
ولكن الجميع كانوا يقدرونه ويحترمونه . وكانت حيفا تضرب مثلاً
على امكانية التعايش المثمر بين العرب واليهود . ومشروع الأمم المتحدة كان
يرمي الى تدويل هذه المدينة ، لذلك داهم الارهابيون الصهاينة الاحياء
العربية دون سابق اذار وسطوا برأيتهم من مختلف انواع الاسلحة
وراحوا ينسفون المنازل على ساكنيها ، فهرب العرب لا يلوون على شيء
والسلطات اليهودية التي نددت بهذا العمل عساً قد استعلت الامر الواقع
ونسفت ما تبقى من المنازل العربية حتى لا يعود اليها سكانها ، ووضعت
ايديها على تلك الاحياء .

وفي اليوم التاسع والعشرين من نيسان هرب اكثر سكان يافا المدينة
العربية الواقعة على أبواب تل أبيب لمجرد مهاجمة العصابات الصهيونية
لبعض صواحي المدينة . وهكذا أضيف ثلاثون الف لاجيء على السبل
المتدفق الى الخارج في طريق الخلاص .

في ذلك اليوم توجه جاك رينيه مندوب اللجنة الدولية للصليب الاحمر
من القدس الى تل أبيب ليقیم فيها فرعاً للجنة وكان على طريق القدس -
اللد ، انصار فوزي القاوقجي وبعض الجنود الاردنيين ومعهم بعض
العراقيين . كانوا يتولون الحراسة مستعدين للتدخل لحماية السكان العرب
وهناك كان عدد من المستعمرات اليهودية يجاور الطريق ايضاً ، وسكانها
جميعاً كانوا مدججين بالاسلحة ، كتب رينيه يصف ما شاهده :
« . على مسافة بضعة كيلومترات من تل أبيب وجدنا الطريق مكتظة
سبل طويل من الاهالي العرب من كل الطبقات ، يدفعون حبرهم
أمامهم ، او يحملون أمتعتهم الضرورية على رؤوسهم ، انهم هاربون
من يافا . لقد تركوا مدينتهم للنجاة بارواحهم ، وشكروا على الطريق

هذا الذي لا نهاية له وهذه الحجرة التي تحت في ظل أرهاق وذل
لا مثيل لها كانت تشبه الى حد بعيد قضيباً يائساً يحرق نناد الى المسبح
وكانت النوات الصهيونية الممطلة على طول الطريق تكتمل بمركبة
هذا سبيل و لا سبيل على الأرواب الممتدة اقيمه في كك هؤلاء الناس
يصطرون ان رميها بسب ما لحقهم من التعب والايهاك . كان سكون
الموت يحتم على هذا المشهد الذي شو في منطقة رائعة وسط سائر
يوم اني ملا عبرها الحو في يوم من ايام اربع المشرقة الجميلة .
و ردت الطبيعة نفسها كأنها غير مكترفة بمصير هذه الاسبابة التي
رفضت امات الادوية لتصرف الى الاهتمام بشؤون الحرب والحقد .
لا طائل من سرد وقائع اخرى مما فعلته المضطات الارهابية ، فقد
بدت هذه حتى قبل اسهاء الامداد البريطاني في ررع الخوف والرعب
في البلاد لتدفع السكان العرب الى ترك ديارهم وامساح المحار للقادمين
الصهاينة الجدد .

وفي اقدس في النصف الاول من شهر ايار بدأت اللحة الدولية
لتصليب الاحمر في مفاوصة العرب واليهود بشأن اقامة مناوq امية عزلاء
من السلاح لمنع اصطدام العرب واليهود في المدينة المقدسة عند جلاء
الانجليز المقرر في الرابع عشر من ايار (الدولة المنتدبة تركت الخصم
وحها لوحه ، لان الامم المتحدة لم تعين الكونت برنادوت الا في ٢٠ ايار)
وفي الوقت الذي حرص الجيش العربي الاردني واهاعانا على المحافظة
على الامن في المدينة لجأت المظمتان الارهابيتان الصهيونيتان سترن
وارعور الى اعمال العنف والارهاب في القطاع الشمالي من المدينة ،
واصطر العرب الى اجابتهم بالمثل . وفي مساء الخامس عشر من ايار
بدأت المعركة الفعلية الضارية التي استمرت حتى الحادي عشر من
حزيران يوم است الهدنة الاولى بموافقة الطرفين لمدة شهر فقط .
و د كانت الجيوش العربية في ليل ١٤ - ١٥ ايار قد دخلت قسطنطين

من الحق الاعتراف بان اسكان الصهييين العرب كانوا قد بدأوا ،
بتعرضون منذ عدة ايام الى اقصى صنوف الارهاب الى درجة حسمهم
على ترك كل شيء ولجأة بذرواحهم في الوقت الذي سارعت فيه
بريطانيا بالتحلي عن مسؤولياتها .

وكيف يمكنكم نفسياً ان تفسر موقف هذه المصحات الصهيونية الارهابية
المتطرفة ؟

كيف فشلت الطامعا التي كانت تضم ثمانين الف جندي بين رحل
ونساء في ان تعرض ارادتها وسيطرتها على الارعون التي لم تكن تضم
سوى خمسة آلاف ، وعصابة الستون التي لم يرد امرادها على الف فقط ؟
كيف عجزت عن ان تجمعها من ارتكاب اعمال العنف والارهاب التي
لا يستطيع أحد حتى ولا من عوريون ووايزمان وشاريت ان يقرأها ؟
لقد رأى اليهود ابتداء ديسهم واحوانهم يموتون بملايين في المدينة
وبواوينا وهنغاريا ، كانوا يبحثون يائسين عن وطن لهم ولاولادهم ،
وكانوا قد نالوا وعداً باقامته ، ولم يكن لدى المسؤولين منهم الشجاعة
الكافية للوقوف في وجه الوسائل الاجرامية التي كان يلجأ اليها الارهابيون
الصهيونيون . كانوا يتصورون بان اللاحثين العرب سيجدون سهولة مكاناً
هم بين احوانهم في الافطار العربية الاخرى ، واعتقدوا انه يوجد لهم
في العراق وفي سوريا ملايين الهكتارات البور التي تحتاج الى من يعمل
فيها وثروات هائلة لم تستثمر .

ثم ان هناك عدداً كبيراً من المهاجرين اليهود كان مدفوعاً بما قرأه
في التوراة من ان فلسطين هي ارض الميعاد .

نصوص دينية عنصرية متحيزة

لنقرأ اذن نصوص الكتاب المقدس :
لم يكن ابراهيم الذي يعتبر نبياً مرسلًا عند اليهود والمسلمين فلسطينياً ،
بل كان في الأصل من اورفا بلاد ما بين النهرين . ويقول سفر التكوين
ان الله امره بترك بلاد ما بين النهرين والتوجه الى بلاد كنعان التي
وعد بها هو وذريته .

« في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً : لِنَسْلِكَ اعطي
هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات ، بلاد
القبيلين ، والقريين ، والقدمونيين ، والحثيين ، والفرزيين ، والرفثيين
والأموريين .

ان هذا الوعد موجه الى كل نسل ابراهيم ومنه ينحدر اسحق ويعقوب
وعيسى وشعوب اسرائيل وأدوم ، كما تنحدر ايضاً اسماعيل نتيجة زواجه
من هاجر المصرية خادمة ساره . واليه تنتسب الشعوب العربية التي وعدت
هي الاخرى بهذه البلاد .

لقد نصب ابراهيم خيامه مع عشيرته وقطعانه في منطقة حبرون
واشترى من الحثي عفرون حقل ومغارة ليدفن فيها زوجته ساره التي
ماتت . « وقام ابراهيم امام ميتة وكلم بني حث قائلاً : « .. انا غريب
ونزير عندكم ، اعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من امامي » . فعرض
عليه الحثيون ان يستخدم احد قبورهم الفخمة ، ولكن ابراهيم اصر على

ان يحصل على قبر «مقابل» اربعائة شاةل قصة مقبولة عند اسحرة نوح
حقل عمرو . ان في المكمله في امم ممرا احفل ونمرة اني به .
و جميع اسحر اسدي في جميع حوده وحولته (تكوين الاصحاح ٢٣)
واسمر اراهم واسحق ويعقوب مدة طويلة يعزرون لمسلمهم عده
في بلاد كنعان ، ودهموا للسحت عن زوحاتهم في وطنهم الأصلي ،
براد ما بين نهري . ان كانوا كدوحدين يصرون شرراً باحتقر ان
الفلسطينيين عبدة الأوثان .

وعندما خطب ابن امير شكيم دينا احدى بنات يعقوب . بعد ان
احا بعضها ، طاب ان يتزوجها ، فتظاهر اخونها بالقبول ، وحتالوا
على كل سكان المدينة وذبحوهم بفساوة ونهبوا ثرواتهم وسعدو على
مواسيهم وسبوا نساءهم وأطفالهم .

وفيا بعد ، عندما هرب شعب اسرائيل بقيادة موسى من مصر وعاد
الى بلاد كنعان تنقن امراً بعدم مخالطة الشعوب المقيمة هالك التي وحد
الله بالقضاء عليها . لا اطردهم من امامك في سنة واحدة لئلا تصير
الأرض خربة وتكثر عبيك وحوش البرية . قتيلا قتيلا اطردهم من ممالك
الى ان تنكث وتملك الأرض ، واجعل تحومك من بحر سوف (الأحمر)
الى بحر فلسطين . ومن البرية الى النهر . فاني دوع الى ايديكم سكان
الأرض فتطردوهم من أمامكم .. (خروج الاصحاح ٢٣)

اما بحر فلسطين ، فهو البحر المتوسط ، ونهر الكبير في مصر
التكوين هو نهر الفرات .

وفي الفصل الحادي عشر من التثنية تأكيد « كل مكان تدوسه بطون
أقدامكم يكون لكم من الصحراء الى لبنان ، ومن نهر الفرات حتى البحر
المرابي يكون تخمكم ، لا يقف انسان في وجهكم .
ولا تمت التثنية تأمر بالقضاء على سكان كنعان الوثنيين : ، ولا

كل الشعوب الذين يدفع بهم الرب اهلك اليك ، لا تشفق عبادك عليهم ،
ولا تعد آلهتهم ، لأن ذلك شرك لك . » (تثنية ١٠ : ١٦)

وتفوح من الاصحاح السابع من التثنية رائحة البرية والعصرية التي
لا مثل لها . ويبدو التحيز فيه طاهراً الى جانب (الشعب احرار) .
« مني أنتي بك الرب اهلك الى الأرض التي انت تدخل اليها لملكها
وطرد شعوب كثيرة من امامك ، الحثيين والجرحاشيين والاموريين
والكنعانيين والقرريين والحيثيين واسيوسيين . سبع شعوب اكثر وأعظم
منك ودفعهم الرب امامك وصرهم . ولك تحريمهم ، لا تقصع لهم
عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم ، بسنك لا تعط لاله ، وسنة لا
تأخذ لارب ، لأنهم يردون انتك من ورائي فيعد آلهة اخرى ، ويريد
عصا الرب عليكم ويهلككم سريعاً ، ولكن هكذا تفعلون بهم فتهدمون
مدنهم وذكسروا اوصالهم ونقطعون سواربهم ، وتخرقون ثيابهم سار .
لأنك انت سبع مهندس للرب اهلك ، اياك قد خمار الرب اهدك لتكون
له شهراً حص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض ، وليس ذلك
لكم اكثر من سائر الشعوب عدداً بل التصق الرب بكم ، واحترمكم
لأنكم اول من سائر الشعوب ، بل من محبة الرب اياكم وحمصه انقسم
الذي قسم لأبائكم اخرجكم الرب بيد شديدة ، وقادكم من بيت لعدوية
من يد فرعون ملك مصر . » (تثنية ، الاصحاح السابع)

وفي كتاب العدد بأمر الرب الاله ابناء اسرائيل بأن يطردوا أمامهم
أهل كنعان ويدمروا آلهتهم ومعابدهم : « ستملكون ابلاد وتقيمون فيها
لأني مسحكم اياها . ستقاسمون البلاد بالحصص حسب اسباطكم ، الى
اولئك الذين هم اكثر عدداً تعطون الحصة الكبرى ، وإلى اولئك الذين
هم اقل عدداً تعطون الحصة الصغرى . . ولكن اذا لم تطردوا امامكم
سكان البلاد فأولئك الذين سيقون معهم بكم سيكونون أشواكاً في

عيوبكم واهراً في احاسكم . سيكونون اسداءكم في البلد الذي ستقيمون فيه وقد يأتي يوم اعاملكم فيه كما عاملتهم .

في سفر المكويين كما في سفر الخروج ، وفي التثنية كما في العدد ، وفيما بعد كتب يشوع واثقضاة ترد الأوامر واضحة الى نبي اسرائيل كي يصفوا على أموال الكنعانيين . رغم كل عدالة ، وفي الاصحاح السادس في التثنية . بعد الأوامر المشددة التي تطلب من اسرائيل ان تحب اهلها من صميم قلبها وروحها وتعرض بكل قوتها هذا الحب في نفوس أبنائها لتتقى دائماً امام اعينهم الأوامر الالهية التي تعدهم بـ « الأرض العطية التي تمفيض لسا وعسلاً » ، يتوجه الى الشعب المختار بما يلي

« أنى بك الرب اهلك الى الأرض التي حذف لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيت الى مدن عظيمة جيدة لم تسها ، وبيوت ممدوءة كل حجر لم تملأها ، وآبار مخدورة لم تخررها ، وكروم زيتون لم تعرسها (تثنية ، الاصحاح السادس)

لا طائل من تعداد الشواهد الكبيرة لاثبات ان العهد القديم يعكس مفاهيم دينية قديمة عمصرية بربرية ، فان ذلك واضح مما اوردها .. لقد كانت الأقوال المكررة في الكتاب المقدس ، تلك الأقوال التي تحدثت شعب اسرائيل والتي أشارت الى ان فاسحين وكل ما فيها هو من حقه . كانت مشجعةً للارهابيين ، وشكلت سنة ١٩٤٨ عقبة في طريق الصهيونيين الأحرار ، لقطاعات الصهيونيين المتطرفين وحتى في نبوءة النبي أشعيا التي تمجد العهد الذهبي حيث العداة ستشر لواءها ، وحيث الحمل سيأمن العيش الى جانب الدثب وحيث المسيح سيكون هنا راية لجميع الشعوب . يجد متطاع كلها وعود لنبي اسرائيل بالعودة الى فلسطين .

« ويكون في ذلك اليوم ان السيد يُعيد يده ثانية ليقتني رغبة شعبه التي بقيت من اشور ومن مصر ومن بروس ومن كوش ومن عيلام وشمر وحماه وحرائر البحر . ويرفع راية الامم ويجمع ممهي اسرائيل

اليوم أكثر من أي وقت مضى وخصوصاً في بلدان أوروبا .

لقد تم إساءة الوطن القرمي اليهودي أو احتلاله عن طريق العمل
الممروح الخبيث وأعمال الباطل من إساءة فلسطين أرض الميعاد التي وعد
بها اليهود منذ أربعة آلاف سنة سحرتهم أموال الوكلاء اليهودية في الدم
فاسحرتهم وإذا هم يستيقظون بعد مفعول السحر يروا أنفسهم أراء
أعمال الأشرار و... التي لحقت بها المصائب الأشرار الصهيونية ،
فاضطروا إلى ترك ديارهم والحرور من دولهم لا يارون على شيء
سنة ١٩٤٨ .

نرى ، ماذا كان رد الفعل لدى جمال عبد الناصر ورفاقه الوطنيين
الناصرين نتيجة لهذه المأساة الفلسطينية ؟ دعت ما سراه في الفصل المقبل

جمال عبد الناصر وعرب فلسطين

عندما كان جمال عبد الناصر صالماً ثابواً كان يشترك كل سنة في الثاني من تشرين الاول في المظاهرات التي كان يقيمها في مدارس المصرية احتجاجاً على وعد بلفور الذي تعهدت بموجبه بريطانيا باعتراف لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين «اغتنصته ظمناً من اصحابه شرعيين» (جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة - صفحة ٦٣)

وهنا في هذه المناسبة لا بدّ من ان نتساءل « لماذا كان يشعر وهو طالب في احدى مدارس القاهرة الثانوية بالمهانة وهدر الكرامة ؟ لماذا بعض هذه الارض التي لم تقع عليها عينه ؟ » (جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة - ص ٦٣)

اننا نستطيع الاحابة على ذلك ، اذا تذكرنا ان الامة العربية هي فكرة موجهة قل ان تكون حقيقة سياسية . وكلّ من يُصيب بلداً من بلدانها يترك صدهاء في اي بلد عربي آخر .

ولحسن الحظ ان جمال عبد الناصر في الكلية الحربية ثم مدرسة اركان الحرب قد درس جيداً تاريخ فلسطين وطروفها التي جمعت منها في افقر الاخير فريسة سهلة تتخطىها انياب مجموعة من الوحوش الخفية ، مما يستر له ان يكون فكرة صحيحة عن هذه المأساة الكبرى .

في القرن الماضي كانت فلسطين بلداً صغيراً فقيراً في الثروات .
والوحوش الضارية للسياسة الدولية لم تهرع اليها رغبة في الاستئثار بثرواتها
الطبيعية . اما خطوة القدس ، المدينة المقدسة عند المسلمين والمسيحيين ،
وعند اليهود على السواء هي التي سحرت الصليبيين في الماضي واتي
استمرت تحتذب الاطيار . واذا كان نابوليون بوناپرت قد حاصر عكا
واذا كان محمد علي والانراك ومن بعدهم الاخليز والانراك والالمان ،
اذا كان هؤلاء نقلوا نزاعاتهم ومساكناتهم الى الاراضي الفلسطينية ،
فذلك لان بلاد كنعان كانت بالنسبة لهم ساحة معركة اكثر منها موطن
استثمار .

هذا وقد استفادت فلسطين كمركز للحج ، وبلد كل مدينة فيه تحيي
ذكرى تاريخية خاصة عند اصحاب الاديان السماوية الثلاثة ، استفادت من
الحركة السياحية الدينية الواسعة وأقيم عدد كبير من المؤسسات الخيرية
التي مولت من الخارح مما اتاح تحسین مستوى العيش لدى شعب حالم
هاديء هادىء في بيئة طبيعية جميلة تعطيه الزيتون والتين والعنب .
وبسبب هذه الحياة الهادئة الحاملة في فلسطين حيث كان الشعب يعيش
وديعاً مسامحاً من حراء العطف العالمي على مهد الاديان السماوية بدت
حركة العنف الارهابية التي حملته على ان يخرج من دياره دون ان يلوي
على شيء قاسية فائقة الظلم .

وعندما وُلدت الارمة الفلسطينية كتب جمال عبد الناصر يقول انه
« كان مقتنعاً تمام الاقتناع بانه اذا فرض القتال في فلسطين فان ذلك
لن يكون حرباً في ارض بلاد غربية بل واجباً مقدساً للدفاع عن النفس »
في ايلول سنة ١٩٤٧ على اثر قرار الامم المتحدة لمشروع تقسيم
فلسطين اجندعت اللجنة التنفيذية للضباط الاحرار ، وقررت ان تساعد
حركة المقاومة العربية . فتوجه جمال عبد الناصر الى مرل مفتي فلسطين
الاكبر الحاج امين الحسيني في داره في الزيتون ليعلمه بأن عدد كبر

من المصادر المصرية مساهمة في تدريب المتطوعين وقادتهم في المعركة .
وكان حوام الحاج أحمد حسيبي في بصرى هذا العام في الجيش
عليه قبل كل شيء . استحصل على رتبة من رتبته الخاصة . وبعد
بضعة أيام حضر المرحوم من أن يحب ، يفتي على عرض خدمته في
الجيش المصري بالاحرار . بعد أن قرأ في أي كتاب يدرس إمكانية
الجيش المصري في ذلك . لا يريد أن يحدث تشويشاً في جهاز
صراط الجيش المصري . سبب المرحوم من صلاته إلى العمل من
رأس المتطوعين .

ومع ذلك حصل دعيم محمد عبد العزيز . الذي كان سنة ١٩٣١
استاذ الفروسية . للسان من عبد الناصر في الكلية الحربية في مصر
أجازه إلى الاستبداد فتوجه إلى فلسطين لتدريب المتطوعين العرب .
وفي نيسان سنة ١٩٤٨ بدأ حياً واصحاً أن بريطانية لم تكن مستعدة
بإرسال قواتها إلى فلسطين وإعادة السلام المنشود . وخصوصاً السيرة
إلى كوسمها لم يكن لديه سوى ألف جندي بريطاني ، والشرطة و درك
وجميعهم من لوطيين لم يكن عددهم يزيد عن الألف . والجيش العربي
الأردني كان في أمكنه أن يقدم مساعدة ثمينة عندما تدعو الحاجة ،
وإن قيادة هذا الجيش كانت منوطة بالبريطاني عيوب ، وبالاصابة أي
ذلك كان تحت إمرة الملك عبد الله ملك الأردن .

وبروي جمال في كتيب اسمه « الحقيقة كلها عن حرب فلسطين »
سعود إلى شرحه في فصل لاحق . أن منظمة الضباط الاحرار قد
وصفت نفسها في ذلك الوقت في حذر مستمر « لأن الكلاب البوليسية
كانت تقتفي أثرها ، وسياسة الملك فاروق كانت قائمة على التحس
في أوساط الجيش » .

وكان النقيب جمال عبد الناصر . الاستاذ الشاب في الكلية الحربية .
بعد امتحانه النهائي في مدرسة أركان الحرب . وكان عليه أن يتقدم

ر. س. لا متحن في النبي عشر من ايا . وكان جيش حصار ثمرة
يهود سنة يكاملها اذا ذهب ثوا الى فلسطين لخدمة أهلها العرب

اجتمعت اللجنة التنفيذية لصناعة للاحرار وقررت وحرب ذهاب احد
أفرادها ، على ان ينتظر الآخرون دورهم وأصابت الفرقة كمال الدين
حسين الذي التحق في أواسط نيسان بامتاده اهدىم الرعيم احمد عبد العزيز
في منطقة حبرون وبيت لحم ، وتولى قيادة المدفعية في جيش المتطوعين ،
هذه المدفعية التي كانت تقصف وتلك المستعمرات اليهودية جنوبية القدس .
(جمال عبدالناصر - فلسفة الثورة - صفحة ٦٤)

في القبة وفي يهودا سلف كمال الدين حسين الحضور الحديدية من
حان يونس الى بئر السبع ، ومن حبرون الى بيت لحم
وقد فقد عدد كبير من الضباط الاحرار أرواحهم ، هذه العمليات
بذكر مهم انور السباجي الذي سيذكر جمال عبدالناصر اسمه لرئيس
الحكومة المصرية في ظروف محزنة ، ومحمد سالم عبدالسلام وغيرهما
ومن ناحية ، كان حسن ابراهيم وعبداسطيف البغدادي قد انصبا في دمشق
الى مركز قيادة اللواء فوزي القاوقجي قائد جيش الانقاذ العربي الذي
كان يقوم بعملياته الحربية في منطقة الجليل وكانا قد أعدا مع رفق
لها في الخدمة في الجيش المصري ، قيام سرب من الطائرات العسكرية
المصرية المحملة بالاسلحة والذخيرة لنجدة عرب فلسطين . ولكن تنفيذ
هذه الخطة تأخر وأصبح لا فائدة منه بعد دخول الجيش المصري
الحرب الفلسطينية .

من الثامن الى الثالث والعشرين من نيسان حملت مذبحه دبر ياسين
واعمال الارهابيين اليهود في حيفا ويافا الاهالي العرب على ترك ديارهم
والهجرة الى الانظار العربية المجاورة .

وفي أول ايار أعلنت صحيفة المصري انه ، قبل الخامس عشر من
ايار ستكون القوات المصرية قد اجتازت الحدود ، في طريقها لاعادة

النظام والاستقرار في فلسطين وفي ثلث عشر من مصر في ثلث عشر من
ان نعلن ومبطلاً ، ولكنها لم تتخذ أي اجراء عملي مباشر . وفي الرابع
عشر من ايار من ١٩٤٨ ، وحسبوا قاتلهم في حينه ، حيث
بدأوا الانحار .

سأ ارجو ان يكون هذا الموضوع في مصر يطالب بتدخل الجيش
المصري عبر ان اسرائيل قد ترددت . لانه يعلم ان القوات المصرية
لم تكن في حالة تحوّلها الى حوله في أي حرب شخص في اعتناء واداء
بهاروي وحسب الحارم ، حسناً . لا من بعدو كونه برهنة
عسكرية . كما ان سبب التحاق المربع ان سببها القوات المصرية
في اشتراكها في حرب فلسطين اوطيحي السياسيين النافذين وغلاوة
على ذلك كان يواظبه المصري بشتم رائحة ، كان بعده الفصاحة لاجل
ذلك كان رسال الجيش الى فلسطين حبر وسببها لخص من في اساهره
والهاء المحرضين بخطوط النار .

وفي رابع عشر من ايار أعلنت دولة اسرائيل التي اعترف بها الرئيس
برومان فور اعلانها رقيقاً . وفي ليل ١٤ - ١٥ ايار دحلت الجيوش
العربية فلسطين واكشفت اللواء « الماوي » قائد الوحدة المصرية وهي
انه معظم فاثل وسترايحي قصير النظر . وأما مساعده اللواء محمد خيب
فقد اضطر ، بسبب قلة السيارات العسكرية اللازمة لنقل جنوده من
رفع الى غزة ، الى ان يستأجر من الاهالي العرب احدى وعشرين
شاحنة خاصة . وأرغم على ان يحمل قسماً من المدفعية ، لعدم وجود
مركبات قاطرة لنقلها .

وفي السادس عشر من ايار ، توجه جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم
عامر ، وزكريا محيي الدين من القاهرة الى فلسطين في قطار مملوء جنوداً
وكان الجيش المصري آنذاك لا يضم الا تسعة افواج ، ثلاثة من كانت
قد توجهت الى الحدود الفلسطينية . هي الفوج السادس الذي الحق

بقية حرم عبد الناصر . واضوح السبع الذي كان يجب ان يكون عبد
الحكيم عامر فيه صايط اركان حرب . وظهور الاول الذي اتفق
به ركريا محي الدين وبالصافى ان ذلك كان اطار السبع في طريقه
ان الحدود . وعندما أعدت الصحف المصرية بفضحة كبرى ان الجيش
المصري قد دخل فلسطين ، كان هذا الجيش لا يضم سوى ثلاثة او
اربعة آلاف جندي .

لا اورد هنا ان استرسل في سرد العمليات الحربية التي حدثت بين
١٥ ايار سنة ١٩٤٨ و ٢٤ شاط سنة ١٩٤٩ ، اذ ربح الذي وقعت
فيه اتفاقية الهدنة . بل اكتفي بأن اذكر ان الجيش المصري احتل بدون
مقاومة عرة وشر السبع ، وعسكر في منطقة حبرون - بيت لحم ،
حيث انضم الى المتطوعين العرب الذين كان على رأسهم الرعيم احمد
عبد العزيز . وبقية المدفعية كمال الدين حسين . ونم هكذا الاتصال
بين القوات المصرية والقوات الاردنية التي كانت تعمل في وسط فلسطين ،
وهي الاخرى على اتصال ، في الجليل ، بفدائي فوزي الفافحي ،
وفي الشمال بالقوات العراقية والسورية . وهكذا احتلت القوات العربية
مدينة القدس القديمة . ورام الله والطورون ، ونابلس وأريحا ثم بيت
لحم - حبرون ، وبيت جبرين والفالوجه وغزة .

اثر ذلك شن اليهود هجوماً عاماً فربحوا عدة مراكز . واحتلوا
الساحل كله من الحدود اللبنانية الى الفالوجه . وكان ادهابو ارغون
وسترن فطيمين في قساوتهم . واشاغدا التي تعد ثمانين ألفاً بين رجال
ونساء كانت تضم ثلاثين ألف جندي مدرب جيداً على ايدي الانكليز .
كانوا قد حاربوا في صفوف الجيوش الخليفة في الحرب العالمية الثانية .
والمستعمرات اليهودية الزراعية كانت محصنة ومسلحة ، وقد حارب
بامتانة من اجل البقاء . اما الأهالي العرب ، فاعتقدوا انهم بلحونهم
الى ما وراء الخطوط العربية ينجون بحياتهم ، ليعودوا الى بيوتهم بعد

حصنة ايدى و سابع على أكثر
في الحادي عشر من حزيران سنة ١٩٤٨ بوقت نفس بعد . و في
التريق عن هذه شهر كان قد اقترحها وسيت سروروت و لكن
النار اشتعلت من جديد في الثامن من تموز وبقيت سبعة جداً حتى الثامن
عشر من تموز اليوم الذي فرصت به الأمم المتحدة احدى ثانية على
المشروعين غير ان هذه احدى مقررة في نيويورك لم تكن مصفاً ،
في فلسطين والذكوت سروروت الذي كان قد عند مشروعاً بتقسيم
أصلح بالنسبة لعرب من المشروع الذي صوتت عليه هيئة الأمم عام
١٩٤٧ ، اغتيل في الحادي عشر من ايلول على يد عصاة سترن الارهابية
كذلك جرت معارك عبدة بين القوات المصرية واليهود في القبة بين
٤ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ و ٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٩ ، على
الرغم من صدور تأكيد جديد صادر في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٤٨
من نيويورك ، بوقف اطلاق النار .

وشار الحقة الممتدة من ايار حتى اواخر تشرين الاول سنة ١٩٤٨ ،
مستطع ان نعتمد على مذكرات جمال عبد الناصر . وبعد هدوء رتني
في شهر تشرين الثاني ، عاد نطاق القتال واتسع في اواخر كانون
الاول اذ ان اليهود كانوا يحاولون ان يقضوا على القوات المصرية
المحاصرة في السالوجة وعراق المشيه التي تهمنا بصورة خاصة لأنها كانت
بقيادة جمال عبد الناصر ، وقد حصلنا على معلومات بشأنها من شهود
عيان .

مذكرات جمال عبد الناصر عن حرب فلسطين

شرت ادارة العلاقات العامة في القوات المسلحة المصرية ، سنة ١٩٥٥
هـ ، « الحقيقة كلها عن حرب فلسطين » ، ثلاثة كراسات تحمل
في صدرها صورة الرئيس عبد الناصر بلباسه العسكري ، تأليف الشرف
الاول من عشرين صفحة وهي تحمل اشارة « الجزء الاول » وتبدأ
بهذا لتصريح : « اي لا بحث عما ستركه فصاحتي ، ولا احارب ان
ارفع من معويات الجيش ، بل اريد فقط ان اروي الحقيقة كما عشناها
ويتحدث هذا القسم الاول من مذكرات الرئيس ، عن الأحداث بين
١٥ ايار و ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٨ وتحمل كلمة « بنع »

واما الجزء الثاني فيحتوي خطبة للرئيس جمال عبد الناصر موجهة
الى طلاب الأكاديمية العسكرية ، ومن المستحسن ان نعرف في بة ظروف
التبت هذه الخطة وعدتد ندرك الى اي مدى يمكنها ان تشكل مستنداً
صالحاً لتاريخ حرب فلسطين .

صدر مؤخراً تصريح عن الرئيس عبد الناصر يثني صوفاً على ما
نصبوا الى معرفته . ففي مقابلة مع الكاتب البريطاني دسموند ستوارت .
أكد الرئيس عبد الناصر انه سأل الرعم من انه رحل عسكري ووري
فانه يكره العنف . فهو لا يحب قساوة أتاتورك ، الذي لا يعرف عن

توقيع الحكم بالاعدام على صديق حميم له ، بل يعجب خروج ورش
الذي عرف بطيبة قلبه ..

وقد لاحظ دسموند ستوارت ان اختيار السلوك العسكري يتعارض مع
هذا الإيمان بالسلام ، وهذا المنهج للعنف على طريقة عددي . وأحب
حميد عند انصر على ذلك : ان هذا المنهج طاهري . وفي بلد
كمصر يمكن اعمار الجيش وسيلة لتثقيف . ودور الجيش يمكن ان
يخفف من سوء وآخر . ثم هل تعلم يا بني شخصياً كنت في محر الثورة
من معاردي تصميم جيش كبير ؟ لقد كنت مساماً حتى حين احصوم ،
ورماني احباط هم الدين كانوا يبرزون الاحطار المحيطة بسا . ولكن
كل شيء قد تغير عندما حصل العدوان الاسرائيلي على غزة . وكل
دش قد نزل بين ليلة وضحاها يوم ٢٨ شباط سنة ١٩٥٥ . عندما
فهمت انه يجب ان يكون لدينا اسلحة للدفاع عن انفسنا . لقد رأيت
الاحزاب الفلسطينية مشردين فهلمت وخفت من مجرد التفكير في امكانية
حدوث ذلك للمصريين . لذلك طلبنا الاسلحة من الغرب الذي رفض
ان يبيع ابداً . وقد أحداها من تشيكوسلوفاكيا بدون قيود سياسية .
ان هذا التصريح يُزيل جميع الملاحظات ويشرح الظروف التي انجبت
فيها الخطية على صلات الاكاديمية العسكرية عام ١٩٥٥ . فقد كان هناك
عدوان اسرائيلي على غزة ترك في الامن والعشرين من شباط سنة ١٩٥٥
اربعة قتلى من المصريين . وعلى الاثر شعرت مصر بانها ضعيفة من
حيث القوة العسكرية والاسلحة . ولم تستطع ان تحصل على السلاح من
الشرق الا في ايلول . وفي انتظار ذلك كان يجب المحافظة على معربات
النهب والجيش ، وكان يجب محاربة الزعم القائل بان الجيش المصري
قد اهرم عسكرياً عام ١٩٤١ ، وبانه كاد ينهزم مرة ثانية امام
الاسرائيليين عام ١٩٥٥ .

ليست اسرائيل ممن هزمنا

في حقيقته يدكر الرئيس جمال عبد الناصر ان يوم السادس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٤٨ ، ذلك يوم سبى وحدينا فيه احسنا به وحملنا بوجهه مع شعب ، اقوى واصول تسليحاً مما .

« كما معزولين ومحاصرين ،

ومع ذلك « قمنا بواجبنا تجاه اشرف واطول ، وصديدا المعبدين .
« لقد رأيت بأم عيني الجنود اليهود يترافعون ويتهددون أمام الجيش المصري على الرغم من ان الدبابات كانت تسادهم وتركوا يعضها في ساحة المعركة .»

وبصيف الرئيس « ان الجنود المصريين ، كانوا ، في عام ١٩٤٨ ، صحابا الحبيبة والهدنة التي فرضها مجلس الامن الدولي السابع للأمم المتحدة في الوقت الذي كانت اسرائيل في اسس الحاجة الى فترة راحة لاعادة تنظيم صفوفها واستكمال تسليحها .»

« لقد استنطاع اليهود ، بفضل الهدنة ، ان يقوّوا جيشهم ويسيطروا على صفوفها . لم تكن اسرائيل هي التي هزمتا عام ١٩٤٨ ، بل مجلس الامن الدولي وحلفاء اسرائيل .»

يؤكد الرئيس ان الحالة في سنة ١٩٥٥ تختلف كل الاختلاف عن تلك . والجيش المصري بقيادة عبد الحكيم عامر لم يعد كما كان في السابق . والعوامل التي ادّت الى فشلنا عام ١٩٤٨ قد زالت الى الابد :
« سندافع عن بلدنا ونواجه القوة بالقوة ...»

والجاء اثالث من « كل الحقيقة عن حرب فلسطين » في صفحاته الاحدى والعشرين يتضمن اعادة النص المشور في الجزء الاول مع بعض التقييح .

يروى النص الاول في صفحة الرابعة عشرة ، انه كان على النوح

ساحل في أواخر بار ان ينقل من غزة الى اسدود ليحل محل الفوج
الذي تم سحبته من غزة. لقد حدث انه ان
الى وحدة الجيش الاردني الذي كان يدعو ان يتنص غايه في معركة
الواد. وقد بدأ هذا الامر عربياً جداً اذ كيف تحرم الحملة المصرية من
فوج كامل ، اي من ربع القوات المقاتلة . لكي يرسل الى المهلكة في
باب الواد ٢٢

وعلى في الجزء الثالث يقول : لكن لسوء الحظ ، عادوا وتراجعوا
عن هذه الاوامر كما مستعدين لهزات . ودهما اذن ، الى حيث
كانت ان يذهب ، الى اسدود حيث احيراً وحدها عسا وحياً لوجه
امام العدو ١١ :

هذه الصحاح التي وردت في الجزء الثالث تمثل جيداً المصرية ،
الى حرب فلسطين كما اراد الرئيس جمال عبد الناصر ان يعطيها عام
١٩٥٥ . لطالب الكلية الحربية وكل مصر لان هذه المذكرات نشرت
في المجلة الواسعة الانتشار « آخر ساعة » .

وبناء رد الفعل البديهي الاصيل للضابط الشاب في النص دعم التطور
اللاحق الذي اصاب نظرتة الى الأمور يدل على ان مذكرات الجزء الثالث
تمثل جيداً ملحوظات وذكريات حية لضابط محارب في سنة ١٩٤٨ .
من هنا نشأ ونشأ انفسها انفسها بالنسبة لمن يود فهم النفسية والتكوين النفسي
للنظري الذي سيمتدح في المستقبل رائد القومية العربية .

يقول عنه الحيولوجيا ان تحليل الطبقات الترابية المتراكمة فوق بعضها
يشع معرفة تاريخ الارض ، كذلك الامر في دراسة سير الرحال العطاء
فان تحليل المستندات العائدة الى ايام الطمولة ، أو الفتوة . أو سن
الصبح ، يظهر لنا التأثيرات ، والاحداث ، والتجارب التي كرت
الآراء والمواقف السياسية التي يتبنونها .

الذهاب الى الحرب

لبعد الآن الى ما يرويه الرئيس في مذكراته منذ السادس عشر من
أيار ، تاريخ دهايه الى الحرب . بعد مرور اربعة ايام فقط على احب
منجاح الامتحان الصعب في مدرسة اركان الحرب ترك وراءه المرأة الحرة
التي كان قد تزوج منها عام ١٩٤٤ مع طمحين رائعتين برعتي الحول
يعبونهما السوداويين . هما : هدى وعمرها ستان ، ومي عمرها سنة
واحدة . ومن غريب الصدف ، ان جمال عبد الناصر رزق من قبل
ذهابه الى حرب فلسطين ، ودائه بعد عودته منها برزق ثلاثة بنين
فهل معنى ذلك ان الضابط الذي حصر الحرب في فلسطين في الحسوة
الاولى قرر ان يزود وطنه بالجنود الكسب الحولة الثانية . وساعة رحيل
لم ترد نحية كصمم الروجة الشجاعة الوقور ان يرتدي وداعا روحيا
طبعاً قائماً بل ان القريب جمال يقول « لقد تركت افراد العائلة في
أم شديد ، وقد انتظروا نزولي آخر درجات السلم ليطبقوا لدموعهم
العنان » .

وفي اقطار المملوء بالجنود والمكيط بالاسلحة ، كان ثلاثة نساء في
اثنان من عمرهم قد بسطوا مصوراً حربياً وراحوا يتأملون به كانوا
يعلمون ان الجيش المصري قليل العدد والعُدَد، نقصه التحارب الحربية،
لانه خلال الحرب العالمية فرض عليه ان يبقى في مكانه ، فيما عدا
بعض فرق المدفعية التي مكثت حراسة القناة من العارات الجرية ومن
دراسنهم على المصور لثبات الكبار ومنرات اني يجب احتلاها لمواحهمة
« الكيوتزم » اي المزارع اليهودية المحصنة . تبين لهم ان المهمة التي
كلفوا بها خطيرة :

سافر جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وزكريا محي الدين ،
معا حتى العريش المدينة الصغيرة على الحدود، حيث تروني مياه الحرف

السابعة من شباط سنة عارت الخيل التي يداعها السبع
وفي المساء وصلوا الى العريش العارقة في الصلابة . وفي المحطة لم
يجدوا احداً في انتظارهم لاصطافهم التعليات . محثوا عن مركز القيادة
فوجدوه حياً حارباً الا من صراط صغير من الاركان العامة حيث كان
يحدث عما سبناوله من طعام ، ودعوه بمقاسمتهم طعامهم . « كنت
صحيحاً كما نساب على سحبتها ، وفهنتنا قرن » ، تاركة صدى عربياً في
نفسه ، ان هذا يجعلك تشعر باسبابة المصرية لاسبابة طيبة هؤلاء العسكريين
الشباب الذين يحولون الحيرة ، والمراح وكس كل ديث المرح كان يروح
تحت ثقل من المحرد المتدلى في ان قراراً خطيراً كاسلان حرب قد
أخذ دور ان تكون ابادة امياً قد قدرت الصعوبات من تسليم القتل
وجهاز الامن وزويد الوحدات المحاربة لاسلحة والمحدث .

سلم عدد الحكيم عامر وزكريا محبي الدين في العريش بان الفوجين
السايع ولادل في عرة وان سيارة حربية ستأتي لتقديهما الى هناك . اما
الفوج السادس فهو اقرب ، في ربيع اول بلدة فلسطينية على الحدود .
وقد اعت صحت القاهرة انه قد احرز نصراً وطهر مررعة «دنتور»
الصهيونية والذي وصول القيت جمال الى ربيع سلم بان الفوج قد رحل
عنها منذ الخامس عشر من ايار بقاء الاوامر القاهرة ، ليجت «دنتور»
غير ان الجود والاصباط لم يكن لديهم اية معلومات عن المررعة المحصنة
التي حاصرتهم الاوامر بمهاجمتها . وقد واصلوا اليها ميهوكي اقوى بعد
مسير طويل مضى ، واصطدموا بخطوط دفاعية من الاسلاك الشائكة
يختفي وراءها الجنود الصهيونيون الذين اصلوهم ذاراً حامية من
رشاشاتهم .

وبعد ان اصيب الفوج بخسائر فادحة غير منتشرة اعطى التقدم الامر
بترجيع ان ربيع حيث التفت ادهم المحاربين في الوقت الذي كان

الناس فيه يقرأون السلاخ انطاش لربان اسي أصدرته القاهرة عن تطهير
المزرعة الصهيونية .

الف ليرة لشراء زيتون وجبن

استقبل الفوج السادس الزنطار الى غرة حيث يجب ان يحل محل الفوج
السادس المتوجه الى محدل - اسدود . وفي غرة اتى حيا عدد اسدود
بعد الحكم عامر من حديد ، فسله هذا العسكر ابي تحت امرته
واسطاه اب حنيه ليشتري الجوده بها زيتونا و... وحدث لان القيادة
العبا لم تكن قد اعدت المضاح الضرورية لصح الاطعمة الساحبة .
فليندر الجود انفسهم ، محيا ، يامال . شعر انفس اشاب ثورة تعقربه
بسب هذا "نقص في الاعداد والمظيم . " كذا قالى ينفطر وكنت انور
لمجرد تمكيري في الجدي الذي يحارب وهو عارى الجسم ضد المراكز
المحصنة ويعود الى معسكره بعد المعركة ليروي كالحرد في احدى الروايا
يفهم كسرة من الخبز وقطعة من الخبز .
الى غرة وقد الحرجى افواجا من دير سيد ، المستعمرة اليهودية .
كان المشاة المصريون قد امروا بالتوجه اليها بحفة نفسها التي صدرت
فيه الاوامر الى الفوج السادس كي يهاجم دنور . " اطلق الحدود بدون
هابة المصمحات ، في وضع النهار ضد التحصينات القوية ، المزودة
بمدافع ورشاشات تديرها ايد مجرية وكما كانت نحر المونة من حدودها
صرعى ، كدت موحدة اخرى نفس محيها وكان الحدود يقاتلون
على الموت بحرارة قادرة وانتبى الامر . . . دير سيد في ابي
المصريين ولكن تأتي ثمر . لقد كانت ... عشرين من ايار من

اخرى ياتي حينئذ . وقد اضمينها في المستثنى حيث كانت لا بد
جميعها بضم احكاماً مشوهة لحدود حرجوا في دير سيد ... أسل . لم
يكس حدث في الحقيقة انه قوة تستصيع ان تسع مشانما من مؤامسة
اموت جرأة لكن هل كما يرسل جنودنا ليشاركوا في معركة ام في
مذبحة ؟ »

وهكذا . بعد تحرية دير سيد المناسبة الاولى ، ارسل الفوج التاسع
ان اسدود في اسهل الساحل قرب المجدية . وهم جمال عبد الناصر ،
وعبد الحكيم عامر ان القيادة العليا المصرية تقوم « بحرب سياسية »
وهنا فيها ان تختار اكثر ما يمكن من مواقع ، دون ان تحترق
قد يراعى ذلك من اختيار نصيب الجنود الذين اطلقوا في اتجاه تل ب .
واستعمرات المسيحية المتحصنين داخل الاراضي . الامر الذي جعل خطوط
المواصلات للحيش المصري ضيقة ودقيقة ، مع العلم بان الافواج الاربعة
لا تكفي لاحتلال الاراضي المحتلة وحماية نفسها ، ولم يكن لدى القيادة
العامية الشمة في عرة احتياطي آلي يتيح لها ان تبادر هي الى فتح عمليات
حربية ضد المواقع الاسرائيلية . ومع ذلك ، من اجل تأمين الاتصال
بين المنطقتين العرب العالمين في منطقة حبرون وبيت لحم ، تنفث الفوج
الاول الاوامر بالزحف على عراق سويدان واماالوجه ، وبيت حبرون
واحتلالها . وذلك اصبح على الوحدة التي التحق بها زكريا محيي الدين
ان تؤمن الاتصال بقوات التحرير التي يقودها الزعيم احمد عبد العزيز
والنقيب كمال الدين حسين .

وما كاد الفوج السابع يصل الى عزة ، حتى نقل الفوج السادس ان
اسدود ، حيث أمضى جمال عبد الناصر ليلته في احد بساتين اليعول
مع عبد الحكيم عامر الذي كان يتنعم بالاسلوكي أحبار سير المعركة
الدائرة حول احتلال المعسكر البريطاني سابقاً في بيتسليم .

تقدم النقيب محمود خليفه ، احد اعضاء منظمة الضباط الاحرار ، كمندوبي
ليقود المهاجرين وفي اعد عم ان العمدة تمت بسجاح ، ولكن حياة
محمود حبيبه كانت ثمناً لها فقد استشهد النقيب في ساحة الشرف بينما
أصيب عبد الحكيم عامر نفسه بشظية قتيلا .

ان مذكرات الرئيس جمال عبد الناصر تعطينا وجهة نظر معينة عن
العمليات الحربية من حاضره ومنحه بوحدة متانة معينة انها لا
تعطي صورة عامة لحرب فلسطين وكى يدرك اهميتها كمستند ، يجب
ان نرى صورا على ارضها كل من محند الطوش المشاركة في الحرب .
كما ان يجب ان نرى صورا عن حالات مجلس الامن التابع لهيئة الامم
المتحدة ، والوسيط الذي اختاره المجلس .

هدنة تنقذ ١٢٥ ألف يهودي

بينما كان اليهود والضباط يقاتلون بكل ما أوتوا من قوة ، كانت
المفاوضات مستمرة في هيئة الامم وقد استطاع مجلس الامن الدولي ان
يحصل على موافقة الدول العربية واسرائيل معاً بشأن هدنة شهر بدأت
في الحادي عشر من حزيران سنة ١٩٤٨ ، ووصل الكونت برنادوت
الى فلسطين ، على رأس خمسة وعشرين مراقباً امريكياً ، وفرنسياً ،
وبلجيكياً ، وسويدياً . انتشروا في أنحاء فلسطين لمراقبة وقف العمليات
العسكرية .

وقد أفادت الهدنة ، بصورة خاصة ، المئة وخمسة وعشرين ألف
يهودي المحاصرين في القدس من قبل الاردنيين من الشرق ، وجيش
الانقاذ الذي كان يقوده اللواء فوزي القاوقجي ، والعراقيين من الشمال

والعرب ، ومن قبل المصريين من الجنوب . وكانت خزانات الطرون
ومصحاتها التي تمزق ، لاجلاء ايهودية من القدس بدءا من ايدي القوات
العربية . وسقوط القدس اعطى والجمعة لم يكن إلا مائة يوم .
فادا بوقف اطلاق النار يتبع للاسرائيليين ان يترودا بانزوة الارمة ،
وبعيدوا اصلاح مصحات المياه في الطرون ، وكذلك أفادت الخدمة
الاسرائيليين لأهم استغلوا وقت اطلاق النار لاجلاء تنظيم صفوفهم
واحتلال القرى العربية العزلاء .

أما الهدنة فبأسس لحيوش العربية فقد كانت فترة راحة ، استعادت
أمنها بعد الحيرة الأولى مع اسرائيل . غير ان الحو الذي رافق
الهدنة أصعب الروح المصالحة والقياد العسكرية العربية لم
تسمع ان تدفق على مهاج واحد للعدل ضد العدو المشترك .

- وفي اسود كان الثقب حمال عند الماصر براتب المصحة المصرية ،
ولمضة في يسيطر عليها الاعداء من على سطح حراان المياه المشرف
على المنطقة .

وفي المنطقة التي يحتمها الجيش المصري كان الجنود يرتاحون ويتأقشون
في السباسة ، ويتصرفون كأن الهدنة منؤدي الى السلام .
أما من الجانب الاسرائيلي ، فكانوا يعملون ليل نهار ، ويتحصنون ،
ويتسللون الى اراض جديدة دون ضجة . في اليوم الاو من الهدنة
تقدم العدو واحتل العبد ، القرية العربية التي تكاد تكون في خطوطها ،
ثم احتل العدو دور ، ف ، القصبة ، و ، عسلوح ، و ، جولس ،
وجنوبي الثقب .

لم يكن في استطاعة الثقب حمال عند الماصر ان يرى جنوبي الثقب
من برج مراقبته في اسود . في مساء الهدنة الثانية المروضة في اليمن
عشر من تموز ، بصورة خاصة . عمدت القوات الاسرائيلية في الحراان

النقب . وكانت المعارك شديدة العنف خلال شهري تشرين الاول
وكانون الاول . ومن المؤكد ان الاسرائيليين ، منذ شهر حزيران ،
استغلوا وقف اطلاق النار لتحسين مواقعهم ، واحتلال مراكز جديدة
في النقب .

مناورات « ربيكي »

في صفوف المصريين كان الجنود يستمتعون بأخذة ، معتقدين ان
الحرب « السياسية » ستنتهي . « كما نعيش في أسود وكثنا في احدي
ثكنات القاهرة . تطلق الفهيمات من هنا وهناك تتحلقها الكلمات المبتذلة ؛
آنثى سأل النقيب عبدالناصر احمد الجنود فجأة : ماذا تفعل هنا ؟
وأحد الحمدي : « مناورات أوسم ! » قال النقيب : « أية مناورات ؟ »
فجاء الجواب : « مناورات ربيكي يا سيدي » .

ان ربيكي منطقة عسكرية واقعة على طريق القاهرة - السويس ،
اعتاد الجيش اجراء مناورات السنوية فيها . والحمدي في حمله كان يعتقد
انه يشترك في مناورات تقليدية داخل الاراضي المصرية ، ولم يدرك في
خفيه انه كان في حرب ضد عدو مخيف . لقد أضحكت هذه
الكلمة الضباط الشباب كثيراً . واما جمال فقد صغفه هذا الجهل والامبالاة
وكتب في مذكراته : « لقد بكيت عندئذ بكاء مرأ ، في مقر القيادة
العمة » . وانتج جمال بأنه ليس في ملاكات الجيش فحسب يجب ان
يخضع انقلاب حذري ؛ بل يجب ان يتناول التركيب السياسي للشعب
المصري أيضاً . ولذلك بذل النقيب جمال عبدالناصر منذ ذلك الحين
جهداً لا يرحل عناصر جديدة في منظمة الضباط الاحرار . وكان يتخذ
عنه هذا الحذر الشديد . ويتوحي فبال كل شيء الحصول على ثقة

هذه مع صابطين ورقبين . في سائيل الخولس والدوره ، فوجدوا
هنا عاقد العن الشهية التي تدورهم وأبقوا من ان وسائل الدفاع
صعبة في هذه المنطقة ، والا كان العدو قطع هذه عاقد المتدلية قبل
وصولهم . وعاد حمال الى المنطقة في اليوم التالي بصحة مقام الفوج
ورؤساء الكائنات ، ليعرف كل منهم محلياً ما هو الدور الذي عليه ان
يقوم به ساعة الهجوم .

وفي السادس من تموز تقرر ان يبدأ الهجوم في الثامن منه . وكان
المقيم عبد الماصر يتبعه انصاراً لأنه اعد العدة جيداً لهذا الهجوم . « كل
واحد من ضابطا كان يعلم ماذا يجب عليه ان يفعل وكما جميعاً على
أنهم الاستعداد وكما ننتظر فقط ان يحتل الفوج السابع الدور لبتوجه
الفوج السادس الى الخنادق » .

وفي السابع من تموز رقي المقيم حمال عبد الماصر الى رتبة « مقدم »
وكان يتفقد حمية وحماة وكان على يقين من ان هذه العمدة المعدة حسب
اصول الفن الحربي في حال نجاحها سترفع معويات الفوج ، وتعمله
يقنع بأنه متفوق على العدو .

نار حمراء عوضاً عن نار خضراء

ولسوء الحظ ، وقع خطأ ، قاب رأساً على عقب كل ما درسه
اضباط الشباب من مبادئ استراتيجية في الكلية الحربية وكل ما
اعدوه بلهفة لتنفيذه عملياً في حملتهم على العدو . « كان على مفرزة
سودانية . ان تهاجم « دوره » اثناء الليل وتستولي عليها بعد
الحوم المناجيه . وفي حالة نجاح المهمة ، كان على المفرزة ان تشعل
ناراً خضراء تجعل الفوج السابع يتقدم لمساندتها وشده أزرها . واما في
حالة الفشل فكان عليها ان تشعل ناراً حمراء وتبتعد عن المكان لتتبع

السوداء

للدعم مر کرنا ۔

الهدنة بناء على قرار اتخذته مجلس الأمن في ٢٩ نيسان ١٩٤٨ ، كانت قد اضعفت روح العمل عند القوات المصرية . اما الاسرائيليون الذين جازوا في فلسطين لاثارتهم وكرمتهم كدنا في خطر من حياة النشرد وكروا عن مستعمراتهم لاثامهم قررروا ان يوجدوا مكاناً لهم يعيشون فيه واو كدتهم ذلك حياتهم ، يمكن الحدود

المصريين الصاعين بعيداً عن مستط رؤوسهم الذين كانوا يخطون بين
الحرب ومداورات رسيكي . وكان يمكن ان تكون احاة غير ذلك لو
ان الجدي المصري كان يشارب في وادي النيل ، في الدلاء او الصعيد ،
دفاعاً عن أرضه وبيته وعائلته .

ان مذكرات الرئيس جمال عبد الناصر تؤكد البلية التي كانت تهيم
على الجلود والصباط المصريين .

في التاسع من تموز ، عداة المحوم المشل ، كان المتقدم جمال عبد
الناصر ورملاؤه يتناولون طعام السطور في مطعم الموج السادس ، عندما
حاء ساعي البريد العسكري يسلمه امراً محترماً ينص على ان يترك الموج
السادس مكانه للموج الخامس القادم من عرة ، ليهاجم عدداً في التاسع
من تموز قرية الجولس ..

لم يكن في هذا الأمر شيء غريب سوى وصوله الى الموج السادس
متأخراً يوماً واحداً . ولم يكن ذلك الا تأكيداً لمخطط العمليات التي
انقطعت ، في الأمس ، على أثر اخطأ الذي ارتكبه الجدي اسوداي
في اعطاء الاشارة . والخادق اني كان يجب ان يحتد بها الموج السادس
عندما يكون الموج السابع قد احتل دوره ، هي بدون شك خادق
الجولس ، والا فمصر عمل الوحدة التي يتوددها جمال عبد الناصر
على احتلال اقرية المأخوذة على حين غرة في الليل على يد مفررة
سودانية يساندها الطابور السابع بأكمله . وكان يبدو مطمئناً ان يكون
عمل الموج السادس ، في الهجوم العام المقرر في القيادة العليا ، موجهاً
ضد قرية جولس المجاورة التي تشرف على بيت دوره .

ومع ذلك كتب جمال عبد الناصر : « لقد ثارت ثائرتي ، ولأول
مره في حياتي ، رحت احتج في ساحة القتال على امر صدر عن
رؤسائي - والضباط الآخرون كانوا ايضاً فريسة لشعور مماثل - لقد
وحدا انفسنا فجأة امام عمية لم نكن نتظرها ولم يقبل لنا احد شيئاً عن

موقع جولس ، ولا عن القوات العدو التي كانت تدافع عنها ، ولا
عن القوات المصرية التي كانت تحاصرها .

معركة سيئة القيادة

لم يكن قائد الفوج السادس ، الذي تلقى بعد ظهر التاسع من تموز
امراً بترحول الأسبلاء عداء على قرية الجولس ، يعتقد انه قادر على تنفيذ
الامر مباشرة ومع ذلك استخدم الـ ثلاث الساعات النائية حتى العروب
للذهاب ولتعرف الى مراكز العدو وهو لم يكن يريد ان يخاطر في
وشن حديد ولم يكن على استعداد لاعادة تجربة دبقور المريرة التي كانت
اول لقاء بين الفوج والاعداء ، هذا اللقاء الذي ترك في محبلة الجلود
ذكرى مؤلمة .

تقدم المقدم عبد الناصر وزملاؤه في طلال الاشجار الى مسافة
كياومتر فقط من الجولس ثم عادوا الى المعسكر عندما بدأ العدو يطلق
قنانه في اتجاههم اد شعر بقدمهم نحو مراكزه .

وبعد عودته الى المقر انعم في الليل ، راح المقدم يعد الخطة
لعمليات العدو الحربية واقترح القيام بشبه هجوم من البساتين حيث لا
بدء العدو الذي تعرف الى الضباط المكشافة من ان ينصب شركاً ، بينما
يتم الهجوم الرئيسي من الخلف بعد ان يتم التسلل عبر حقول الذرة .
ولكن خلافاً وقع بين ضابط الاركان العامة وقائد الفوج الذي راح
يسحر ويسمى «طريبات الكلية الحربية» . وبينما كان جمال عبد الناصر من
انصار برنامج محدد ، يعين مسبقاً دور المدعية وطيران ، كان القائد
يود ان يحتفظ لنفسه بقيادة هذين السلاحين الذين سيُعطي لهما اوامره
الهائية «عندما يرى ذلك مفيداً» .

بدأت المعركة في امجر . وكان القائد وضابط الاركان العامة

يراقبها من على برجها وهو خزان مياه اسدود على لارجح ومحاذاة حيد
المعركة انجاسها غير مستحب ان لم يكن متلفاً فاذا باقائد يشرر .
لدهب ونرى ماذا حلَّ بخودنا الذير بخاريون اسمل نلة .

حاول المقدم جمال عبد الناصر ان يفهم رئيسه بان دور القائد ليس
في قذف نفسه في خضم المعركة ، بل ادارة مختلف العمليات واتقاء
الاتصال مع كل الوحدات المتألفة غير ان رئيسه لطيفة قلبه لم يصنع
اليه بل توجه مع نائه نحو ميدان القتال وما كادت مبارتهما تتحرك
حتى غررت في الوحل فاكتملا طريقهما على الاقدام واقتربا من المشاة
اسدعين بشجاعة نحو مراكر الاعداء . ورأى القائد حدوده يخترقون تحت
نيران العدو ، بعضهم صرعى وبعضهم جرحى فبدأ برغى ويزيد كالثور
الهائج قائلاً : « جنودنا يموتون » .

وكان هناك بطارية من اربعة مدافع تنظر الاوامر لتبدأ باطلاق
النار . فامرها القائد بان تقترب جهد المستطاع من الجولس ، بين حقول
الذرة لتقصف المركز بمجرد ان يصح تحت مرمى قبايها . وكثف
جمال عبد الناصر بمرافقة البطارية ، مع ان مكانه يجب ان يكون المقر
العام حيث لم يبق احد للسهر على حسن تنفيذ المخطط الموضوع للعمليات .
ثار المقدم الشاب ولم يرد ان يظهر جباناً تنقصه الشجاعة . فرافق البطارية ،
واعطاها تعليمات البدء في عمليات القصف ثم عاد على جناح السرعة الى
المقر العام حيث وجد الرسائل القادمة من الجهة ، التي لم يرد احد
عليها . في الاولى يقول المرسل : « لقد وصلنا الى الهدف » ، وفي
الثانية يطلب : « ارسلاوا لنا ذخائر » ، بينما يطلب في الثالثة حملات
لنقل الجرحى . حاول جمال ان يعيد الاتصال بين الوحدات المتألفة ،
ولكنه علم بان قائد الفوج كان قد اعطى امره بالتراجع ، دون ان يعلم
بذلك كل المفارز العاملة تحت امرته : امضى جمال ليلة محيمة ، يقص
مضجعه خبر موت الضابط الذي رافقه في حويلته الاستكشافية بين سائى

بيت دوره ويُقلقه فتدان ثقة الفوج في رؤسائه .
في صبيحة الحادى عشر من تموز ، جاءت رسالة من القيادة العامة
في عره تأمر قائد الفوج بان يولى القيادة الى مساعدته ويعود فوراً الى
القاهرة . ثم جاءت رسالة ثانية تقول : « يؤمر الفوج السادس بحرب
احتلال الجولس اليوم » .

كان جمال عبد الناصر مقتنعاً تمام الاقتناع بان العدالة مستحقة .
فالجود في حاة انهار رهبة جعلتهم غير قادرين على تنفيذ هذا الامر .
لذلك توجه القائد المساعد مع صابط اركانه الى مقر القيادة العامة في
عره . وهناك وحدوا في مكتب سلاح الطيران ، مجموعة ثمينة من صور
موقع الجولس كان المسؤولون قد اهملوا ارساها اليهم . وهذه الصور
تظهر ان هناك مركزاً للاعداء على رأس التلة يشرف على القرية الواقعة
في المنحدر . واحتلال الجولس دون السيطرة على هذا المركز المشرف
عليها معناه وضع القوات المصرية تحت رحمة الاعداء وعلى مرمى من
فيرانهم . فنار التقدم جمال عبد الناصر ضد ضباط الاركان العامة الذين
القائمين مرفهين وراء مكاتبهم في مقاعدهم المريحة ، لا يخبرهم اي
اهتمام بامر الجنود المحاربين في الحنادق ، ولا بالصعوبات التي تسببها
لهم اوامر متناقضة ١٩

المقدم عبد الناصر يصاب في صدره

ومهما يكن من امر فان الواجب يقضي بالاستيلاء على الجولس . وهذا
الاحتلال ينبغي ان ينفذ لبفصل عن القبة مجموعة من المستعمرات
اليهودية المحصنة . والهجوم موجه ايضاً ضد القبة حيث الاسرائيليون
على متفرق طرق هام . رافق جمال عبد الناصر في سيارته الضابط المكلف
بالمهمة واثاء الطريق دوت طمبات نارية من حقل ذرة محاور . وشعر

جمال بشيء في صدره واذا بالدم يسيل بغزارة وعن ذلك يقول في
مذكراته : « لقد اصابني رصاصة في صدري ، وبدا لي انها استقرت
قرب القلب . وحاولت ان اوقف النزيف بمديلي ، بينما انتابني شعور
عريب لم كن اشعر باي خوف او حزن . وانما كنت معذوراً بالاسف ،
وارنسم امام ناظري السؤال الرهيب : « ترى هل هذه هي النهاية ؟ »
كم جمال يفكر في طفليه هدى ومنى ، وفي كل اسرته . وبينما كانت
السيارة تسرع نحو مستشفى المجدل ، تذكر عبد الناصر طفولته وفتوته ،
والاولاد يلعبون في البيت ، وتذكر الضباط الاحرار الذين اقساموا
على تحرير وطنهم ، وتذكر ايضاً المصاحات المؤلمة في حرب
فلسطين ، كما تراءت له شجاعة الجود والضباط في الجبهة على الرغم
من الصعوبات .

وفي مستشفى المجدل كشف عليه الطبيب . وكان الدم يسيل بغزارة
ومع ذلك لم تكن ابة رصاصة قد دخلت الى صدر المقدم . وبطهر ان
القذيفة اصابت السيارة المصفحة ففتت العلاف الدولادي المكمل المحيط
بالرصااص ، واصابت شظية منه صدر جمال فاسالت منه هذه الدماء .
تمدد المقدم على طاولة العمليات فاستخرج الجراح من صدره شظيتين
من النيكل . وحمد جمال الله الذي قد انقذه . (٢٢١)

في مستشفى المجدل لاحظ جمال مرة اخرى سوء التنظيم في الخدمات .
اذ طلب ان يقدم اليه الطعام فقبل له يجب ان يأتبك طعامك من الوج
الذي انت ملحق به . وكان هذا الطابور المسكين في ذلك الوقت يعاني
في الجبهة الامرين ويطلب عبثاً ان ترسل اليه المؤونة والذخيرة من
قيادة عامة لا ترى ولا تسمع . وحتى يحصل جمال على طعام له ذهب
احد الجسود الى سوق المجدل واشترى للجريح ثلاث نطع من اللحم
المذوي وعقوداً من العنب .

صايط يكره الحرب

لم يمض طويل وقت، حتى بدأ الجرحى المصابون أثناء عملية الهجوم على القف، يعدون بالعشرات على مستشفى المجدل. وكان المقدم حـ. عبد الناصر الذي انهكه الريف وحطته الصدمة العصبية، في حاجة الى قيل من الراحة. ولكن الحالة كانت نحيفة حوله وهو يصف ذلك فيقول: «ان ثياب كل هؤلاء الجنود كانت ماطحة بالدماء، وكنت تسمع الرورات والأبن الذي كان يبذل الجرحى جهدهم لاختفائه مستعملين كل ما لديهم من شجاعة. وقد اصيب احد رفاق السلاح من تلاميذي في الكلية الحربية بصدمة عصبية. وصار يهذي بصورة لاشعورية. وما رلت اذكر اليوم الذي جاء فيه بثيابه المدنية الى الكلية الحربية. لقد حاولنا ان نخلق معه رجلاً عسكرياً. وما هو ذا المصير الذي اعدناه له. لقد أمضيت ليلة بيضاء، لم يغمض لي فيها حفن. كنت افكر في الحرب نفسها. في الحرب التي أمقتها، ليس بالتحديد الحرب التي كنا نعيشها، بل الحرب بصورة عامة، اي حرب. وكنت اقول في نفسي ان الانسانية لا تستحق الحياة والبقاء اذا كانت لا تبذل قواها جميعاً من اجل السلام.

وجاء صديق، تبادل معه المقدم الجريح بعض الأحاديث ثم افترقا وبعد لحظات رن جرس التلفون ليعلن ان الصديق الذي خرج منذ لحظة قد قتل بقنبلة.

لقد بذل المقدم جمال آنذ جهداً كبيراً لضبط مشاعره لأن الانسياق وراء المتاعر ليس من شيم الحمدي. وما كان منه الا ان اعلم الجهاز المحتصر باحراء عملية الدفن. وتعقياً على ذلك كتب جمال «لقد عاهدت نفسي منذ ذلك الحين، فيما اذا صرت يوماً مسؤولاً ان افكر الف مرة قبل ان ادفع جيشنا الى هاوية الحرب. ولن افعل ذلك الا عند

« ضرورة انقصوى ، يوم يكون الوطن مهدداً بالخطر ولا سبيل الى دفع
الخطر عنه الا بالحرب » .

لقد وصل الى المستشفى قائد الفوج السادس ، وزار المقدم لدى
الاجارة يوم بعد الانهالك الذي لحقه به النزيف الدموي والصدمة
العصبية وقد سأله جمال عما حل بالقوات الكشافة التي كان قد رافقها
صباح امس الى مفترق الطرق المؤدي الى النقب ومجموعة المستعمرات
اليهودية .. فأجاب القائد ان العدو قد هاجمها اثناء ايل ، فدافعت عن
نفسها بالحراب والقنابل اليدوية ، واضطر العدو الى الانسحاب فيما تمركز
حنودا في الخنادق .. ثم سأل جمال : « ومادا حل بالهجوم الرئيسي
على النقب ؟ » فكان الجواب :

« لقد فشل . ان الفوج التاسع لم يُشارك في القتال سوى مشاة فقط .
وكان قائده يرسل جنوده على دفعات متتالية طعاماً ليران لعدو . وهكذا
قصى اكثر من النصف . وانتهى الأمر بهذا القائد الى وقف المعركة
واعطاء الأوامر بالتقهقر الى مراكزنا الاولى . وهل كان من الممكن ان
يسجح هجوم على مستعمرات محصنة بدون دبابات ؟ !
كان المقدم الجريح يود ان يعلم ، في هذه الحالة ، ماذا حل بالمررة
التي تمركزت عند مفترق الطرق . هل انسحبت من مراكزها ؟
اجاب المقدم !

— مع الأسف ، كلا !

خرج جمال عبد الناصر عندئذ عن طوره ، لعلمه بأن القوات العدو ،
وقد تخلصت من الهجوم الرئيسي ، لا بد ان تنقلب نحو فريق الكشافة
لتقضي عليه . قال القائد عندئذ بيأس :

— وماذا كنت تريدني ان افعل ؟ لقد اتصلت بالقيادة العامة طالباً

السماح لي باعطاء الأوامر لهذه المفزة بالانسحاب . فأجابني بأن هذا
تخرج عن نطاق صلاحياتها : وجواباً على ذلك صرخ جمال :

و ما لم تصل ذلك السلطة الاخرى ؟ قال القائد : « لقد فعلت ذلك ، ولكي نلقب الجواب ذاته » .

على الاثر ، قفز جمال عبد الناصر من سريره وسار مع انقائس الى الأركان حمة ، حيث ، حصل بعد الحاح شديد ، على الأمر بالانسحاب و الأمر بمساعدة المدفعية لاستاد المبررة المحاصرة من قتل الأعداء وقد أتاح القصد الشديد لراكر الأعداء ، وقابل الأعداء ، وقابل الدخان ، لمتبررة التي أظهرت من الخطوة ما لا يوصف ان تمحو وتلتحق بشرجها :

لم تكن هذه المعركة شريفة

كان جود اسوح السادس منهوكي القوي ، اذ انهم منذ حملة ايام وهم في المعركة لم بعض لهم حصص . كما وا في حاحة ماسه الى الراحة في معزل عن اربز الشابل فسير اليهم بأن يدخلوا معسكراً بريطانياً سابقاً مهجوراً ، قرب تلة نيتسليم .

دخل المتدم حان عبد الناصر وجنوده فرحين هذه الأبية التي فندت سفوفها وأبوابها ونوافدها . ولحسن الحظ كانت جدرانها عارلة واقية . ويقول حان : « بسطت امتعتي على الأرض في غرفة قديمة ونمت تحت سماء متلاشئة المحوم . ولكي لم انعم طويلاً بهذا المشهد الجميل » . ما كان الموح يحط رحاله حتى وصلت رسالة تطلب ارسال كتيبة لنجدة الموح الساسع الذي يحارب في أسدود . وهذه كتيبة اخرى يجب ان ترسل الى عراق سويدان . ثم هذه ثالثة طلبت على جناح السرعة للتوجه الى غزة ، حيث أصبحت القيادة العامة بدون حماية ، بعد ان اشركت كامل قواتها لفحص نظرها ، في معركة عامة ضد مستعمرة « بيرون أشك » .

فتارت نائرة المتدم عبد الناصر لالحافه ضابط اركان حرب في صدد

بدون جود ، بعد ان وزع جنوده على الامواح الاخرى . وفي ليل ١٧ - ١٨ تموز كان جمال في معسكر نيتسليم يصمى الى راديو القاهرة يعلن ان مجلس الامن الدولي قرر مرة ثانية وقف اطلاق النار ، في العدة الساعة الخامسة بعد الظهر ، وأدرك ان الاسرائيليين سيبدون كما حدث في الهدنة الاولى من وقف اطلاق النار لتثبيت اقدامهم ولاستيلاء على مراكز جديدة . وفي الخامس عشر من تموز ، بعد الساعة الخامسة شاهد ثلاث طائرات اسرائيلية تهاجم وتسف طائرة مصرية كانت عائدة بسلام الى قاعدتها . لم يكن ذلك معركة شرفية بل كانت جريمة . أمضى المتدم جمال عبد الناصر ليلته في ملجأ لا سقف له وفي رأسه فكرة واحدة لا تفارقه « ما دامت القاهرة والاركان اعمامة تعود بنا بهذه الصورة ، فس يُتاح لأي منا ان يقود معركة بشروط متكافئة للدفاع عن حياته والذود عن شرف وطنه .. سظل نقتل هكذا عن طريق الغدر والحيانة . »

هدنة دائمة الخرق

كتب جاك رينيه عن الهدنة الثانية التي فرضتها الامم المتحدة في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ ، يقول بأنها لم تكن مطلقاً موضع احترام : « استمرت المعارك في كل مكان ، ولكن على العموم ، في نطاق أصيق كأنها سرية . كان اليهود قد ربحوا ايضاً أراضي كثيرة ، فاحتلوا الجليل كله تقريباً .. وفي الجنوب أخذوا قسماً من الثقب وأصبحوا على البحر الميت يفصلون تقريباً بين المعسكرين في منطقة حبرون - بيت لحم وبين قاعدتهم في غزة .. وفي آب وايلول استمر الصمود اليهودي بدون اسراع . وهكذا اعصموا البلاد عن طريقين الحيلة والاسراع والهدنة . » اما ممثلو الامم المتحدة الذين باسع عددهم اربعة مرات فلم

يستطيعوا شيئاً . وهؤلاء المساكين الذين يسحبون السيف والرمح
كانوا محرومين من السلاح والاتصالية القنوية معينة . فهم مثلاً لم
يُحصروا مطلقاً على ادب من اليهود لدخول مرفأ ياف . ولا راحة
في كل مرة كان يجري فيها تفريع أسلحة أو إرب مهاجرين حدد .
كان عليهم ان ينتظروا ساعات . واحداً ايماً . قبل ان يسمح لهم
بالذهاب الى مكان المعركة . ولأنك الذين كانوا يتحاربون ضد
الحواجز . اني لم تذكر رسمياً مطلقاً . كانوا يفتنون . أو يشعرون في
قصة البوليس العربي الذي يعيدهم الى مراكزهم . نخبة المحاربة
على سلامتهم ..

وكان المقصود من معركة القبة احتلال المنطقة الجنوبية شبه
الصحراوية من فلسطين . وهي المنطقة التي بدع عنها المصريون .
بدأت هذه المعركة في الرابع من تشرين الاول سنة ١٩٤٨
وانتهت في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٩ . ومن المستحسن
تذكر بأنه كان هناك هدنة مفروضة . ولكن يظهر ان وجود هذه
الهدنة لم يلزم احداً . وفي كل مرة كان يحدد اليهود أهدافهم مقدومة
حسبة الاعداد فان ذلك كان أمراً غير عادي . لقد حرص المصريون
على احترام الهدنة بعد المعركة ، الأمر الذي سبب حزنهم . كما
يصدقون اليهود والامم المتحدة بأن كل شيء انتهى كما كانوا يدعون .
وان القضية ليست سوى تقويم حدود ، أو حادث ناتج عن سوء تفاهم
وكان المصريون يحاربون بكل امكانياتهم وطاقاتهم . على الرغم من
اهم في أكثر الاحيان كانوا يجدون طرق اتصالاتهم مع قواعدهم في
عرة ومصر مقطوعة . وحامية الفالوجة قاومت الحصار طيلة شهرين
من الرحف وخرحت من هذا الحصار مرفوعة الجبين ...
" ومن عريب حقاً الملاحظة انه خلال كل هذه المعركة جنوبية في
البحر الأبيض المتوسط . لا لارديون ولا العراقيون . "

المتطوعون ، ولا حتى السوديون ..

... لا بد من أن تكون هذه الحرب ، كما هي في مركز هويد
في مصر ... بوجهه مدوراً بحجة الدولة ... لا بد من أن تكون
... رئيس ... في مصر في مذكراته من هذه المرحلة الثانية
من حرب فلسطين

ما ورد ذكره في مذكرات عبد الناصر

... من ... من ذلك المستند ، وسبحث عن تأثيراته في
... شجاعة ... عبد الناصر وفي ... مذكراته

... لا بد من أن تكون ... في نشاط الوسيط الذي ...
... في ... في ... ١٩٤١ مشروع
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...

... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...

... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...
... في ... في ...

صيارته قرب عراق المنشية في ٢٣ آب سنة ١٩٤٨ ، وفي كتاب
« فلسفة الثورة » يذكر جمال عبد الناصر العبارة التي كان قد تموه بها
الوطي الكبير أمام كل الدين حين قبل موته : « لا اسمع يا كهل ،
ان ميدان الجهاد اذكرك هو في مصر . . . لن تنصر الشيوعية العربية هنا
في فلسطين إلا بعد انتصارها هناك » .

وفي مذكرات جمال عبد الناصر عن حرب فلسطين لا نجد أية كلمة
عن الدور الذي لعله في حرب فلسطين اثناء محمد نجيب الذي حارب
بشجاعة ، مما أدى ان حربه حرجاً دليماً . ويعرف ذلك جيداً مساعده
امدم عبد الحكيم عامر ، وفضل نصرته في المعركة وصفاته كمنصم
وفائد استطاع ان يثور على عظم الصراط الاحرار الذين جعاهوا وما بعد
رئيساً لهم .

في عام ١٩٥٥ كما لا نزل قريبين من أزمة سنة ١٩٥٤ التي
دت الى فرض الامة الجبرية على اللواء . ولعل إغتيال الرئيس جمال
عبد الناصر لذكر اللواء محمد نجيب في خطابه الموجه الى طلاب الكلية
العسكرية ناشئ عن ذلك . ونحن نذكر ان اللواء محمد نجيب ما كان
ينتخب رئيساً للجنة التنفيذية للاصباط الاحرار قبل الثورة ، حتى راح
يسعى بعد ان أصبح رئيساً لجمهورية افرض سياسة معاكسة لتلك التي
رسمها عبد الناصر ووافق عليها أكثرية رفاقه في مجلس الثورة .

وكذلك في مذكرات الرئيس جمال لا نذكر على أية اشارة عن
الشجاعة التي اظهرتها كقائد المطوعين المصريين في القتال . وأكثر
هؤلاء كما نعرف من الاخوان المسلمين . ولا يرد أيضاً ما يُشهر الى
مصرع القمراشي رئيس الوزارة المصرية بعد ثلاثة ايام فقط من اصدار
قرار حل جمعية الاخوان المسلمين في كانون الاول سنة ١٩٤٨ . ان
انور السادات نفسه قد وصفه بأنه انزه رجل دوة في العهد ابداند .
ان احداثاً كهذه كانت قد تركت ولا شئ انراً عميقاً في معويات

سأول
في
الاسم
الاسم
الاسم

أولئك الذين كانوا يحاربون في فلسطين . إن في صفوف الجيش أو
في صفوف المتطوعين .

ويبدو أن الرئيس جمال كان يركز في أسال مسار أسال على
أعمال بصره والأحوال المسالين الذين حاولت جمعيتهم أن تفتتة إرهابية
حاولت أن تقتله شخصياً في تشرين الأول سنة ١٩٥٤ .

ذلك لا يعني وإحالة هذه أن نبحث في مذكرات الرئيس جمال
عندما صر عن كل الحقيقة عن حزب فلسطين أنها عداً ما بقرة
حديثة عن العمليات العسكرية ونحتوي الأفكار التي رأى من أسس
بشها في موس الضباط أسال عام ١٩٥٥ في الوقت الذي كانت إسرائيل
تهدد من جديد جيشاً مصرياً قد أعيد تنظيمه على أسس جديدة ورئيس
جيش عند ناصر كان يعلم بأن الأسلحة كانت غير كافية ولكنه لم
يسر ذلك ، ولم يعترف به إلا في الحريف عندما كانت قد تمت صفة
الأسلحة التشيكية فعدلت الموقف .

وفي حرران سنة ١٩٥٥ تلت مصر من بريطانية صفة من الأسلحة
قد أوصت عليها الحكومة الولدية عام ١٩٥١ ، ونصم بعض بيانات
(ستوريون) ، ولكن هذه الصفة كانت ضمنية غير كافية . إن الرئيس
جمال عند ناصر كما ذكر دسموند سنيوارت كان شخصياً في بدء
الثورة من معارضي فكرة أحداث جيش مصري كبير باهظ تكاليف ،
الامر الذي كان يصر عليه بعض زملائه من الضباط الأحرار .

وقد أوضح الرأي نفسه الصحفي البريطاني توم ليتل الذي يروي أنه
في تشرين الأول سنة ١٩٥٤ في المؤتمر الصحفي الذي عقب توقيع
الاتفاق البريطاني - المصري الخاص بالجللاء عن قناة السويس سمع أحد
الصحفيين المصريين المتحمسين يسأل فيما إذا كان هذا الاتفاق سيتمحض
عن خلق جيش مصري قوي في قاعدة القنا .
وقد أحال الرئيس هذا السؤال إلى أسال لأسال لقواته المسلحة

سواء عند الحكيم عمر الذي اجاب بان توسيع الجيش المصري يجب
نمذته ضرورة تطوير مصر اجتماعياً واقتصادياً .

وبعد عشرة اشهر من ذلك التاريخ كانت الحكومة المصرية تحاول
مهماً كبيراً من صادرات ابلاد لدفع ثمن الاسلحة التتبيكية التي اشترتها
في اثناء ذلك كان خطر اسرائيل قد تعاظم . وكان عدواً على
عرة في ١٨ شباط سنة ١٩٥٥ قد فتح عين الرئيس جمال عبد الناصر
على الحقيقة .

من هذه ليات نخذ من الاهمية التاريخية لما بشره الرئيس جمال
عبد الناصر ، وما ان يشار الى هذا الحد حتى تصبح مذكراته حراً
لمعلومات صادقة تمام الصديق وافكار تقدم افضل الشروح لتطور حرية
الضباط الاحرار .

اجارة في القاهرة وعودة الى الجبهة

بعد اشدنة الثانية امروضة في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ أصبحت الحرب
السياسية حرباً عنيفة بدأت تتلاشى بسببها غريزة القتال لدى المحاربين
المصريين ، اذ كان الجنود والضباط لا يعلمون لماذا جاءوا الى فلسطين
وبعد ان تعب اموح السادس في خرائب معسكر فيتسالييم المهجور قصد
المقدم جمال عبد الناصر ورفاقه المدن المجاورة كعزة والمجدل . وهناك
وجدوا اصدقاءهم . وفي المساء ، تحت سماء متألثة النجوم . كان احد
حدود لفوح ، وهو بائع ثلح سابق ينغم نشودات قروية تضم نار
الحب الى الوطن في نفوس المحاربين البعيدين عن ديارهم .

آنذاك حصل المقدم على اجارة اربعة ايام ، ولدى عودته وجد
لدهره كما هي تحتفظ بطابعها اليومي الخاص ، الذي لا مكان لحرب فلسطين
فيه ، وفي الاركان العامة أعلن وصول أسلحة جديدة . ولكن

الثاب لم يصدقهم :

في القاهرة فهي جمال عبد الناصر من جديد صديقه عبد الحكيم عامر
سبي الشهب حرج في يده ، كما قابل قائد الحجاج حسن ابراهيم ، حد
الضباط الأحرار الذي كانت مهمته تحويل الصائرات المصرية المدنية الى
طائرات حربية .

والخبر بالذكر ان جمال عبد الناصر امضى صبيحة آخر يوم من
احارته في حديقة الحيوان حيث اخذ ابنته الصغرى مي التي لم يسرها
مطلقاً وسيدكرها كثيراً في عراق المسية عندما سيصادف فوق الأشلال
المحطمة بعض أطلال اللاحقين الذين سقطوا في رائن الحصار بعد ان
دمرت بيوتهم وضاع كل ما يملكون . وعن ذلك كتب يقول « لقد
رأيت بينهم طفلة صغيرة ، كانت في عمر ابني مي ، وكنت اراها
وقد خرجت الى الخطر وارصاص الطائش مدفوعة امام سبط الجوع
والبرد تبحث عن لقمة عيش او خارقة قماش .

« وكنت دائماً اردد في نفسي ، قد يحدث هذا لابني »

بسبب الحياء الصعدي لم يتحدث جمال عبد الناصر مطلقاً عن روحه
الأمية اصور تحية كاطم ، التي كانت الشريكة القعبيية في الطوم
وتورات التي كان يقودها زوجها الضابط الوطني ، بل يتحدث من
حين لآخر عن ابنائه الذين كان ينسى بالقرب منهم سحطه على الكار
ومعركته ضد عالم ظالم قاسد :

وبعد العودة الى الجبهة وجد المقدم جمال عبد الناصر من جديد
« السلام في الحرب والحرب في السلام » ويقول : « كما رجالاً
رابضين في الخنادق فريسة لقلق اشد خطراً من العدو الذي كما نحاربه »
في اواخر شهر آب سنة ١٩٤٨ كما ذكرت سابقاً قتل الرعيم احمد
عبد العزيز قائد الفدائيين المصريين في فلسطين وكان الى جانبه المقدم
صلاح سالم ، وقد سبب مقتله حزناً شديداً في نفوس الضباط الأحرار

١٠ الذين كانوا في أكثرهم تلاميذ له في الكلية الحربية :
 وفي التاسع من ايلول عند مؤتمر الأركان العامة ، وحصل الفوج
 السادس من بنسليم الى المنطقة المحاذرة لرافى المدينة وبنت حديد .
 وكان عليه ان يؤمن الاصلح بين القوات المصرية المعسكرة في بيت لحم
 وجبرون ، وتلك التي تعسكر في المنطقة الساحلية بين المجدل وعرة .
 مع العلم ان عراق المشية التي يختارها الطريق الرئيسي بين حبرون ،
 المجدل ، عرة ، تعد مسافة كيلومترين عن مركز المواجهة المحصنة
 الذي يحميها . وبين عراق المشية والمجدل متفرق طرق هام يسيطر عليه
 مركز عراق سويدان حيث اقام الفوج التاسع بطارية قوية من المدافع .
 في ايلول كانت عرق المشية لا تزال قرية مردحمة يسكنها الأرمن
 واللاجئين اليها من القرى العربية المحاذرة ، والمستعمرات اليهودية تحيط
 بالقرية من كل الجهات وعلى مسافة كيلومترين الى الشمال تقع مستعمرة
 « حات » والى الجنوب مستعمرات « رحات » و « جاماما » وغيرها
 وبعض القرى العربية كانت لا تزال قائمة في المنطقة التي ينبغي الدفاع
 عنها والتي يبلغ طولها نحواً من ثلاثين كيلو متراً تقريباً . وقد لاحظ
 المقدم جمال عبد الناصر ان قواته ، اذا ما نشرت على طول هذا الخط
 الدفاعي فانه سيعوزها الوحدات السريعة الحركة اللازمة لتسلم المبادرة في
 العمليات :

ومع ذلك بدأت هذه المرحلة الجديدة من النشاط .. في نطاق الهدنة
 بانتصار .

أثناء اعلم الحاكم المصري لبيت جبرين المقدم جمال عبد الناصر بأن
 العدو احتل قرية حررة الماعز ، وبدأ يحفر الخنادق ويحصد مراكزه
 الحديد . وأضاف الحاكم انه استعداداً للطوارئ قد عيّن محبياً بعض
 المتطوعين ليس راحوا يقتلون بال العدو وهم في حاجة الى مساعدة .

من الطرب الى الخوف

ان احتلال قوات الاسر ثبلية في فترة وقف حلاق اسار غريسة عربية ونحويها ان قاعدة عسكرية ، هو لا ريب حرق وفتح بشروط افدية ، فقد قدمت الاحتجاجات . ولكن الاحتجاج لا يؤدي الى شيء . بسن ما ان اعلم المتقدم الأركان العامة بما حدث حتى امرته بوجوب طرد العدو من خربة الماعز .

فترك بيت حربين على رأس كتبة من سبعين جندياً بعد ان كان قد ارسل الى القرية عن طريق اخرى سياحين مصمحين ، وبصيرتين من « البيكرز » وست شاحنات وكان ان هرب العدو ودخل المشاة المصربون القرية ، دون ان يتكبدوا اية خسائر ، بينما ترك العدو وراءه عدداً من القتلى .

وكتب اسد جمال عبد الناصر بصف حماسه العائدين من جنوده الى عراقي استية بعد تسليمهم حرية الماعز الى المتطوعين العرب . « بالطبع كان الخط الى جاسا ، وقد عدنا في الليل وكان جنودا يغمرون من المرح ، وكنت معواتهم عالية جداً ، والطريق كانت حميلة ، وعلى ارفع من السلام لا اعتقد اني رأيت في حياتي مشهداً امي وأحمل . ولكن هذه العبطة كانت قصيرة المدى ، فقد عاد العدو بعد يومين وأصل المتطوعين العرب نارا حامية عنيفة اجبرتهم على الاسحاب من القرية . وأمرت الأركان العامة الموح السادس بوجوب استعادة القرية ، ثم ألقي هذا الأمر ، وأخيراً كنف بهذه المهمة الدوح الأول الذي يقوده زكريا محيي الدين .

انصل المقدم جمال عبد الناصر بصديقه زكريا محيي الدين وعرض عليه ان يسهم مع جنوده في العملية لأهم يعرفون المنطقة جيداً ، وعن ذلك يقول جمال في مذكراته : « .. عندما وصانا الى مصف طريق خربة الماعز رأينا انه من الأفضل تأجيل المحرم المعاكس الى فجر الغد . وأمضى الصديقان ليلتهما في المراة يتحدثان عن العدو وعن القيادة العليا

و ما من ثمرة و في حجر بدأ الهجوم وفتحت شحات عروج
السادس حائط و و وصلت مساحة امته ركب المقدم جمال عبد
ناصر في احدى الشحات وفتح في حرية الماعز و عن ذلك يقول
« كانت ار حبيبة تصلي ، والعدو الغاضب كان يقصف قرية
بكل مدفعيته ، ولأول مرة في حياتي ، اعترف بأنني شعرت بالخوف ،
كان رأسي يذق كالطبل ، وكنت افكر في عائلي في القاهرة ، كنت
لا ادري ما الذي انتابني . ولحسن الحظ زالت هذه الحالة النفسية القلقة
بعد ثلاث ردت سمعت بعدها رشدي ونمرسي شعور اللامبالاة الذي
هو افضل سند للمحارب » .

« كنت اشترك بصورة غير رسمية في هذا الهجوم . ولم يبق
امامي الآن سوى الاستحباب . وهذا ما فعله بدلاً من ان يتابع طريقه
الى حرية الماعز وفي الطريق صارف زكريا محي الدين متجهاً الى المركز
الذي تلقى الامر بوجوب احتلاله .

وقد انتظر زكريا محي الدين بعد اطلاعه على خبر استعادة العدو
لحرية الماعز الاوامر الجديدة ، وطال انتظاره ثلاثة ايام استطاع العدو
خلالها ان يحول القرية الى حصن حصين .

كان في استطاعة الرئيس جمال عبد ناصر ان يعمل ذكر الحروف في
اصابه وهو في طريقه الى خربة الماعز ، وكان في امكانه ان لا يقول
بأنه اكتمى بعد عرضه على زكريا محي الدين تعاونه معه لاحتلال القرية ،
بأن يرسل الى الجهة مفرزة من الشاحنات ، كما كان في امكانه ان لا
يدكر بأن زكريا محي الدين وقد تنقّى امراً باحتلال القرية على رأس
العوج الاول ، عوضاً عن ان يبدأ هجومه ، انتظر ثلاثة ايام لتأكيد
الامر عندما علم بأن اليهود اصبحوا فيها .

واذا كانت هذه التفاصيل قد اعطيت لنا ، فذلك لان جمال عبد
ناصر يروي الحقائق كما حصلت موقفاً ان العسكريين ليسوا ابطالاً
في كل الايام ، وانه يفكر مرتين قبل ان يخاطر بحياته ، ويعرض نفسه

لقنابل العدو من اجل احتلال قرية في فلسطين ، قد تقرر القيادة
بالانسحاب منها غداً ، او ترى الاسم المتحدة استطاء لها او ذلك من
امريقتى بعد غد ، ان الجندي المصري شجاع ولكنه في حالة لا شعور
بمسة صدوره ، وبحسن قيادته العليا وضيقها بالعدو ، ويجب ان يعلم
الجندي وصابط للماد ولاحد من يقاتل ، كان الجيش المصري آتت
في حالة هدية ، وحارج حدوده ، كان يرد بعنف عندما يهاجمه
العدو ، ويحاول ان يتسرع عليه خطوط مواصلاته ، ونحن نعلم
والحدود كانوا قد وطدوا الحرم على ان لا يرموا منهم في الآتون ،
وبعرضوا صدورهم لقنابل الاعداء من اجل احتلال موقع مشحون
في قائمته

واخيراً يجب ان نتذكر بأن المروح التاسع كان قد مر من تحت
في سنة حرب فلسطين وذلك عندما دفع في العشرين من شهر
دير سيند المحصنة قبل اعداء المدفعية ودون حاية متصدات ، و
الحية ان بقي مائة امصريون منهم في موحات متصدات اعداء حدود
العدو المدعية وهدوا حوماً سائماً لبراب رشدت صهيان ودرهم
لقد ساعدوا في نهاية ان يحتلوا الموقع ولكن الحية كان
والذين بقوا على قيد الحياة بعد هذه شحنة المبررة ان شتموا على
اعادة تجربة دير سيند التي لا تنسى .

دحر العدو امام عراق المشية

على الرغم من شدة ، حاوات القوات الاسرائيلية حديدة ، قطع
الاشغال بين عراق المشية وبيت جبرين ، واستطاعت ان تحل موقعا
على طريق واصرفت الى قامة خطوط دفاعية فيه واحصاه روات
شائكة ، فتمت عدم حال مرأ بضرورة مع العدو من قطع الطريق
الرئيسية بين حبرون وغزه ، وفي احدى عشر من تشرين الاول بعد

جاء بعد اصرار ١٦

الساعة الثالثة صباحاً كان واقفاً يراجع لآخر مرة اعداداته للهجوم ، اي
سينم عند الساعة الخامسة صباحاً لاستعادة ذلك الموقع من العدو . كان
كل شيء هادئاً في الجوار ، ومستعمرة « حات » اليهودية بدأت
كلاموات ، انها كانت تغط في نوم عميق .

وقبل ان تدق الساعة الخامسة ساعة الصهر تشرق السكون بصورة
رهبة ، فقد صب العدو بيرانه على عراق المنشية .

ان الاسرائيليين لم يكتفوا بارسال قواتهم لقطع المواصلات بين المصريين
بل بدأوا على الرغم من وقف اصلاق النار الذي ترضه الامم المتحدة ،
قصف قرية عربية بمخيلها الجيش المصري وبقم فيها قسم من اهلها وعدد
من اللاجئين البائسين .

وحمل الاسرائيليون بداية لهجومهم يوم عيد الفطر معتقدين ان القوات
المصرية في ذلك اليوم لن تكون مستعدة للقتال ، وهكذا وحسد جمال
عبد الناصر الذي كان يستعد لاسترجاع الموقع الذي احتته الاعداء في
الطريق ، ان القرية نفسها التي يدافع عنها تتعرض للقصف وشاهد
على طريق بيت جبرين دبابات مصفحة تتقدم نحو عراق المنشية .
كانت القوات المصرية موزعة على طول ثلاثين كيلو متراً ، كلف
القوح لسادس الدفاع عنها . ولم يكن يحمي القرية سوى مدفعين مضادين
للدبابات وبعض الالغام التي لم ترسل الا بعد جهد جهيد .

تقدمت دبابات العدو ووصلت الى الخطوط المصرية الدفاعية واجتازتها
ودخلت القرية واسوء الخط تعطل المدفعان بقنبتين من قابل مدافع
الهاون اليهودية .

قاومت القوات المصرية بكل ما أوتيت من قوة ، وحمل الجنود
مدافعهم الصغيرة وكمنوا بين أشجار الصبار عند مخرج القرية ، واحتبأ
أحد الجنود وراء أكمة من الصبار بأعصاب أمتن من الفولاذ، ينتظر اقتراب
احدى دبابات العدو ليشرع فيها مدفعه وجام غضبه . وفي لحظة بصر

تحولت لدابة هباء .
وفي نفس الوقت تقدم أحد ضباط القروح ينقض على دبابة اخرى
واصطدمت ثالثة بالغم فنسفت .

وهكذا بقي من الدبابات العدو الست التي كانت قادمة نحو ثلاث
وحسب ، وثلاث نسفت في برهة وحيزة . فعادت الدبابات الباقية من
حيث أتت مذعورة من هول المشهد الذي رآته .

وفي القرية نفسها كان الاسرائيليون بحماية مدفعيتهم قد تسللوا حتى
مبنى المدرسة غير ان القوات المصرية ، وعلى الاحص كتيبة صودابية
ردتهم على اعتناهم ، وافعلت الثغرة التي كان قد فتحها العدو ،
وكانت المدفعية الاسرائيلية تزرع القرية بقنابلها ، وسمع المقدم حماد
عبد الناصر صوتاً غريباً على مقربة منه ، كان ذلك كصفق حاسي
طائر مصاب ، انه صوت قبلة وصلت الى هدفها . افترش الارض
بسرعة الى جانب حائط منهدم ، ولم تمض دقيقتان حتى سمع دوى
انفجار قبلة .

نهض الصابط وعليه عيار الانفجار ، ثم حدث جنوده على العمل .
فاندفع الى المعركة كل من يستطيع الحراك يحمل اي سلاح وقع في
يده ، وقد رأى جمال عدئذ احد الجنود يحمل بندقية جديدة ، وسأله
من اين حصل عليها ، فاحسب والبشر بطمع من وجهه . من
اليهود افندم .

لقد أحبط الهجوم ، الا ان المقدم جمال عبد الناصر كان يشعر بأن
العدو سيعيد الكرة ، وحصل من قائد المصقة ، وهو عن الارجح لاميرالاي
سيد طه السوداني الشجاع الذي دافع عن الملوحة ، على اربعة مدافع
وثلاث شحات ذخيرة ، وعندما شن اليهود هجومهم الثاني في ساعة
العاشرة صباحاً ، كانت المدافع تقصف العدو باستمرار ، وتدمر له
دبابتين . وترغم الاخرى على الهرب ، وصعد هجوم ثلث كتيبت بعد

ظهر ذلك اليوم
ونقول حول عن أثر ذلك احداث . في الساعة الخامسة كانت
معنات مثلنا اربع من في اي وقت مضى . واستعرضت جنودي
فرئت الله بالمرس تشع من عيونهم ، كان الاصرار بادياً في كل
حركتهم ، ولدك شعرت بالبحر والاعتزاز . ولكن شيئاً واحداً كان
يحز نفسي لقد استشهد كبرون من زملائي وحمودي في ساحة الشرف
بعد ان اسطوا الرهال اساطع على شجاعتهم وروح المضحية عندهم .
وثناء الليل اصعدت احدى دورياتنا تحت عدد من سائقينا وطناحيها
الذين اتوا الا ان يشتركوا في المعركة بساكنة ، فخرجوا صرعى بعيداً
عن الاسلاك الشائكة التي كانت تحمي مراكرنا ، ان هؤلاء الشجعان لم
يكتفوا بصد العدو ، بل ارادوا ان يتبعوه في هربه حتى نخصوطة
الدفاعية .

الجنرال عراق سويلداك وتحرير الامة المتحدة

واسمى الحالك اسماء المصيرين ، قدم اليهود مهجوم آخر على عراق
سويدي . ويمكن تصورهم الاول الممثل على عراق المشية كـ محبيهم
هذه المرة اسماح بين اساوحة والمجدل . وعن هذه المعركة يقول حول
في مذكراته :

« .. كان الزعيم اليهودي « بيغال لون » قائد قوات الاعداء في
معارك النقب يشجع رجاله بخطبه البارية ، ويدفعهم الى مهاجمة المركز
الواقع على مفترق الطرق ، وقد نجح في مهمته هذه مع الاسف لقد
ذهلت لسقوط هذا الموقع « وكنت مقتنعاً » بأنه كان ذا أهمية قصوى
بالنسبة اليانا . وان خسارتنا له تعني قطع كل اتصال بين قوتنا في عراق
سويدي وحميون . وقد حشدنا لذلك قوات كبيرة قرب هذا المنطق .

ولا اذيع صراً اذا اكدت ان بطارية من اثني عشر مسعراً من طراز
" فيكر " كانت تحميه ، ولكن فشلنا كن ذريعاً ، وكن قد كلف
بحماية هذا المركز الفوح التاسع الذي كان قائده الاول في اجارة ، ومن
عرب المصدف ان القائد الثاني قتل بشطية قنبلة من قبل لواء ،
وركب اثنان سيارته واحتفى ليظهر في الاستماعلية فيما بعد ، بينما كان
لرابع يترك الموح ليعود الى الاركان العامة في المجدل ومن سوء
النضاع ايضاً ان عبد الحكيم عامر ضبط الاركان في هذا الموح ، كان
قد نقل الى الموح الثاني ، ولو كان عبد الحكيم ما يرال في مركزه
لاختلف محرى المعركة ، ولعجز العدو عن ان يحرق خطوطنا بسهولة
اناء الهجوم الليلي كما فعل . اني لا اقول هذا بدفع الصداقة ، من
تقديراً للواقع فقط ، واقراراً بالحقيقة .

وهكذا عزلت القوات المصرية في النالوجة وعراق المشية عن قاعدتها
في المجدل - غرة بعد احتلال اليهود لمتفرق طرق عراق سويدن
وبعد ايام قطع العدو الطرق الرئيسية المأدية الى بيت جبر -
حبرون . واصبح المصريون محاصرين من الشرق وغرب ، وعلق جمال
على ذلك بقوله :

" .. كان العدو يظهر نشاطاً زائداً ، ولعارات الجوية على مراكزها
كانت تنضاعف وتزداد عنفاً ، اما طيراننا فلم يعد يرى منه اية طائرة ،
وكان قد احتفى من الافق تماماً ، وفي اوقت نفسه كانت مدافعية
الاعداء تفحصنا باستمرار ، مما ادى الى اصابة عدد كبير من الجود
بجروح ، وكن وجودهم بيننا يترك ثراً سيئاً في معوياتنا ، وكن
انتمى لو استطيع نقلهم الى مكان آخر ، حيث يستطيعون ان يتقوا
العناية اللازمة .

وعلاوة على ذلك كان يوجد الى جانب الجرحى عدد من المرضى ،
وقد توجهت صباح احد الايام لعيادة صديق لي كان يتألم آلاماً مبرحة

من برائدة . وكان يجب احراء عملية له اذا كنا نريد ان نتحاذى
المصير الاسود .

« ولكن كيف يمكن احراء هذه العملية الجراحية في موقع
عسكري محاصر ؟؟ »

« تركت المنشىء عاصماً ، وأشرت على ادارة النزل التابعة لادوحنا
ان تبحث عن طريق آخر يؤدى الى بيت حربين ، وكان فرحي عصبياً
عندما علمت بعد هدية بأن طريقاً جانبية توصل الى بيت جبرين كان
قد تم اكتشافها . وقد كنت دلت غراء كبيراً لي ، فأصدرت الأوامر
فوراً بترحيل نزل المرضى والجرحى عن هذه الطريق .

« وكنت في ذلك اليوم احطم حمار اراديو الذي كان معاً .
لاصع حداً بآلات السمعية التى كما سمعها لقد نقل ايما ان مجلس
الامن الدولى قد أمر بوجوب وقف إطلاق النار . فإن كان المجلس
وماذا كان يفعل حتى الآن ؟ .. لقد عاود اعدو عملياته الخربية في
الخامس عشر من تشرين الاول ، ومع ذلك لم يتحرك مجلس الامن كونه
أصيب بالعمى والطرش والحرس .

« وخلال ايام ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ تشرين الاول ، كان العدو
قد تمكن من قطع خطوطنا ، عندئذ ، وعندئذ فقط أوق مجلس الامن
من عموته ، ليصدر اوامره بوجوب وقف إطلاق النار .
« لقد كن ذلك مخططاً مدروساً ، وكان مؤامرة ضدنا .

من هذا الرصف الدقيق يبدو واضحاً ان مجلس الامن الدولى المتهم
بالتحيز لصالح الصهاينة لم يأمر بوقف العمليات الخربية الا بعد ما
وصدوا الى اعدائهم واصبحوا في حاجة الى راحة لتثبيت اقدامهم في
المراكز التى غنموها .

وبكذب عن اعمال اللجنة الدولية التابعة للصليب الاحمر في فلسطين
كـ جاك رينيه انه على الرغم من الهدنة . كان اليهود ياحرقون بعد

المراكز المصرية في اواسط تشرين الاول سنة ١٩٤٨

وكتب رسييه عن ذلك قائلاً : خلال ثمانية ايام من ايام من ١٥ الى ٢٢ تشرين الاول كانت عره تتعرض كل ليلة الى القصف من الجو وكل سائر الى القصف من المدفعية وقد سقط عليها آلاف من القنابل مما ادى الى موت اثنت من الناس كما حلق الكبر من الدمار ودمشتا نفسها لم تنج من الاذى . واعصوها الاربعة عاشوا تلك الفترة ساعات مضنية جداً . لا ينامون الا قليلاً في اسوأ وفي صباحاً واحد من قنابل الصواريخ الحديثة تنحصر مصححهم صواريخ الانبار التي لا تقصع ، ومع ذلك صل الدكتور فليس وممرضاته السوبريات الثلاث متسربين على الوحده كل يوم . للمعسكر الرصاصي القديم حوت عرة حيث يناسي من الف لاجيء آلام الجوع والمرض .

ان الصهاينة لم يحترموا هدنة . واداك كانت سلبية الدول اخرى التي تسيطر على مجلس الامن التاسع للأمم المتحدة ليس لها ما يبررها ، فيحب الا يحسن اولئك الذين اوفدتهم هيئة الأمم لاحتياها محيياً حقهم فقد بدل دؤلاء جهلهم لاعادة السلام استنود الى الاراضي المقدسة .

الصورة الجميلة للكونت برنادوت

لا بداً لكل من يدرس المشكلة الفلسطينية من ان يتذكر اطعمة المهية للكونت برنادوت رئيس مملكة السويد الاحمر السويدية ، واوسيط الدول الموحدة من قبل الأمم المتحدة . لقد قسسته في القاهرة في اواخر ايلول سنة ١٩٤٨ في الوقت الذي كان فيه 'هريقن' المعين من عرب ويهود يرفضان بعنف مشروع تقسيم فلسطين الذي كان قدمه في الثاني من آب سنة ١٩٤٨ الى الجمعية العامة التابعة هيئة الأمم .

كان يهودته وطرته الموضوعية يرتب منه موضع انتقاد من قبل
الوطنيين العرب والمطربين اليهود كان يعرف انه مهدد بالقتل من
قبل الارهابيين من الطرفين . وعلى الرغم من كل هذه الاحقاد كان
يتوجه الى فلسطين محاولاً ان يحرص بدموده المعوي احترام هبة الناصر
عشر من تموز

وبعد بضعة ايام . في السابع عشر من ايلول . وصل الكويت
برنادوت الى القدس . المدينة المرفقة بين العرب واليهود . وبعد زيارة
قام بها لبعثة اللجنة الدولية للصليب الاحمر . خرج الوسيط من هناك
منوحاً الى قلب القدس . ويصف ربييه ما حدث اثر ذلك فيقول :

« على رأس قافلة صغيرة من ثلاث سيارات كانت تسير سيارة
عسكرية تابعة هيئة الامم المتحدة . وفيها عدد من الضباط المراقبين
ووراءها احدى سياراتنا يقودها الدكتور فرل وحيداً ، وأخيراً السيارة
الثالثة التي كانت نقل الكونت برنادوت والكولوبيل الفرنسي سيرو
وضابط سويدي وراكبين آخرين .

« سلكت القافلة أولاً طريقاً مسجداً الى تلة تطل على اليهود والعرب
الذين كانوا يحبون ان يتمرنوا على الرماية باطلاطمهم الرصاص على
السيارات اماراً من هناك . ثم دخلت المدينة في احياء مهجورة لتصل
الى مصفحة يسكنها اليهود وتسيطر عليها عصابة « شتيرن » وكانت قد
جرت العادة على ان يخري توقيف وتفتيش كل من يمر من هناك لدى
الدخول والخروج . مع ان الحلي من صلب المدينة اليهودية .

« وكنا قد احتطنا منذ البدء في اعطاء عصابة شتيرن اسماء
وهويات مدويننا الذين يضطرون الى المرور من هناك . وفي المناسبة
كان لا يفوتنا أبداً التحدث الى الحراس وزيارة رئيس العصابة نفسه .
وهكذا كما معروفين من الجميع . وكنا نمر . فيما عدا بعض الحالات
الشاذة ، بسهولة تامة :

« وعندما وصلت قافلة الكونت برنادوت الى نقطة الحرس الثانية قطعت الطريق عليها سيارة محمولة ، وترجل منها رحلان عسكري ، مسلحان بالرشاشات ، راحا يفتشان ركاب السيارات . وبعد تعري الاولى انتقلا الى الثانية ، وبسرعة انتهيا من استجواب الدكتور دارل ليصرفا الى السيارة الثالثة ، وسألا فيما اذا كان برنادوت فيها ؟ وانتظرا ، وما كادا يسمعان الجواب حتى أفرغا رصاص رشاشيهما في جسمه ، ففارق الحياة في الحال . وحاول الكولونيل الفرنسي سيرو ، وكان الآخر حالسا في السيارة . ان ينحي برنادوت جسده فسقط قتيلاً معه . وما كاد الدكتور دارل يسمع صوت الرصاص حتى أسرع في سيارته نحو الجرحى ، فيما كان الساتلان يعودان الى سيارتهما ولكن الاوان كان قد فات ، وقضي الامر . ولم يعد في ساحة احد ان يفعل شيئاً .. »

أوقمت السلطات الاسرائيلية رؤساء عصاة « شير » ووضعهم في معسكر هربوا منه بعد خمسة عشر يوماً فقط ان مصرع «وسيط دولي» كان بالنسبة لمراقبي الامم المتحدة صدمة كبيرة وأصبح أكثرهم حارين اذا لم نقل منحفظين . ولكن الآخرين قدموا بأعمال جريئة . يرصد من بطولتها انها تمت رغم الاخطار المحدقة .

واثر مصرع الكونت برنادوت تولى راف بنش الامبركي الماون مهمته بالوكالة . ومن قاعدته في جزيرة رودس أهي مفاوضات الهدنة بنجاح .

وانتهت العمليات العسكرية في بداية شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٩ ولكن اغتباطا يزول عندما نعلم بأن القوة غلبت حق ، وبانه لا مشروع التقسيم الذي وضعه برنادوت ، ولا مشروع التقسيم الذي وضعته لجنة دولية التابعة للامم المتحدة . لم ينفذا ويحترما . لقد انقضت اسرائيل بالاراضي التي حصلت عليها عن طريق الحيلة أو عن طريق القوة

وما زال سكان فلسطين العرب ، وعددهم يناهز المليون ، يعيشون في
المخيمات عيشة دثنة في انتظار العربية المحاورة ، على ما تنكرم به
عليهم هيئة الاغاثة الدولية .
لنعد الآن ان قصة التقدم جهالك عبد الناصر المحاصر في تشرين الاول
سنة ١٩٤٨ في منطقة الفالوجة - عراق المنشية .

حرب الاعصاب

مهار الحبيب في الحاي واعتمر من تشرين الاول عقد مؤتمر
للأركان العامة في الفالوجة برئاسة الأميرالاي السوداني سيد طه « المصم
الأسود » كما كان يسميه رحبه وحضر ذلك المؤتمر قادة وضباط
أركان الافواج الثلاثة المحاصرة ، الاول والثاني والسادس ، وكان
الأميرالاي قد تلقى امراً بإسحاب القوات المصرية .
وكان التقدم جهالك عبد الناصر يعتقد أن الاسحاب هو أفضل حل .
ترى هل كان من المصق ان تبقى تلك القوات المصرية المحاربة محاصرة
في مواقع كل مخارجها في اشرق كما في العرب مقفلة ؟ وعلاوة على
ذلك كانت العساية في وجودنا هنا فصل المقب عن باقي الاراضي
الفاستطينية الممتدة الى الشمال . وبما ان الاتصال بين المطلقين قد تم ،
فلماذا يبقى نحن في مواقعنا هذه بعد ان باتت بدون فائدة ؟ وكان
جهالك عبد الناصر يعتقد ان الافواج المصرية بتراجعها الى بيت جبرين ،
وحررون عن الطريق النابوية آتي بقيت حرة تعيد الاتصال بينها وبين
انوات المصرية الاخرى التي كانت لا تزال تحتل منطقة حبرون -
بئر السبع ، الامر الذي سيضطر الاسرئيليين على المحاربة على جبهتين
بمجرد انتهاء فترة الهدنة الثانية .

عندئذ جاء أمر جديد من القيادة العليا يلغي الامر السابق .

وفي الثالث والعشرين من تشرين الأول اجتمع اليهود في مدينة
مؤدية الى بيت حبرين على الاربع من ايام هذا الشهر فقام
لوقت انطلاق النار في اليوم السابق وفي الثاني والعشرين من تشرين
الاول ، عند الساعة اثنا عشر بعد الظهر ، وكما عاهدتموه لم يكن وقت
العمليات الحربية موضع احترام من قبل القوات الصهيونية ، لا سيما
كان لصالح الجيوش العربية .

ولما تلقى سيده في الثالث والعشرين من تشرين الاول عند شهر
رسالة ناشئة من اقربه الصديقين في حبرين ، كتب هذا
الامر قد بات مستحيين التمسك به ان كتب هو وقد اقبل
حلقات الحصار .

« لقد اضينا ليلة رحمة . فريسة حرب لا تصب ، وكانت
طائرات العدو حلالها تخطربنا نوا من الممرات ، وقد قربت احوالها
وهو موجء الى الفوحين الثاني والرابع ، وقد سمع فيه

» .. ايها الصباط والجنود ، هل تعلمون كم يصرخون ؟ وهل
تعلمون بأن فوحيكما لا يستطيعان الاصابة بمصوبها البعض ؟ انهم ماذا
يعني الحصار ؟ انه الابادة والموت ، وستتحقون من ذلك قريبا ، ان
قوادكم لن يستطيعوا الوفاء بوعودهم الكاذبة الفاة بقرب وصول نخبت
من العناد والرجال .

« ... ان أي أمر من هذا لن يصل اليكم ، لأن قواتنا قد احتلت
بئر سبع ، بعد ان اشتركت في معركة مع قواتكم وسحقناها . ودا
كنتم تنتظرون النخبة من الملك عبد الله فاعلموا انه يقترح طرد قواتكم
من قواعد بيت لحم وحبرون . انكم الآن ترون نائح الدعاوة كذابة
التي حماشكم من مصر الى هنا . ان قادتكم وساستكم كانوا قد كذبوا بأن
حماة فلسطين ستكون نزهة ، وكانوا قد وعدوكم بالعنايم والمباح ،
فأين هي العنايم ؟ وأين هي المباح ؟ انكم لم تحصدوا هذا سوى الملايا

والخوار الفادحة . ومبغى هـ نصيبكم في استئصال . لقد رأيتم بأمر
أعينكم ان اليهود يعرفون كيف يخارون . واسهم يدفعون عن وطنهم
فهم لم يختاروا بلداً احسباً . ولم يفكروا متذنباً ومن يهكروا في اعصاب
ما ليس لهم .

« وذا ألقيتم نظرة على المصور الخفرا في تحتكم من ان القوات
يهودية تحيط بكم كما يحيط السوار بالمعصم
« عليكم ان تحاروا . فاد . كنتم تريدون احياء واستسلموا . نعودوا
الى دوابكم واولئك الذين ادعوا بأنا نقتل امراً كرسوا . لقد كان
ذاك من اسوأ وسائل الدعاوة التي لحا ايها وذكركم امسكروا المدين
ينظرون اتريقات والاسمة . من مهتمين . ودهم . من يتساقطون
صرعى بالالوف .

« .. لهم الاوسمة ، ولكم الموت .

« لقد سبق للواء احمد علي الماوي وأعطي أمراً لجنوده المحاصرين
في بيت عانا وعراق سويدان بوحوب القتال حتى الموت . ولكن أين سعدته
الآن ؟ لقد هرب كالحمان الرعديد بمجرد أسيرنا بعض صباطه
« .. أين قائد بشر سبع ؟

« .. لقد ترك جنوده المغلوبين على أمرهم ولاد بالمرار .
« .. لقد هرب عدد امتهرق . اما الجيش فقد استمر في المقاومة .
« .. لقد حصل شيء اسمه في « حليقات » وغيرها من المراكز
التي احتلتها قواتنا .

« وكروا فل ان تموتوا .

« .. أصفوا الى رفاقكم الاسرى الذين يصحونكم بالاستسلام .
انقلوا أنفسكم بأنفسكم باستسلامكم .
« .. كل جندي يمثل أمامنا وفي يده هذا المنشور يسجو من الموت
ويعود الى ذويه بسلام .

• .. ايها الضباط .

• .. اعلموا باننا منحترم حقوق المدوين من ترساوهم لب
رايين علم الابيض بشأن المفاوضات وصور حياتهم
من اعتباركم العسكرية ستكون موضع احترام
. ها انكم الان قد اعلتم وانزتم .

علم ابيض

في الرابع والعشرين من تشرين الاول اقتربت مصمحة اسر ثبية من
خطوط المصرية ترفع علماً ابيض وكان فيها مكر للصوت يعلن أن
ضبطاً سر ثبياً يرعب في مقابلة صاخط مصري
ويقول جمال عبدالناصر عن هذا الحادث :

• قررت ان اتجه بشي نحو الصوت اساني . رأيت سيارة معروفة
بعلمها الابيض المرفوع ، بها كان مكر صوت لا يرل يور دون
القطع عن الرعة التي جاءت السيارة من احيائها ، اقتربت وصمت من
حراسها ان يمتحوا الحاجر الذي يقفل طريق امام خطورتها . قررت
ان سيارة الجيب ، وكنت ارتدي سروالاً عسكرياً وسترة من القمص
التي كنتي رافعي اناك من رملي ورقب يمس رشناساً . وتفتت
سيارتي بانهي سرعتها في اتجاه المدو . وكان بداي شعور حريب .
وفيما سدا هدير محرك سيارتنا كان السكون شمللاً . ترقنا قبالة السيارة
المصمحة . فراح الضباط الموجودين فيها ينظرون اليها مشووهين . ووجهة
أحرج حدهم رأسه من وراء غطاء السيارة وقال لنا : معجرفاً بالاحوية .
- انني مساعد القائد العام لهذه المنطقة ، والما مكث بالاسم
عن حالتكم ، انكم محاصرون من كل الجهات . لذلك ندعوكم الى
الاستسلام .

فأجبتة بلهجة هادئة :

— اننا نعرف وضعنا معرفة تامة ، ولكننا لن نستسلم .

وأضفت دون أي ارتجاج في صوتي :

— اننا ندافع هنا عن شرف جيشنا .

عندئذ بدأ الصاط اليهودي يحدث باللغة العربية . ثم عاد الى الاحاطرة ، تاركاً لمحتة اسمعالية اني بدأ بها حديثه . وشرح لي من جديد الوضع الذي كنا فيه .

فأجبتة :

— انك تتعب نفسك بدون فائدة ، فحن برفض ان نستسلم .

فحدثني ببطء وقال لي ، وعلامات الرضى بادية عليه :

— ألا تريد ان تستشير رؤساءك ؟

قلت له :

— هذه القضية ليست موضع نقاش .

ثم عاد من جديد يحدثني ببطء . وساد سكون ، ثم تلاقت نظراتنا ، وفحاة شعرت بأنه خضع قناع التعجرف ، وقال لي بصوت منخفض مهذب :

— اننا نرغب في أن نعرض عليكم طلباً انسانياً .

فسألته : وما هو هذا الطلب !

— اننا نرغب في سحب جثث قتلانا من المعركة الاخيرة ، وانت تعلم بأن اهالي الضحايا يرغبون في دفن قتلاهم ، هل عندكم أي مانع بهذا الشأن ؟

فقلت له وانا أحدهم بنظري :

— اننا نوافق على طلبكم هذا ...

واثناء عودتنا الى مراکزنا انفجر جميع من في السيارة معي ضاحكين ، كما يفار بين بداية المقابلة ونهايتها ، اولها عجرفة وزهو في طلبهم

الينا ان نستسلم ، وآحرها هدوء ونهديب ورجاء في السراح لهم سحب
جئت قتلاهم من ميدان الجبهة . »

بثث انكبت تنهي مذكرات الرئيس عبد الناصر في « كل الحقيقة
عن حرب فلسطين » .

ومع ذلك بعد هذا الهدوء لموقت كُيّسَ للمعركة ان تستمر في
المقب خلال شهري تشرين الثاني وكانون الاول سنة ١٩٤٨ وكتب
للمالوجة وعراق المشية ان تفاوما بملونة حصاراً طويلاً .

عداة الميلاد حاول الاسرائيليون من جديد قطع المواصلات بين غزة
ومصر ، ثم شوا هجوماً عيناً على عراق المشية . معنفدين امكانية
احتلالها ، ثم احتلال المالوجة ، حيث نصر قوات عيدة على الدفاع
عن شرف مصر .

بشأن أحداث الايام الاخيرة من كانون الاول سنة ١٩٤٨ حصلت
على معلومات كافية من شهود عيان من ضباط واطباء كانوا قد اشتركوا
في العمليات الحربية ، أناحت لي أن أسح رواية موضوعية تظهر
بحلاء صفات التبصر والهدوء والعماد في شخصية المتقدم بحال
عبد الناصر .

عزاق المنشيّة

تنجو بفصل رابعة بنائش حبار غيب الناصر

في كانون الأول سنة ١٩٤٨ ، بعد مرور سبعة أشهر على حرب
الستة أسابيع ، كانت الهدنة الأولى وما رافقتها من تدخل هيئة الأمم ، شنت القوات
الاسرائيلية ، مراكرها ومع ذلك صنت القوات المصرية تعتمد على سلاحها
المدى ، فأنها ابريطت كات بدون دحائر ، ودماياتها
الامير كات غاصت من العمل اعدم وحوود قطع غيارها واحد
البيرة مستورده من ابيدية كات سينت الصنع وتنفجر احياً في وجه
حدها ، بأن حراة ايد كات كابية لمجبرها . وبنادق الموزير
المستوردة من اسبانية كات قديمة يعود تاريخها الى سنة ١٩١٢ ، اي
انها كانت عذبة كل اعداء انام الاسلحة لأوتوماتيكية التشيكية والروسية
والامير كات التي في حوزة الصهاينة . وعلى الرغم من ان الهدنة الاولى
المبرومة من الأمم المتحدة في تموز سنة ١٩٤٨ قد واثق عليها
الطرفين الاسرائيليين ، بعد مقتل الكونت برنادوت على يد عصابة
« شتيرن » الارهابية قد عاودوا هجومهم في النقب بين ١٤ و ٢٢
تشرين الاول اولاً ، ثم من جديد في الثالث والعشرين من كانون الاول :

و بيوت المصرية في كانت و كانت في ربيع من حرم بيت
حم - حروب اصغر ت ان ترايع ان تر السبع . ثم ان . لها في
سرة . . الحروب كان صعباً . ما و لانصاف مع مصر - غزة .
روح - . استطاع اجراً . بيت الحروب الحروب .
و بعد ان حتل اربود بيت حروب و حروب غراي سويد . حروب
حامية المجدل الى الانسحاب الى غزة .

- اما الساحة و
حربها السور
سنة
الأسود
مروعة الرأس ،
شباط سنة ١٩٤٩

و كي نستطيع الساحة المقاومة
بمنهجها عنها سوى مسافة كبير مترين
كان هذا الساحة بقيادة المقدم حمال عند اسصر صبط لاركان في
الفرج السادس
طريق المجدل - بيت حروب - كانت قد تعرضت بنصف من قل
العدو ، الامر الذي اضطر قسماً من الاهالي للحواء ان عرة . وكان
مركز القيادة مقاماً الى شمالي الطريق . وكانت القوات المصرية موزعة
في الحنادق او مخبئة في ما تبقى من بيوت قرية .
و كان المقدم جمال عند الناصر قد نظم بعناية فائقة الدفاع عن القرية .
والحنادق التي في القرية كانت قد طعت عليها ميساه السيوف ، وكان
هناك ملاجئ و وصل كل منها بمخرج . وهذه كانت تتيج للجمود ان
يتمددوا على الارض الجافة اثناء فترات الهدوء . وكان اسقيب عبيد
الحائق ابو ديه مع كنيبتين احدهما سودانية ، مكنماً بالدفاع عن القطاع

الجنوبي ، وكان في حورنه مدفع هاون من اربع حبات ، ورشاشات
فيكر حيدة ، ولكن الدخيرة كانت محدودة ، وكان قد تفتى مرة
بوحوب مدبر امره

وكانت العلاقات بين الجنود واسكك المدنيين متينة قوية ، وتفتح
المحروون في بيوت اهل القرية كان صاخط الادارة قد اشتراه وجمعه .
ومطاحن يدوية كانت تؤمن الصحيين ، وفرب امرية كان يؤمن الحيز في
كل صباح ، على يد عشرين قروية . وايصالات الدقع الموقعة من القائد
لعسكري كانت تسوى في الاركان العامة بالحيش في حرة التي كان
القرويون يذهبون اليها اثناء الليل . والتعاون بين الجيش والمانشة
مدني الذين بقوا في القرية كان كاملا .

في اسادس والعشرين من كانون الاول ش الاسرائيليون هجوماً
عيباً على رفح ، وكان المقصد منه قمع الاتصال بين مصر وقاعدة غزة :
ولكنهم ردوا على اعتاقهم مهرومين على يد القوات المصرية التي كان
يقودها اسواء دؤاد صادق ومعاونته عبد الحكيم عامر .
وفي الوقت ذاته وجه قصف شديد على عراقي المنشية من التلال
المحيطة بالقرية .

وفي ليل الثامن والعشرين من كانون الاول حوالي الساعة الثانية
صباحاً اوقفت المدفعية الاسرائيلية عمليات القصف . وفي جنح ايل
وتحت الضباب والمطر الغرير تسال العدو الى القسم الذي توحد فيه الشعبة
الادارية ، واستولى على المطاحن والفرن ومستودع السيارات والمؤونة ،
واستسلم اسديون . واقام انقائد الاسرائيلي مقر قيادته في بيت المختار .
ووصل ايهود الى قلب اشطاع الجنوبي ، حتى المسجد الذي يضم مئة
وعشرين جريحاً ومريضاً . من مركزه كان النقيب ابو ديه يسمع اصوات
لاسر ثلبيين واوامرهم . ولحسن الحظ لم ينقطع الهاتف الذي يوصله بمركز
قيادة المتقدم حمر عند الماصر اثناء عمليات القصف . ولذلك استطاع ان

يعلمه بالحالة الراهنة :

لم يفقد القائد رباطة جأشه ، بل انصرف فوراً الى احد الترتيبات
اللازمة لتنظيم الحجوم المعاكس . وأمر اسفيل ابو برة بان يذهب الى
العدو بقوة وبما انه هو لم يكن لديه في مركز القيادة صوت مدافع
من الرحال ، فقد سحب من الحمار الحرجية لجود الدين كانوا
يعسكرون فيها ، وحشد كل القوات الموزعة ، وسلح الصاحب حتى
اصبح لديه ما يقرب من مئة رجل وصدهم في سرية تامة وراء صف
الاشجار الذي يحاذي الطريق التي تخترق القرية . وأمرهم بالا يصدوا
النار الا عندما يظهر العدو متحمساً لعدم وجود مقاومة كي تفصل كل
رصاصة الى هدفها .

وعلاوة على ذلك كان المقدم جمال عبد الناصر اتصل بهباً بالهجوم
بصديقه زكريا محيي الدين كي يرسل له وحدة ، ومع ذلك لم تأت
قوات اضافية لان قائد الفالوجة حاف اذا ما ارسلها من ان تنسوق في
عراق المنشية ، واكتفى بارسال رشاشين - برن - كاربين وورصا
في خط الدفاع :

كان جمال عبد الناصر يعلم بأن العدو سينتفيد من نزوع المحر
ليهاجم مركز القيادة ويحثل القرية كلها . وقد حشد هذه المهمة حين
دبابة اسرائيلية وحوالي خمسة رجل منتحب على مرتفع في نخاء بيت
جبرين للقدوم ومؤازرة القوات الاسرائيلية التي كانت قد وصلت الى
عراق المنشية :

ولكن جمال عبد الناصر لم يطلب فقط الى زكريا محيي الدين ارسا
نحدات ، بل كان قد الح ايضاً بصوت هادئ على ان تبدأ المدفعية
المصرية في الفالوجة مع الفجر قصف خط الدفاع الكائن حوضي غربي
عراق المنشية ، اجل ان ذلك كان خطراً على اشوات المصرية التي مارست

حين قسّم من غزاه ، وشكروا ، وبنوا أورشليم مدينة صالحة من مدن
وسدداً .

وهذا في سنة ثمان مائة صباحاً . وكان من ليلتين
هجومهم . ساروا ساراً أمام عبد محاروبهم اجتيازاً من أورشليم
في مرة من جهته ، وعند محاروبهم حاربوا في بيت أبي دية
من جهة ثانية . وبينما هم هناك محصورون في الساحة الخروسي
عربي من عرق المسرة بدأت المدفعية المصرية من المدوحة تنظرهم
بقايلها .

وكانت المدفعية أكثر مما يقع الأسرائيليون . بين كانوا يشعرون
بأنهم سيحصدون أمدتهم حدوداً حائري النوى ، بعد حصار دام شهرين
وقصف عنيف دام ثلاثة أيام .

لم يكن في استطاعتهم أن يشكروا في أن المقدم جمال عبد النصر
نصبه الساحة المدفعية قطعاً ، وسهره على تأمين الطعام لرجالهم ، وأعضاءهم
أوحشيات لرشدة الدفعية ، كان قد نجح في إبقاء معوياتهم قوية .
والدحل عبر المنتظر من مدفعية المالوحة في المعركة أوقع الكثير من
أصحابها بين الأسرائيليين الذين كانوا قد أقاموا في بيت المختار ، وأدى
إلى وقف المدوحة الثانية من المهاجمين ، كما عطلت المدفعية المصفحة التي
كانت تحمل النجديات .

استمرت المعركة حتى الحادية عشرة صباحاً ، وجميع الرجال القادرين
اشتركوا فيها ، حتى الجرحى حاربوا بالقبايل اليدوية على الرغم من أن
بعض أعضائهم كانت ملفوفة بالجبس .

وقد ترك الأسرائيليون في ميدان المعركة ثلاثمائة قتيل ، وانسحبوا
حاملين جرحاهم . واثناء النهار أسر المصريون خمسة أسرائيليين كانوا
قد اختبأوا في أحد البيوت .

ولا ريب أن هذا النصر قد أدى إلى رفع معويات القوات المصرية

المحاصره في القلعة ، لأنه جاء بعد سداد من لا حاجات اليه
لحرائم . ولولا هاهنا تقدم هذا الماصر واستمراره لتسلطت عراق في
بين أيدي الامراء ولعجزت القلعة عن الصمود في وجههم حتى
توقيع الهدنة . وكانت هذه الحادثة من الناحية العمومية واستراتيجية عامة
الاهمية

عَوْدَةُ الْحَسَارِينِ الْخَابِئِينَ

انتهت معركة النقب في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٩ ونتيجة للمفاوضات التي جرت في رودس بواسطة الدكتور بانش ومساعدته اللواء رايلي وقع كل من مصر واسرائيل في الرابع والعشرين من شباط سنة ١٩٤٩ اتفاقية الهدنة . وتبع ذلك توقيع الهدنة من قبل لبنان في الثالث والعشرين من آذار ، والاردن في الثالث من نيسان ، وسورية في الرابع عشر من تموز . واما العراق فانه لم يوقع اتفاقاً للهدنة وما زال قانونياً في حالة قتال مع اسرائيل . واما السعودية فلم تشارك في حرب فلسطين .

والجدير بالذكر في حرب النقب . انه لم تتقدم الجيوش العربية ، ولا الفدائيين المتطوعين لمساندة القوات المصرية . وفي آخر كانون الثاني ١٩٤٩ حول الملك عبدالله شرقي الاردن الى مملكة اردنية ، بعد ان ضم اليها المناطق الفلسطينية التي بقيت في أيدي العرب ، من نابلس الى حبرون ، بما في ذلك مدينة القدس القديمة (وقد اغتيل في سنة ١٩٥١ في المسجد الأقصى في الوقت الذي كان يستعد فيه لمفاوضة اسرائيل بشأن توقيع معاهدة صلح تتضمن بنسداً يقول باستخدام مرفأ حيفا كميناء حر .)

وفي نهاية نشاط سحت مصر هونها من فلسطين ، ما سدا
المطلة الساحلية في عرة ، حيث يعيش سنون الفأ من السكا مع
مائي الف من اللاحين عيشة قاسية ، على ما تمنحهم رياء وكالة لادنة
الدولية .

في أوائل آذار سنة ١٩٤٩ عاد المقدم جهاد عبدالناصر ورفاقه في
السلاح الى مصر محافظين على شرف الحرب ولكن القلوب كانت
منقصة لأهم حاربوا عنثاً وعدادوا الى ديارهم دون أن يحققوا الهدف
الذي ذهبوا الى الحرب من أجله .

وفي القاهرة كانت الايام الاخيرة من كانون الاول سنة ١٩٤٨
مصحفة ، فقد اغتيال سليم ركي قائد شرطة القاهرة أمام الجامعة ، وحررت
محاولة لاعتيال السحاس مما حاق في القاهرة حواً من نفق الشدب .
واخيراً اضطر القراشي رئيس الحكومة المصرية بسبب الشط المتزايد
لمطمة الاحوان المسلمين الارهابية ان يصدر في الخامس والعشرين من
كانون الاول سنة ١٩٤٨ قراراً بحلها . وبعد ثلاثة أيام فقط من ذلك
الماريح اغتيل القراشي في مقر رئاسة الحكومة على يد عضو من لاهوان
المسلمين يرتدي لباس شرطي ، في الثامن والعشرين من كانون الاول ،
أي في ذات اليوم الذي استطاع فيه جمال عبدالناصر ان يرد شجاعة
فائقة آخر هجوم اسرائيلي عن عراق المنشية .

واثر هذه الاحداث الخطيرة دعي ابراهيم عبدالهادي رئيس ديوان
الملك كي يتولى رئاسة الحكومة المصرية . فتابع المعركة ضد الارهاب
وزح باثبات من اعضاء مطمة الاحوان المسلمين في السجون ولم
يتورع البوليس عن ان يستعمل الشدة والعنف مع هؤلاء للحصول على
اعترافات منهم تتبجح له ، ككتشاف اشكة امرية للمطمة لارهابية .
وصباط « الحرس الحديدية » من حرسهم كانوا يقضون على اوائك
الذين يعتبرهم البوليس السياسي اعداء للملك .

٢٦٣
الملك فاروق الثاني
الملك فاروق الثاني
الملك فاروق الثاني

سب هذه الحالة المتوترة كان الضباط الذين عادوا من حرب
وسطى موضع حفاوة ووثق في الوقت نفسه لقد احتسب المسؤولون
بإبطال المداوغة ، ولكنهم احتفظوا بهم في الحجر لأن الميث وولادة
لا يجهلون ان الدم المصري المراق عنأ يستصرح الاحد بالنار . وان
المحاربين الحثيث عادوا يتميرون عبطاً من الميث الذي دوع بهم الى
الحمة بدون اعداد ودون أسلحة ، ثم قاد من انتاهرة باستخفاف العمليات
الحربية ، حيث قصى عدد كبر من الحدود وحيث مرع الشرف العربي
في الوحل .

وفي سورية في التاسع والعشرين من آذار سنة ١٩٤٩ احتل الجيش
العائد من فلسطين بقيادة اللواء حسني الرعيم دمشق وأوقف رئيس
الجمهورية واعضاء الحكومة . ولكن حسني الرعيم لم تطل مدة بقائه في
الحكم ، اد اعتيل في الرابع عشر من آب سنة ١٩٤٩ . ومحاولته
الانقلابية هذه في أوائل عام ١٩٤٩ أراحت الفشاة عن عيون حكام
القاهرة وحملةهم على ان يفكروا طويلاً فيما قد يصيهم .
في آذار سنة ١٩٤٩ كان المقدم جمال عبد الناصر بعسكر في الاسماعيلية
على قناة السويس . وفي الخامس والعشرين منه عاد الى القاهرة في
اجازة . وعند الساعة الواحدة بعد الظهر جاء ضابط يُعلمه بأن القائد
العام للجيش يرغب في مقابلته فوراً .

وعند الساعة الرابعة بعد الظهر علم عبد الحكيم عامر ان قائد الجيش
العام قد قاد جمال عبد الناصر الى ديوان رئيس الحكومة السيد ابراهيم
عبد الهادي الذي استحويه بحضور اللواء احمد طلعت قائد البوليس السري .
فانصل هاتفاً بعدد من الضباط الاحرار كي يأتوا الى منزله ويتناقشوا
في هذا الامر . وعند الساعة التاسعة مساء وصل جمال عبد الناصر وروى
لرفاقه ما حصل له في رئاسة الحكومة . لقد اتهمه ابراهيم عبد الهادي
بانه قد شكل منظمة سرية يدرّب اعضاءها على استخدام السلاح ،

وأحابه جمال عبد الناصر بأنه كان يشترك في حرب فلسطين منذ الرابع عشر من ايار سنة ١٩٤٨ حتى السادس من آذار سنة ١٩٤٩ ، وبأنه لم يعد الا مؤخراً الى مصر . فكيف في امكانه والحالة هذه ان يهتم باستاء مطمة سرية ؟ وأضاف مؤكداً بأنه لو اتاحت له الفرصة لتدريب المتطوعين من اجل المعركة المباشرة في فلسطين لفعل ذلك مراتح الضمير لأن عملاً كهذا مفخرة وطنية قومية .

وكان جوب رئيس الحكومة بأن لديه عدة تقارير تقول بأن جمال عبد الناصر قام بتدريب اعضاء منظمة سرية . وهو لذلك يريد معرفة اسماء الضباط الذين تعاونوا معه في هذا الشأن ، فسأله .

— هل تعرف محمود لبيب ؟

— بالطبع ، لقد تقابلنا لتنظيم الدفاع العربي عن فلسطين

— ومن قدمك اليه ؟

— النقيب انور السياحي .

عند ذلك ظن ابراهيم عبد الهادي انه نتج في سحب اعتراف من جمال عبد الناصر فكتب اسم الضابطین وسأل .

— وما هو عنوان انور السياحي ؟

— في الملاً الأعلى ، فقد مات اثناء الحرب .

عندئذ غضب رئيس الحكومة ، بينما انفجر عبد الناصر ضاحكاً :

وصرخ ابراهيم عبد الهادي غاضباً .

— لقد هزأت بي ، واستطيع ان اسلمك للبوليس . هل تدري ما

هو البوليس ؟

لم يستطع ابراهيم عبد الهادي ان يسحب من المقدم جمال عبد الناصر

ابة معلومات ولذلك امر اللواء عثمان المهدي بتفتيش منزل جمال . وقد

وجد فيه صدوقة تحتوي مائتي طمقة فصادرها . والكلهم لم يحدوا

شيئاً آخر .

وكي نفهم المعنى العميق الكامن وراء هذا الاستحواب ، يجب ان نشير الى ان المقدم محمود لبيب كان معاون الشيخ حسن البنا المكلف بتعليم الضباط الاحرار ، الذين كانوا انضموا الى منظمة الاحوان المسلمين . وكان المرشح حسب رواية انور السادات في كتابه « ثورة على ضفاف النيل » ان يتوجه في الليل الى حي الصليبة حيث يقوده احد الاشخاص عبر عدد من الطرقات الضيقة الملتوية الى قصر قديم ينبعث منه نور ضئيل ، فيُدخله احد المحتفلين الى غرفة فسيحة ويدعوه الى الجلوس امام طاولة عليها قرآن ومسدس . ثم يحمله على ان يردد القسم كلمة كلمة ، يد على القرآن والاحرى على المسدس ، وكان المرشح يقسم على الولاء والطاعة المطلقين للمنظمة ، متعهداً ألا يوح بشيء من اسرارها وهكذا كان يصبح اداة في يد المرشد العام .

وصابط الارتباط بين الاحوان المسلمين والضباط الاحرار كان المقدم عبد المعصم عبد الرؤوف ، وكى لا يكشفه اعطى المقدم عبد اساصر اسم النقيب انور السباحي الذي تطوع للدفاع عن فلسطين مع كمال الدين حسين ، وقتل هناك في بدء حرب فلسطين .

لقد اكتشف ابراهيم عبد الحادي في تحريه وراء الاحوان المسلمين انه كان يوجد علاقات بينهم وبين الجيش . وكان عليه ان يضع يده على بعض العناصر في خلايا منظمة خارج الجيش على يد انور السادات ، وبما اهم كانوا مدنيين من غير العسكريين لذلك انهم المسؤولون عبد اساصر ورفاقه بتدريبهم على استخدام السلاح . ويبدو ان رئيس الحكومة لم يستطع ان يكشف امر اية حلية من الخلايا التي كان قد تم تنظيمها داخل الجيش .

لقد كشفت حرب فلسطين التي اشترك فيها المتطرفون من الاحوان المسلمين امر المصمة واخرجتها من السرية ، وصار البوليس السري يعرف سماء اولئك الذين تطوعوا للقتال هناك تحت قيادة الرئيس احمد شوقي .

مكرر ، وصار يعني ان يكون القضاة الذين اتهموا قبل الحرب وبعدها
بالاخوان المسلمين حذرين جداً .

وفهم جمال عمد الماصر ان حركة الضباط الاحرار لن تنجح الا اذا عملت في سرية تامة دون ان تحاول الاعتماد على صومعة خدام الشيخ حسن البنا المتطرفين .

April 1, 1934

۱۰۰ یادکر

... .. 11 151

1891

(1) $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3}{dt^3}$

$\frac{1}{2} \cdot \frac{1}{3} = \frac{1}{6}$

[illegible]

الصلوات على سيدنا محمد وآله

الذئبة .. و .. ما .. في .. البحر .. و ..

۱۲۸۰ هـ / ۱۸۶۳ م

حَرْبُ الْمُنْشَوْرَاتِ

حسرت حركة الضباط الاحرار أثناء حرب فلسطين عدداً من اعضائها
قضوا في ساحة الشرف . ونحربة المشل المربرة أقنعت النخبة في الجيش
ان مصر لن تصحح قوية الا اذا حدثت فيها ثورة جذرية .
وبينما كانت قوات الفالوجة تعود الى مصر . كان المقدم كمال الدين
حسين يتوجه لمقابلة جمال صد الناصر في ثكنة العريش . وهناك نقل له
آخر عبارات تفوه بها صديقتهما الزعيم احمد عبد العزيز في بيت لحم قبل
ركوبه سيارة صلاح سالم حيث كتب له ان يموت فيها على طريق
عراق المنشية برصاصة غادرة حيث قال : .. اسمع يا كمال ، ان
المعركة الحقيقية ليست هنا ، انها في مصر . هناك الساحة الكبرى
للمعركة : .

لقد استعاد جمال هذه العبارة في ذاكرته مراراً . وقرر مع رفاقه
نُ يُعيدوا تنظيم حركة الضباط الاحرار .

والمث فاروق بعد استحداثه وزارة ابراهيم عبد الهادي لضرب منظمة
الاحرار المسلمين المخيفة أقال فجأة في تموز ١٩٤٩ رئيس حكومته .
عندما لاحظ ان المنظمة قد قضى عليها . وعين مكانه فنياً من عائلة

مصرية هو حسين مري ، وبدأ سياسة تقارب مع اوفد ومع بعض
مصريين في احدث تنظيم محمود ممدمة الاحرار المسلمين كانت لجنة
بقيادة مصصرية وقد حاول القصر ان يجتبي فداحة الحراك . كناه
في بعض ستره وراء اطفال . فداحة ه . ولكن لمارة كانت نحر
في قلوب الوطنيين الحقيقيين .

وكذلك انشأ اصحاب الاحرار الذين انضموا الى الحركة قبل
حرب ايلول التي اندلعت تقريبا ١٩٤٨ وانضموا الى صفوفهم الثناء القتل .
استمر حديدا في القاهرة وفي الثكنات وتشكلت لجنة تنفيذية من ثمة
أعضاء هم :

حسن عبد الناصر ، كمال الدين حسين ، عبد الحكيم عامر ، حسن
براهيم ، عبد النعم عبد الرؤوف ، صلاح سالم ، عبد لطيف
المرسي ، محمد محيي الدين ، نور السادات ، ابي كمال لا يزال
خارج الجيش عام ١٩٤٩ والذي سيعاد اليه عام ١٩٥٠ . وقد تحولت
هذه اللجنة الى مجلس للثورة فيما بعد ، ما عدا عبد المنعم عبد الرؤوف
الذي اقصي عام ١٩٥١ بسبب انتمائه الى الاحوان المسلمين . وثمة
أوامرهم ، كثير من نقيده بأوامر المنظمة السرية وسيضاف الى القائمة
ركبنا محيي الدين ، حسين اشافعي ، عبد المنعم ابي ، ويوسف صديق
مصصور ، وهذان الاخيران اقصيا فيما بعد لميولهما الشيوعية .

وكان مخطط الثورة الذي وضعه جمال عبد الناصر قبل حرب فلسطين
يتضمن مرحلتين تؤديان الى تحرير مصر من الاستعمار ، وحليفه لافلاء
والرأسمالية ، المنكائين معاً للابقاء على عبودية الشعب المصري . كان
يجب ان يُنشأ جيش كبير كما ينبغي ان تتحقق لعدالة لاجتماعية والديمقراطية
الصحيحة :

في تشرين الاول سنة ١٩٤٩ في اجتماع مري في بيت عبد الحكيم
عامر ، تقرر ان تنقسم على خمس سنوات مراحل لتحقيق مخطط الحرية

ويجب ان اتصال صد الاستعمار هو في رأس هذا المخطط . وقد تأخر
جهاز خاص مهمته اعداد الفدائيين .

وكذلك بعض اعضاء اللجنة التنفيذية اقامة علاقات مع القصر وكبار
اصناف وديك للحصول على معلومات وتوريد الشكوك .

وكان صلاح سالم يعرف شخصياً المشير حيدر باشا ، المدير العام
اساقى للسجون ابي حمل معه فاروق فائز عملاً ليحيش فأتى على
علاقته معه بفعل ابيه معلومات لا قيمة لها او معدومة ، ويحصل منه
بالمقابل على معلومات بالغة الاهمية .

والمر السادات الصديق القديم للدكتور رشاد ، كان يستعلم عن طريق
هذا الصديق المقرب جداً من المدك شكوك وتحريات المواليس السياسي
المتعلق مباشرة بالقصر ؟

وكذلك الجمعية السرية مؤلفة من خلايا تضم كل منها خمسة اعضاء
يعرف كل منهم بدوره خمسة اعضاء آخرين والاعضاء المحدد كانوا
لا يتجاوز في الخلايا الا بعد تحقيق دقيق عن خصائصهم وسوابقهم . وكل
عضو كان يدفع رسماً شهرياً الى صندوق المنظمة .

واول ظاهرة من نشاط المنظمة التي أعيد تشكيلها كان توزيع منشور
على الشعب كتب بخط اليد وطبع على « سنسل » . وفي هذا المنشور
الموزع في تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ توجه الضباط الاحرار ببدء الى
المصريين جميعاً بدسوتهم فيه الى المطالبة بتحرير الوطن من القوات الاجنبية
وعمل كي يعطي درس فسطين المرير ثماره

كان يجب ان يُعاد تنظيم الجيش ويحسن تدريبه وتسليحه ، ويجب
الا يكون اداة في ايدي الحاكمين يستخدمونه في حفلاتهم واستعراضاتهم .
وقادة الامة يجب ان يكفوا عن تبذير ثمرات البلد في البذخ والتراف
والميسر . يجب ان يرفع مستوى معيشة الطبقات الفقيرة التي تنحصر
من الجوع .

و... ربه رتبة ثلث ولأولها بحسب ان يوضع لها حد
وف... وضع... مشور في صدوق بريد ضابط الاركان العبد
... من... بن حسين وجمال عند الناصر وصالح... فيها قام
... و... و... مشاة و... وسلاح الحوكل من ركريا محي
... و... اسعد... وحسين... وحسن ابراهيم وثروت
... و... وحسين و... ابراهيم الصحاوي

وأحدث المنشور في قيادة الجيش وضبطة . وفتح ملف خاص باسم
« مصاطب الأحرار » ولكن المحققين صاعقوا بين المنشور والاولهم في
مخبرهم عن كاذبي هذا المنشور .

وفي انقصر استنشاط فاروق عضداً وأمر بوليسته الخاص باستخدام
جميع الرسل لكشف اسماء هؤلاء المحتجين الوجيهين . في ذلك الوقت
بات تقرب القريب مصطفى كامل صافي من التقدم حال عند الناصر
واعتاده تفصيلات هامة عن الجمعية الوصية السرية . التي كان قد كونها
في الجيش بمساعدة الملك فاروق السرية . وعرض عليه دمج مضمته مع
مصلحة اصاط الاحرار . وقد تظاهر جهر كما يروي الور السادات
بالرهشة هذه الامور . وبدل جهده كله كي يقع لقيب بأنه لم يكن
بدير اية منظمة سرية .

وهكذا يحجج المقدم جمال عبد الناصر بموهبته وقدرته اعائقة على
الاحياء في ادارة الشبكة المتزايدة من الضباط الاحرار ، دون ان يلفت
الانظار ويثير اشكوك في قيادة الجيش والدوليس السري السياسي ،
ودون معرفة اعضاء المنظمة انفسهم بأنه هو الذي كان يمسك زمام
المعركة . ولما انتحوه رئيساً للحمة التمييزية عام ١٩٥٠ اتخذ لنفسه اسماً
مستعاراً « زعدول » وهذا الاسم كما يتصلون به زيادة في الحذر
و-دول من الدوليس السياسي الذي له آذنه في المديرية المركزية في
القاهرة .

كانت مدة جلوسه في السجن من حيث المدة نحو خمس سنوات وثمانين يوماً حيث لم يكن له الحق في
الرجوع إلى بيته من حيث المدة. وكان له الحق في الخروج من السجن في أي وقت يشاء من أجل العمل في
المنشآت الحكومية. وكان له الحق في السفر من أجل عمله. وفي سنة ١٩٤١ ودر
العام معارك في الجيش، وبعد ذلك في عام ١٩٤٩ وسمح له بالعودة إلى الكويت
وفي سنة ١٩٥٠ - ١٩٥١ كان له الحق في العمل في مدرسة أركان الحرب،
حيث كان يعمل في إدارة المدرس، وكان له الحق في العودة إلى الكويت الحرة
بعد ذلك وتحت إشرافه من إدارة مصلحة السجون، ثم جاءت الحرب
والتفريق إلى المراكز القريبة من الكويت. ولما جاء من الكويت إلى دراسة في الكويت
ساربع الأسابيع واستراتيجية في الكويت في الكويت في سنة ١٩٤٨ ودر
منها كثيراً.

وحلال سنة ١٩٥٠ فاحت رابحة المضامح المتعلقة بتموين الجيش .
والصفت كلها بكسار الضبط وبالعائنة المدكة نفسها . وعندما بدأ ديوان
المحاسبة تدقيق العماليات المالية لعامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ لاحظ وجود عدة
مخالفات . فقد رصدت مبالغ باهظة للرشوة وذخائر فاسدة كانت قد
اشترت . وبينما كان الضباط والجنود يقاسون الامرين في فلسطين
ويتألمون ، كان هناك في القاهرة اناس بلا ضمير ولا وجدان يثرون
عن طريق تموين الجيش .

اجل ، لقد قفزت موازنة الدفاع الوطني في سنة ١٩٤٩ من ٦٣ الى ١٩٣ مليون جنيه . اذ ان فرقة مدرعة قد سُكِّت ، ومصانع حربية اقيمت . ولكن الضباط الاحرار لم يكونوا يثقون في اولاك الدين يتولون امور تلك الموارنة . لقد اكتشفوا ان اللواء سري عامر رئيس اركان حرس الحدود ، قد اشترك في عملية بيع الجيش المصري بأسعار مذهلة ، دخائر كانت الجيوش الاجنبية قد حازتها وراءها في الصحراء العربية منذ الحرب العالمية . وداع الحر واشيع ان المدك له يد في هذه الصفقات المشوهة .

وجاء المقدم عبد الحكيم عامر الذي كان مساعداً للواء محمد نجيب في فلسطين ، لريارة رئيسه في المستشفى حيث كان يداوى من حروح خطيرة كانت قد اصابته اثناء معارك كانون الاول سنة ١٩٤٨ ، ثم ذهب لزيارته في مدرسة اركان الحرب حيث كان يلقي محاضرات وفي احد الايام رآه برفقة المقدم جمال عبد الناصر . وفي مرة اخرى كان برفقته المقدم صلاح سالم .

وبدأ الضباط الشاب ، بعد عمليات التفرب الحذرة هذه ، يطعنون محمد نجيب كبيرهم على امانتهم وعلى برنامج الضباط الاحرار . فقل اللواء ان بسخرط في المنظمة السرية غير انه لم يلعب فيها دوراً ايجابياً ، ولم يتعرف الا الى قسم من اعضاء اللجنة التنفيذية . وفي تقارير متعددة ومقالات لادعة موقعة بامضاء جندي مجهول منشورة في مجلة روز اليوسف قام اللواء محمد نجيب بحملة ضد اموضي والفساد السائدين في الجيش . وكان الضباط الاحرار في منشوراتهم يقودون المعركة نفسها . وفي نهاية سنة ١٩٥٠ كانت منشوراتهم قد اصبحت مجموعة لاهية بالهديد ضد العهد تقض مضاجعه بعنوانها « صوت الضباط الاحرار » .

وسحقني الذي قمت به وزارة الحربية ، تحت ضغط الرأي العام كنت عن لائحة طويبة من اسماء اشخاص كذبوا قد قوضوا سمعة

ورشوة من تجار الاسلحة ، غير ان المدعي العام تلقى امرأ موحود
تحميد الخنيفة في الوقت الذي اصححت المصباح فيه كبيرة جداً . نظراً
مباشرة الملك ويطانته .

وان فضيحة الاسلحة اُضيقَت في حريف سنة ١٩٥٠ فضيحة الورصة ،
اد كن اعضاء في الحكومة الوفدية مع زوجة رئيس الحكومة مصطفى
المحاسن نفسها قد اشتركوا في مفاوضات في بورصة القطن في الاسكندرية .
وأدت عمليات الاحكار والسلاعب بالاسعار الى تضخم خطير موقت في
سوق اسعار القطن . وقد اضطربت الحياة الاقتصادية في البلد من جراء
المفاوضات الجريئة التي لحأ اليها المحتكرون الذين فقدوا الصمير والوجدان .
وظلم كبار الرأسماليين بدوا اكثر مشاعة اذا عرفوا كم كانت الطبقتان
الموسطة والمفيرة تقاسيان وتنالمان من غلاء المعيشة . والملاح الصغير الذي
كان بسبب حاجته الى المال قد باع قطعه وهو لا يزال في الحنل قل
جسيه . وساء ان يرى اسعار القطن ترتفع ثلاثة اضعاف بعد وصوله
الى ايدي المحتكرين .

وبالسنة لجمال عبد الناصر ورفاقه الدين كانوا يعيشون بتواضع من
مرتباتهم الضئيلة ، والذين ما زالت تاوي في آذانهم اصوات المدعية
الاسرائيلية والذين احتفظوا في مخبائهم بصورة مؤلمة لعرب فلسطين
امطرودين من ديارهم ، كان محرد التفكير في ان الملك ويطانته قد اثروا
من هذه الحرب لا يحتمل . وقد رسحت مفاسد الرأسماليين من كبار
تجار القطن الى كبار اصحاب الاملاك في اذهانهم الاعتقاد بأن الملاح ،
والعامل ، والموظف الصغير ، والمصري المتقف الشريف ، يجب ان
يُحموا جميعاً من احكار الانقضاء ورأس المال .

الوفد ينقض معاهدة التحالف مع بريطانيا

عاد حزب الوفد الى الحكم بعد الانتخابات التي حوت في تموز سنة ١٩٥٠ ، وكان يضم آشد مواطنين ومسيين محصبين وملايين كباراً ومخترين سياسة ، حل همهم ان يستعدوا وضوهم الى الكرسي للكسب الشخصي والاثراء على حساب مصالح الامة .

وكان ان استؤلفت المفاوضات مع بريطانيا بشأن الجلاء عن مصر والسودان من جديد على عهد الوزارة الوفدية .

وبعد خمسة عشر شهراً من المفاوضات والمناقشات المملة ، تمسك خلالها كل فريق اي ما لا نهاية بوجهة نظره ، دون ان ينوصل الى اقناع الفريق الآخر . فكهوت الجو ، وكان الرأي العام المصري يحارب بنقصر المعاهدة مع بريطانيا وجلاء القوات البريطانية . وكان الجميع ، رجال السياسة والصحفون يرددون ان معاهدة سنة ١٩٣٦ كانت قد وقعت في وقت كان المستعمر الاخير في فيه برهب المصريين بخطر الاحلال الماشستي لوادي النيل . وبين الاستعمار البريطاني الذي عرفته وتحماته ، وبين الاستعمار الابيطالي الذي خصره على الحدود ، فصات مصر آتذاك الاستعمار الاول الذي لا تمتك امكانية دونه عنها . ولكن الاحوال ما لبثت ان تغيرت وتنتصرت في الحرب الحديثة

لجنة ديمقراطيات المناذبة بحرية الشعوب ، ولم يعد هناك أي أثر
لمحطرين مصري وانعاشني . ومصر الآن عضو في الأمم المتحدة التي
بمصر فيها أول ما ينصرص تأمين السلام الدولي واحترام حقوق الشعوب
الصغيرة . ولم يبق على مصر ، لا أن تعمل للتخلص من الحماية البريطانية
ومن المعاهدة التي تعطي لفريق قوي حق احتلال قسم من أراضي الفريق
الثاني الضعيف .

وعلاوة على ذلك كان المسؤولون المصريون يقولون ان المجلثة نفسها
لم تحترم بروت معاهدة ١٩٣٦ لقد سمح لها ان تبقى في مصر عشرة
آلاف حدي واربعمئة طيار واستمادت من هذا البند لتني لنفسها
قعدة عسكرية ضخمة في منطقة القدة وضعت فيها ستين ائمة من
حودها وهذا الاحتلال لقناة السويس كان مخافاً ولا شك لسود معاهدة
سنة ١٨٨٨ المتعنة بضممان حياد الطرق المائية وتأمين الملاحة الدولية فيها .
هذا وقد قابل المناوصون الانجليز الحجج المصرية برودتهم البريطانية
والمدا السياسي البريطاني القائل : « اني هنا ولذلك سأبقى » ، كإن
الوضع الراهن لا يمكن ان يتغير إلا بفرض اتفاقات جديدة .

عندئذ ، بفضل ضغط الجناح اليساري للشبهة الوفدية ، اتخذت
الحكومة المصرية قراراً خطيراً فدعت الى جلسة استثنائية صدق مجلس
الشواب المصري بالاجماع في السادس من تشرين الاول سنة ١٩٥١ نقض
معاهدة التحالف المعقودة مع بريطانيا في ٢٦ آب سنة ١٩٣٦ والاتفاقات
المعقودة معها بشأن السودان في ١٩ تموز سنة ١٨٩٩ ، وأعلن فاروق
ملكاً على مصر والسودان . فقامت على الأثر كل من بريطانيا وفرنسة
وزركية محاولات مشتركة للابقاء على مصر في الطاق الدفاعي عن العالم
العربي . وعرضت هذه الدول على مصر توقيع ميثاق رباعي يؤمن سلامة
الشرف الاوسط . نحو اثره القوات البريطانية من منطقة القدة ليحل
محس قوة دولية تقدمها الدول الاربع الموقعة على الميثاق . غير ان مصر

رفضت ، وكان الرأي السائد ان توقيع ميثاق كنيه من شأنه
يكرس شرعية حلال قسم من الاراضي المصرية بثوت تحت دول
اجنبية عوضاً عن دولة واحدة .

وشعور الغم المتكسر من طغى شعوب كد يتضي بوحوش بناء
مصر بخارج النزاع الدائر بين الكبار وبصورة خاصة لم تكن اشبه
الترابدة الممودة في الحياة السياسية معتد بوجود احقر رومي . وانك
الدين كانوا يعتقدون بوجوده كانوا يرون في عصر شبه الحديثة من
من الافضل لهم لا يقيموا في بلادهم قواعده عسكرية عربية . لك
يجب بذل المستحيل لحمل الاخبار على احلاء قوتهم . وحتى لو بقيت
هذه بالذوة في مظنة اقامة . وكان يبدو من الافضل لمصر ان تعين
عدم ارتباطها بالمعسكر العربي حتى لا تصحح فيما لو حصنت حرب
جديدة كوريا ثانية .

وكان يوجد في مصر افراد قلائل يعتقدون ان مستقل مصر معق
بشحات وثيق مع بريطانيا انه رأي حافض عثماني ، وهو طبيب سابق
تحول رجلاً سياسياً ثم رجل مال . لقد كان سفيراً لمصر في لندن حيث
وطد لنفسه علاقات الصداقة في الاوساط السياسية والثقافية وفي عالم
الاعمال . لقد عرف الانجليز في بلادهم ، واستقنته السجبة لبريطانية
استقبال اللد لند ، لذلك لا يشعر بأي مركب نقص عندما يتعامل مع
الاجانب . وبعد ان اصبح وزيراً للخارجية تولى رئاسة بنك مصر وأسهم
في تطوير النواة الكبرى لشركات المصرية . تلك النواة التي حررت
تدريجياً اقتصاد وادي النيل من السيطرة المالية الاجنبية . وكان يعتقد
كأحد ماهر فيما مضى ، بأن مصر يجب ان تلعب ورقة الحلفاء العربيين
احمي نفسها من الخطر الشيوعي وتفيد من المساعدة المالية الاميركية .
ولكن احمد ماهر كان قد اغتيل عليه يد افراد منظمة الاخوان
المسلمين . ويجب الاعتراف بأن هذا المفهوم الموالي للغرب الذي كان

يدين به هؤلاء لم يكن يقول به صواب
اشعور السائد في البلاد .

كان هناك سياسي مصري آخر أشد منه حذراً من انحصار الشعور
الوطني مع برقيسية ، انه عند اندلاع عمود
السكواش الذي أصبح هو الآخر سفيراً للاردن في بلاط سان جيمس
وفاروق الذي أصبح لا يبعد ان يعود الى الحكم
علاوة المبرية مع لاجئين ساميين
لدى عن طريق المصير الشاب المشهور في الاردن
وإذا كانت الألعاب المدنية تنسب الى السنة وصولاً الى الانشورين
ورحب الاعمال الذين تربطهم علاقات
وتتناهى مع اولئك الذين كانوا يسمون
في معركة صارمة لاجلاء الموت الرياضية

وكان هذا الشعور هو شعور جمال عبد الناصر الذي رقي في رنة
عقيد في الثامن من ايار سنة ١٩٥١ وعين مدرراً في كاية اركان الحرب
في التاسع والعشرين من تشرين اثنى سنة ١٩٥١ وكان وجود الجود
البريطاني بانسة له في الاراضي المصرية في حد ذاته بعيداً
هؤلاء كانوا يطحنون هواء مصر الحر ، كما كان يقول لرفاقه في كبة
أركان الحرب قبل حرب فلسطين .

وإذا كانت حكومة مصطفى النحاس قد أعدت بنص معاهدة سنة
١٩٣٦ من ذلك العمل قد تم تحارباً مع شعور جمال عبد الناصر وأمنائه
الذين يعبرون عن رأي الامة الصادق
طاعناً في السن ، وكان يتأثر كثيراً بزواجه الشاب المنحدرة من عائلة
ميسورة معنادة على اندخ وانرف
الغني فؤاد سراج الدين كان ارفعيم الحقبيني يومه حتى ارغم من ان
الزعامة الاسمية كانت لمصطفى النحاس
وإذا كان سراج الدين وقدة

حزب الوفد السياسيون قد وافقوا على احرار حطبر كندس الامم مع
بريطانية ، وذلك لأن موجة جديرة عميقة كانت تنصب راند . واذ
اعتبارات الحذر والمصلحة الدانية قد تحدثت بعض حركة الرأي الموهوسه
لقد قيل بأن انتصر وقادة الوفد المنهيين بالاحتمال في عمديات صعدت
الاسلحة واحترارات الفطن قد شتوا هذه الحمة السياسية ضد بريطانيا
لتحويل انتباه الرأي العام عن المجاملات التي اتهموهم بارتكابها ومن
المحتمل ان تكون هذه الاعتبارات قد لعبت دوراً في القرار المتخذ
ولكن هذا دور لم يكن مندوقاً والواقع ان الزعماء الوفديين ساروا
وراء قطيعهم عوضاً عن ان يقودوه الى مهاجمة المراكز البريطانية .

بعد مرور اسبوعين على اعلان نقض المعاهدة الاخيرة - المصرية
حضرت في القاهرة المؤتمر الوطني لمصحات اشية من مجلس الاحرار
حيث توقفت الاحراءات التي بحب اتخاذها لاحلاء القوات البريطانية
وكان محمد صلاح الدين الوزير الوفدي الشاب للشؤون الخارجية ، الشخصية
السياسية الوحيدة في حزب الوفد التي حضرت المؤتمر وكان يحس
عن يساره مقبي فلسطين الأكبر الحاج امين الحسيني ، وعلى يمينه رئيس
الحزب الوطني جعفر رمضان ، ولم يحضر أي عضو من أعضاء الحكومة
أو أي زعيم من الزعماء الوفديين الآخرين ، حتى زعماء الاحرار
الدستوريين والسعديين غابوا ايضاً عن ذلك المؤتمر .

وقد طالب المؤتمر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا ،
ومناطعة البضائع الانكليزية . وسحب الارصدة المصرية من المصارف
البريطانية ، كما طالبوا بأن يتوقف الاربعون الف عمل مصري الذين
يعملون في المعسكرات البريطانية عن أعمالهم ، وبأن تنصع الدولة من
احصاء والمراكة عن القوات البريطانية .

وبالاضافة الى ذلك طلب المؤتمر من المسؤولين تدريب المصوبين
على استخدام السلاح المناوشة لحوادث البريطانية واطلاق راحها .

وفي الثالث من تشرين الثاني سنة ١٩٥١ من اعلان ان
لحضور دورة الامم المتحدة ، في جنيف ،
محمد صلاح الدين المصري الذي اوضح بمصوحاً ان الشعب المصري
لأنشره في « جورنال دي جنيف » ؛

« ان مصر لا ترغب إلا في تحقيق استقلالها بدمها الابيض
البريطاني الذي شغل كاهن مصرها وممدرتها طوال سبعين سنة
ما زال مستمراً على الرعم من اوعود التي بردها على الشعب
بعد معارك طويده عسيرة بدأت في أحداث الحرب العالمية الثانية
لتستمر طيبة ست سنوات انتهى الأمر بمصر الى قطع كل أمل في الوصول
الى اواع خصها بسطق . ولم يبق أمامها ادن من وسيلة إلا بنفس
معاهدة سنة ١٩٣٦ ان هذه المعاهدة علاوة على ذلك لم تكن متكافئة ،
لأنها « ستدت تحت ضغط الاذلال ولم يعد هناك من مبرر لوجودها
طالما ان الظروف التي أدت الى عقدها قد تغيرت تماماً .

« وأضيف الى ما سبق ان بنود هذه المعاهدة تتعارض مع ميثاق
الامم المتحدة ، والبريطانيون مع ذلك لم يطبقوا من هذه البنود إلا ما
كانوا يحدونه موافقاً لأهدافهم ويخدم أعراضهم وبطيل بقاءهم واحتلالهم
لوادي النيل .

« .. والشعب السويسري الذي يتألف من ثلاثة عناصر مختلفة يتحدث
كل منها لغة خاصة ، والذي يعيش على الرغم من هذا الفوارق في
ظل اتحاد وثيق وتضامن عجيب ، هو أجدر من أي شعب آخر بفهم
الدافع لتوحيد مصر والسودان ومساندة هذا المطيب الحيوي .

« .. ان مصر والسودان تشكلان منذ أقدم العهود السحيقة وحدة
جغرافية واقتصادية . هذا عدا روابط العنصر واللغة والدين التي تربط
بين المصريين واخوانهم السودانيين .

« .. ولكن الانجليز ، بعد ان احتلوا مصر ، استأثروا بالسودان

وبأورا فيه ، تارة عن طريق العنف ، وطوراً عن طريق الحياة ، عملي بعيد المدى يهدف الى قطع أواصر هذه الوحدة .

• وكلمة موجرة يمكن القول ان الاشتراكيين قد تأمروا من سيادتنا ووحدة بلادنا ، ولذلك فرض علينا واحدا ان ندافع عن أنفسنا ضد هذه المؤامرة .

• .. انما مقتنعون بأن جميع المواطنين العرب على حريتهم في أية أمة كانت سيساعدونها في انضامها المقدس من أجل خير وصال .

ان هذا النص بوضوح الموقف الذي اتخذه الحكومة السودانية تحت الضغط الذي كانت قد أحدثته الدعاية الوطنية في داخل حزب الوفد الحاكم نفسه ، وفي الرأي العام المصري بصورة عامة

لقد كان الرأي العام بالاجماع يصاب بالجلال امام عن مصداقية قضية .

وبما يختص بالسودان كان لا بد من انتهاء الحكم الثنائي المنح عن اتفاق سنة ١٨٩٩ . أجل ، لقد دمج هذا الاتفاق الاراضي السودانية بالاراضي المصرية . ولكن بريطانية ، تحت ستار الحكم الثنائي ، كانت قد جعلت عمياً من السودان مستعمرة بريطانية ، وكانت مصر تتحمل قسماً من المصروفات الادارية والتطويرية متساو شراكها الاسمية في حكم السودان .

وكان جمال عبد الناصر ، الطالب الوطني ، قد احتج بعنف عام ١٩٣٦ على المعاهدة الانكليزية المصرية . ولم يكن في استطاعته بعد مضي خمس عشرة سنة إلا أن يبال لنفسها . لقد انتهى الامر بالسياسيين ان الى تبي الموقف الذي طالما دافع عنه في الوقت الذي كان فيه جماعة الوفد ورجال الدولة الواقعيين - من المحاسن ان اسماعيل صدقي - ينادون بأن يربطوا مصر بمصر بمصر بريطانية .

ويمكن القول ان تجربة السنوات الخمس عشرة من الحكم قد رجت لمصر ان تبدأ مع حط أقوى في تسريح معركتها النهائية من أجل استقلالها الناجز :

على الصعيد الدولي كانت مصر قد أصبحت عضو في الأمم المتحدة
وفي القاهرة 'حمل' مقرر جامعة الدول العربية، ومصر قد أكدت شخصيتها
السياسية، وأصبح على بريطانيا أن تأخذ هذا العامل بعين
الاعتبار .

ومن ثم إذا كانت بريطانيا لم تحترم السد الذي يسمح لها بالنقاء
عشرة آلاف حدي في مصر كما جاء في معاهدة سنة ١٩٣٦ فإنها على
الأقل كانت قد أحلت القاهرة والاسكندرية منذ بداية سنة ١٩٤٧
وكذلك في أعقاب توقيع المعاهدة يريد عدد أفراد الجيش المصري
من أحد عشر إلى ثمانين ألف حدي الأمر الذي يتطلب توسيع نطاق
جهاز الضباط . وقبل المعاهدة كانت الكلية الحربية تخرج سنوياً سنة
وثلاثين ضابطاً ، فأصبحت بعد المعاهدة تعد ما يريد على الأقل ضابطاً .
وبمفصل هذا التوسيع في جهاز الضباط أتبع لجمال عبد الناصر أن يدخل
إلى الكلية الحربية في آذار سنة ١٩٣٧ بعد أن كان قد رُفِض في البدء .
وأعطاه جهاز الضباط اطّاع الديمقراطية هو الذي فتح أبواب الحياة
العسكرية أمام عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وزكريا محيي الدين ،
أوفر العناصر حيوية بين الضباط الأحرار . إن الجيش المصري في سنة ١٩٥٠
هو غير جيش مصر لما قبل سنة ١٩٣٦ حيث كان أغلب الضباط بريطانيين
يعاونهم اتباع قلائل من المصريين الموالين للقصر .

فدائيون جامعون ضد القوات البريطانية

على اثر نصص معاهدة التحالف المعمودة في سنة ١٩٣٦ أحدثت بريطانيا مؤكدة ان هذا الاتفاق لا يمكن العاؤه بقرار من طرف واحد من المريقين . ثم لحأت الى اتخاذ اجراءات عسكرية ضد الحملة المعادية لها التي اردادت في البرلمان وفي الصحافة المصرية ورفعت عدد جنودها الى ثمانين الفا في قاعدة القاه ، كما اشتركت بصائرات والصراوات في عمليات نقل الجنود والدخائر بسرعة ادهلت الحكومة المصرية وقيادة الجيش المصري .

وكان اطلاق الجيش الوطني ضد قوات لاحتلال معاه صرب اداء من الحديد ببناء من المنحار . ولم ترزك حكومة الحاس هذه الحققة ، ولم تقطع حتى العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا ، بل اصرت على الدواع بقوة عن وجهة النظر المصرية امام مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، وفي جميع المحافل الدولية التي تستطيع الدبلوماسية المصرية ان تلحها . وفي الاوساط الدبلوماسية العربية وبصورة خاصة في اميركا تكون رأي يقول بأن اجراءات القوة البريطانية من شأنها ان تُنسخ المجال واسعاً امام الدعوة الشيوعية في الشرق الأوسط . وفي مصر نظمت الحكومة الوفدية التي يسيطر عليها فؤاد سراج الدين

قائمة الخطورة .

ولما لاحظ وزير الخارجية تهافت الشبيبة على الانضمام الى كتائب التحرير ، اعلن ان الحكومة مستشرفة بنفسها على تنظيم هذه الكتائب ، وانه سيكون لها نظام مشابه لنظام الحرس الوطني البريطاني وفي الواقع ، في تشرين الثاني وكانون الاول سنة ١٩٥١ انضم الطلاب والعمال والمستخدمون الشباب تلقائياً ورضخوا للتدريب العسكري وقاد محمد صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وثلاثة من الألوية المتقاعدتين الحركة ، وفتحت الحكومة اعتماداً بمئة ألف جنيه لتسويل هذه المنظمة .

في جامعة القاهرة زار المدير الجراح مورو معسكرات لتدريب التي كان المطوعون يتمرنون فيها على استعمال السلاح . وكنت الصحف ان طلاب كلية العلوم قد احترعوا قبلة سريعة الانسجار وتمرنوا على كيفية استعمالها ، كما تعلم بعض الفدائيين على فن المصارعة البابابية وتنسيق الحيطان وزرع الانغام ونزعها :

وهكذا قبضت الحكومة على رمام الحركة الضالقة التي بررت بين الشبيبة لتستخدمها في الوقت المناسب ؛ ولكنها منعت تنظيم فرق المتطوعين الذين راحوا يهاجمون القوات البريطانية في منطقة القناة . لقد منعنها ، في الوقت نفسه أغضت عينها عن نشاط اسدائين الذين يهاجمون الجنود البريطانيين ويمنعون عنهم المؤونة ، ويعاقبون من يتعامل مع الاعداء :

وكان ان احتجت صحف البار وطالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع بريطانيا ولاحراح عن المعتقلين السياسيين وتوزيع الاسلحة على المواطنين المصريين .

وجواباً على ذلك اخذت القوات البريطانية على عاتقها بقيادة اللواء ارسكين ، مراقبة محطة القناة كلها فلم يكن من الحميين الف عامل

مصري الذين يقيمون في المعسكرات البريطانية او الورش التابعة لها الا ان تركوا اعمالهم وتدفقوا على اشدقورة وورعت حكومة قسماً منهم على مختلف دوائرها ودفع تعويضات شهرية لتأمين واستعاضة البريطانيين عن هؤلاء العمال بعد استئجارهم من حرر موريس ومن المستعمرات البريطانية في افريقية . وبما عمل كانت هذه العديبة معدة ، وباهظة التكاليف .

عندئذ بدأت تحصل اضطرابات متزايدة الخطورة في المنطقة المحتلة ، ادت الى بعض الاضرار الانابيب التي ترود المعسكرات البريطانية القريبة من السويس بالمياه فاجاب اللواء وارسكين ، بنسف قرية قائمة بالقرب من امصاتي لتسهيل مراقبة الاحمره وفتح سيارات مصفحة النار على موكب كان ماراً بالقرب من احد المعسكرات معتقدة بأن المتظاهرين يخترقون حرمة المنطقة العسكرية . فيما كان في الواقع موكب حماره منوحهاً الى المقابر . وسقط من جراء ذلك خمسة عشر قتيلاً وتسعة وعشرون جريحاً . وكذلك مرت شاحنة مليئة بشرحة مصريين بالقرب من معسكر بريطاني متحاذٍ لطريق السويس . فأحدث محركها اصواهاً متقطعة . وظن مركز الحرس البريطاني انه يتعرض لهجوم فطلق النار على الشاحنة .

وشياً فشيئاً ، خلفت العمارات الحقيقية للفدائيين المصريين التي ادت الى مصرع احراس اثناء ايلول ، وتقابل التي تفجر في القنصاطرات والشاحات السافرة مؤونة كل ذلك خلق جواً من التوتر جعل الحياة لا تحمل في كل مصعب الشاة . وانهارت الحياة الاقتصادية ، فأفلس التجار ومؤسسات التي كانت تعيش من تعاملها مع الاجليز بعد اعلان المقاطعة وتم الاردم . كان قسماً على تعاون السكان الوطنيين مع القوات البريطانية . والحالة بالنسبة لجيش البريطاني كانت في حالة استئثار دائم ، وشعرت القيادة العليا مع الرمن بأن قاعدة عسكرية في بلد

لا قيمة استراتيجية لها . اذ ان قضايا التموين والنقل والامر كلها بالغة التعقيد وباهظة التكاليف الى درجة يصح معها بقاء القاعدة حياً لا يتناسب مع فائدتها الحقيقية .

ومن ناحية أخرى بدأ أكثر فأكثر ان أهمية قناة السويس في وقت الحرب أصبحت مقيّدة وقسلة ذرية واحدة صارت تكفي لسدها .
وإذا كانت انجلترا تنمساك بقاعدتي فيد وأبو صوير ، فذلك ليس بسبب قناة السويس بل بسبب المجموعة المحموعة لصحة من المطارات والمعامل والمحارن التي أقيمت فيها ، وأكثرها تحت الارض . وكنت كميات هائلة من الدخائر وقطع التبدیل ووسائل النقل مكدسة هناك في العابر ، فإني أرى ان يمكن نقل هذه المواد الحربية ، وكم من السنين يلزم علاوة على ذلك لتشييد قواعد مماثلة ؟؟

لقد بدأ الرأي العام في بريطانيا يتطور شيئاً فشيئاً . وفي مصر كان الوطنيون يعتقدون انهم اذا جمعوا الحياة لا تختمل بالنسبة لبريطانيين في منصبة قناة السويس ، فانهم سيضطروهم في النهاية الى الخروج من مصر والجلاء عنها .

في هذا الوقت بالذات استدعى فاروق عبد الفتاح عمرو من لندن ليجعله مستشاره السياسي ، وعين حذوف عفيفي رئيساً لديونه الملكي . وكان لهذا التعيين المزدوج الذي لقي الترحيب الحار في الاوساط الاجنبية حيث كان تقدير الشخصيتين كبيراً أثره السيئ لدى الوطنيین المصريين ، لا سيما في الاوساط التي كانت تقود المعركة ضد المستعمر وتستعد لتوسيع نطاقها . فإطلاق الشباب من المدارس والجامعات في مظاهرات صاخبة عنيفة واضطرت الحكومة الى ان تقلل المجهود وتعاق

إلديروس حتى الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٥٢ .
وقد اعتبر الوطنيون والاحرار الملاحون والاشتركيون ذلك التعيين من قبل الملك انفصالاً عن ركب الفضال الوطني . د قرب منه انيس من

أكثر أضرار التحالف مع بريطانيا في الوقت الذي وفقت فيه البلاد صماً
وحداً تصلياً ضد مثل هذا التحالف الذي نقضته :
وهكذا فقد استكن انتصار له في حرب عام . وانحصر معمولاً عن
شعبه في وقت كان فيه حتى الحياح اليمني في حرب اومد مسوفاً وراء
الحياح يارب ، واحزاب المعارضة مثل حرب مكرم عبد والوطني
الاشتراكي خاصة أحمد حبيب كسب لا تغل عداء للاخدين عن الاخوان
المسلمين .

وفي الحادي عشر من كانون الاول سنة ١٩٥١ لماسة عيد المولد
إسوي الشريف أعلن المرشد العام للاخوان المسلمين الناصي السابق المضيبي
ان المسظمة التي يديرها لم تدخل بعد في المعركة ضد الاستعمار البريطاني
لأنها تسبب اضراراً على استمارة مواها (كانت الحكومة قد صادرت ما
يقرب من مليون حية بمسظمة) وتطلب اسلحة دون ان تكون ملازمة
بأن تفصح عن اسماء من سيحملون هذه الاسلحة .

وبعد بضعة ايام من ذلك أسارىخ أعلنت الحكومة السماح بحمل الاسلحة
وصرح مدير التفتيش بوزارة الداخلية بما يلي :

« ان هذا القرار الحكيم لا يمكن ان تتخذه الا حكومة حريثة حائزة
على ثقة الشعب ، ليقيم كل مواطن بواجبه ، وليشتر سلاحاً دافعاً يتمرن
على استعماله . لا فرق بين الجنسين . السيدات والاونس عليهن ايضاً
كالرجال ان يتمرن على استعمال الاسلحة لأن الانجليز في عدوانهم لن
يميزوا بين ذكر وانثى . وليشتر المبسورون السلاح وبوزعوه على الفقراء
انها افضل هدية يمكن تقديمها على مذبح الله والامة . »

وكذلك اطلق علماء الازهر بدورهم النداء من اجل الجهاد المقدس ،
وطالبوا بقطع كل العلاقات مع بريطانيا :

ونشرت الصحف صور طلاب كلية العلوم في القاهرة وهم يصنعون
السال ، ظهرت في احداها قاعة الكيمياء حيث يشرح الاساذ تفاصيل

الصنع ويلير القطع وطريقة التركيب على الطلاب المشوقين لمعرفة ذلك .
وفي صورة أخرى بدأ فريق من صحت المعهد الصناعي يحررون على
استعمال رشاشات مصنوعة في المعهد وفي صورة ثالثة طهر طلاب
الصيدلة وهم يفحرون قسائهم الأولى في ملعب الجامعة .

فما كان من « ارسكين » الا ان نشر في اول كانون الثاني سنة
١٩٥٢ التصريح التالي في الصحف الصادرة في منطقة القناة

« لقد أعست صحت نقائهم من فدائين من الشبان يستعدون بترك
القاهرة بموافقة الحكومة المصرية كما يظهر . للاشارة على قوات التي
أفودها في مصفة القناة ، وادا كانت هذه التقارير صحيحة . وادا
حصلت عارات فستضطر الى سحقها بأعنف اوسائل التي في حوزتي
والتي لم نستعمل حتى الآن . وآمل من جميع الاشخاص المسؤولين في
مصر ، وعلى الاخص من ولياء هؤلاء الشبان بدين ساء توجيههم .
يوقنوا هذه الحسارة الآثمة لشباب البلاد ، الذي كان من الافضل له ان
يستعمل ليصبح نافعاً لمصر .

« ان مسؤولية ما قد يحدث هؤلاء الشبان ستقع على عاتق اولئك
الذين سمحوا لهم ان يتصرفوا بهذا الشكل . »
استناداً الى هذا التصريح يُتهم ان الحكومة الوفدية قد ساعدت على
تشكيل الفدائيين الجامعين ، وكانت تعض الطرف عن نشاط كتائب
الوطنية اليسارية وكتائب الانحواء المسلمين ، ونشجع عمليات حرب
العصابات ضد القوات البريطانية ، ولكنها لم تجسر على شن عمل شامل .
كانت تخاف اهراق الدماء التي سينتج عن اصطدام المتطوعين بجيش
مدرب مزود بأسلحة حديثة .

بلا الملك ولا مصطفى الحامس ولا سراح الدين كانوا يريدون ان
يدفعوا بالجيش الى المعركة خوفاً من فشل قد يُعيد الاحتلال الى الاراضي
المصرية كلها .

وإذ كان الجيش قد أُنقِى في معركته من هذا السراع ، فإن السويين
قد تلقى أمراً ، وحيث حربه ، مسوئين ومساعدتهم في عملياتهم ضد
الآخرين وخاصة احتياطي « ملوك بعام » الذين اشترك في عدة
استخدامات وقد أكدت القيادة المصرية أن الملوك عوضاً عن
يقصر عملهم على حماية الإلهي ، كان يساعد المستوطنين في حاراتهم على
القوات البريطانية .

الضباط الأحرار يُساعِدُونَ الْفِرْدَاثِيَّينَ

والآن ، لا بد من ان نتساءل : ما هو الدور الذي لعبه الضباط الأحرار في حرب العصابات بين كانون الاول سنة ١٩٥١ و كانون الثاني سنة ١٩٥٢ ؟ انه من العسير جداً تحديده لأنه قد أحيط بالسرية التامة . وقد كتب الزعيم ثروت عكاشة ، الملحق العسكري الذي أصبح سفيراً في روما ثم وزيراً للارشاد القومي ، كتب في عام ١٩٥٣ في مجلة اشحرير ما يلي : « كما أشبه بخلية النحل ، بعد الفدائيين ، وساعد لانصار ، ونوزع السلاح . »

وفي كتاب « ثورة على ضفاف النيل » يروي انور السادات انه في الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٥١ ، كان في مطعم الجلود في رفح ، المركز العسكري على الحدود شمالي سيناء ، مع عبد الحكيم عامر وصلاح سالم ، فاذا بجورس الهانف يرن . لقد كان ذلك الشخص المتكلم جمال عبد الناصر ، الذي أعلن من القاهرة : « ان تايتل يصل اليوم استعداداً لاستقباله . » ولم يكن تايتل اسم رفيق يجب استقباله ، بل لغماً قوياً أرسل هدية الميلاد لأول وحدة بريطانية اجتازت قناة السويس .

وفي رواية نشرت في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٥٣ في عدد

حاصر من « الورص أجسيان » قال قائد الجناح عبد اللطيف البعدي
نائب رئيس الجمهورية : « كما نقود معركة المدائني ضد الاحير في
منطقة القناة ، ولكن سرّاً . لقد صنعت آتاك لعدماً بالغ القوة أردت
أن ألقه الى القناة . ولم يكن الامر ممكناً إلا في طائفة ، لأن الخطوط
الحديدية لا يمكنها ان تؤمن نقل آلة متفجرة من جهة . ولأن العمل
كان يجب أن يتم بسرعة من جهة ثانية

» وككت الدم . ووضعت كل قطعة في صندوق كبير وكان
من الضروري ان يتم النقل على متن طائرتين ، نهران حركتهما في
العريش . ومن هناك بحري نقل الدم الى الضفة الشرقية للقناة »
وقد حصل عبد اللطيف البعدي . كما كتب ابور السادات « على
معاونة صديقين طيارين ، ووصلت «العواصة المحيطة» الى رقع مملوكة في
أربعة صناديق ثقيلة ، وصعدت فوراً في شاحنة ونقلت الى انقطة
وأصاف الضابط : « لأسباب لا أريد ان أتوقف عندها . لم يتمحّر
الدم وما زال مدهوفاً في موضع أمين في مكان ما من مصر لأن
الضباط الاحرار قرروا ان يتقوه في مكان طالما ان آخر جندي يربط
لم يخرج من منطقة القناة بعد . »

نستطيع ان نفهم من هذا التدبير ان الضباط الاحرار ، كالحكومة
المصرية ، قد ترددوا في الاعمال في المعركة ضد بريطانية . ولم يكن
ذلك خوفاً ، بل تعقلاً . ولو تدخلوا فعلاً ونسفوا في قناة
السويس بارحة حرية بريطانية مثلاً ، لترك هذا العمل صدىً عالمياً
عبد المدى ولربما أدى ذلك العمل في الجبهة الى تقوية التيار الاستعماري
واصناف مركز الاوساط التحررية التي كانت تفتش عن مجال لتفاهم
مع مصر .

وفي تموز سنة ١٩٥٣ ، أعطى المشير عبد الحكيم عامر هو الآخر .
تفصيلات عن كيفية استقبال الاعلام والمفجرات في مطار العريش .

هذه الاعام والمفحرات التي كان انضباط الاحرار بقلوبها الى كتاب
مطقة السويس فقال : « والطريقة التي تستعمل بها هذه الدخائر ، يجب
ان تبقى أيضاً سرية ، لأنها قد تلزمتنا بعد وقت قريب ، في عام
١٩٥٢ لم يكن الاعاق قد وقع بعد ، بشأن جلاء القوات البريطانية عن
قواعدها في مصر » وحكومة الثورة كانت تفكر في اللجوء من جديد
الى حرب العصابات ، اذا لم تؤد المفاوضات الى حل مرضي الكرامة
الوطنية . »

كانت سياسة الحكومة اولى حلال الفصل الاخير من سنة ١٩٥١
اذن متوافقة مع نهج الانضباط الاحرار فيما يخص بالعلاقات مع بريطانيا
وقد واجهت اللجنة التنفيذية للحركة السرية آنذاك امكانية تحقيق برنامجها
الثوري بالتعاون مع حزب « الوفد المتحد » وكلفت ابراهيم احمد
انور الذي سيصبح بعد الثورة رئيس البوليس الحربي ان يتصل بفؤاد
سراج الدين .

وقد استقبله وزير الداخلية في كانون الاول سنة ١٩٥١ في قصره
في « حاردين سيتي » المقابل لدارة العظمة التي كان يعيش فيها مصطفى
الحساس . وتحدث الضابط بدون اية مواربة فافهم محدثه بأن الجيش
سيقف الى جانب الحكومة فيما لو قررت ان « تضع حداً لصرقات الملك
الطائشة ، او تنزله عن العرش بلا مقدمات او عراقيل » . آنذاك لم
يبد على الوزير كبير تأثر لهذا الاقتراح ، على العكس بدا مشغولاً ، على
الاحص . بالصلاحيات التي ، وفقاً للدستور ، خولت الملك اقامة الحكومة ،
حتى لو كانت منمعة بتأييد الاكثرية في البرلمان . وقد طمأن مبعوث
انضباط الاحرار فؤاد سراج الدين ان الجيش في مثل هذه الحالة سيتحرك
وما على الحكومة إلا ان ترفض الذهاب والاستقالة ، ويبقى الوفد في
الحكم بمساندة الجيش ويحقق البرنامج الوصفي والاجتماعي الذي وضعه
انضباط الاحرار . فطاب سراج الدين ابصاحته وتفصيلاته عن أهداف

الحركة العربية وعن عدد المصنفين ايضاً . ثم جاءه سأل " من في
راكم . يصح أكثر يكون أولاً للجيش " ، فقدم المبعوث على سبيل
الصدقة ، اسم اللواء سيف الدين ، الذي لم يكن قد أصر أحد
واعتمد الورر عندئذ بأنه اكتشف اسم رئيس الضباط الاحرار فأجاب
ايظ ان اوعاى " انه انتقاء مكاره " حتى ان ابراهيم الورر اعتقد ان
سراج الدين سيف الدين بالارتياح فكرة ضمائر الوفد والجيش في المعركة
صد احترة وصد ما يُعقب تقدم البلد والواقع كما كتب الورر السادات
ان رعيم الوفد كان يلعب لعبة ذات وجهين فهو لم يُخبر سوى مصطفى
الحاس " مرص الذي قدمته لجنة الضباط الاحرار . وهكذا نشي أعضاء
الحكومة لآخرون يحاولون عرض التعاون الذي يُقدم الى حركتهم . ولم
يتحاصر قصاص الوفديان على الاتياف صراحة في عملية ثورية . ان
تحاس المذهب السياسية لا يؤدي وحده الى توحيد العمل السياسي .

بمكنا ان تتساءل لماذا لم يجر اصباط الاحرار مثلاً اتصالات مع
الجناح اليساري من حزب الوفد ، مع وربر الخارجية محمد صلاح الدين
مثلاً ان أغلب الظن انهم اعتقدوا ان التحالف مع الحزب الوطني
الكبير لم يكن مرغوباً فيه إلا اذا كان يتبع السيطرة على الجهر الاداري
مجموعه . ومن ثم ، في كانون الثاني سنة ١٩٥١ ، كان صلاح الدين
يمثل مصر في الامم المتحدة

ولما لم تكن لضباط الاحرار جواباً من حزب الوفد ، قرروا ان
يعملوا وحدهم . وموقفهم المصعب من الاحزاب المصرية ، بعد ثورة
الايث والشرين من تموز سنة ١٩٥٢ ، يجد تفسيره في فشل العروض
التي كان يصطط الاحرار قد تقدموا بها مراراً الى مختلف الاحزاب
وأما الملك فقد كانوا يحذرونه ويوقنون من انه مستعد حياة بلاده
كما خان الحنبوي توفيق مصر وعرابي في ثورة سنة ١٨٨٢ وكذلك لم
يكن الضباط الاحرار يثقون بأي من الساسة المنحرفين المتعصبين

لتسليمه قيادة المعركة الوطنية . ألم يضعوا على رأس اللجنة الحكومية
للمدائين اللواء احمد المؤاوي قائد الجيش المصري سابقاً في حرب فلسطين .
الذي نهن ان عجزه لا يقل عن غروره . وهذا هو فاروق ، تحت
ستاره إعادة تنظيم الجيش ، يجمع اللواء الربيع محمد نجيب من قيادة
حرس الحدود ليعين مكانه في هذا المنصب اللواء مري عامر . الذي
كان له اليد الطولى في فضيحة الدخائر الاسدية ، المشتراة خلال حرب
فلسطين ، مما ادى الى استياء حمار الضباط بكامله بسبب تدخل امك
المستمر في شؤون الجيش ولا يمكن ان نسي ان اعدام الجند .
والاعتباط والفساد الذي كان معشاً في الدوائر العليا من قيادة الجيش .
كل ذلك كان قد اودى بعدد كبير من الجنود الى احتل المدرع . عبر
الشيوع . والآن بينما كان البلد يحرص صراعاً ضد الامر شوربة
البريطانية ، وبينما كانت تصطدم كائب الطلاب والاحوان المسلمين ،
وفدائي القمصان الحضرة الاشتراكيين ، وشرطة « بولك انباء » نفوت
للواء ارسكين ، كانت عيون البلاد بأسرها مسرة على الجيش ، الذي
راحت صحف اليسار تطلب بالبحاح دخوله في المعركة الصافية . الا
ان الجيش لا يثق في قادته ولا يعتد بوطنية قائده الاعلى امك فاروق .
في السادس من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ ، كان موعد انتخاب
اللجنة التنفيذية لنادي الضباط . وكان معلوماً ان الملك يعطى ويؤيد
ترشيح اللواء مري للرئاسة . فقرر الضباط الاحرار ان يقدموا لائحتهم
وعلى رأسها اسم اللواء محمد نجيب ، وقائد الجناح حسن ابراهيم والزعيم
زكريا محيي الدين . اجتمعت الهيئة العمومية في النادي وبدأت اعمالها
بالوقوف خمس دقائق صمت حداداً على الشيب عند انقادر طه الذي قبل
انه اعتزل على يد البوليس السياسي العامل لحساب القصر . ثم انتخب
محمد نجيب رئيساً بأكثرية ٢٧٦ صوتاً مقابل ٥٠ صوتاً باسم المرشحة
اللائحة محمد بن . كي فار مرشحوا الادارة الذين قدمهم امك

أكثره ساحفه وحمل عدد أصغر الذي عدد الاستعانت ودام الحكم
الدعائية . بقي في القل وراء أسوار . وجواباً على هذه الصفقة التي
وُحِثت إلى الملك غصب مازوق وأعلن أن الاستعانت سعى وأصر
على تعديل قانون "أ ب" ومع ذلك بقيت النتائج الممنوية هي هي : لقد
اثبت الحضاظ أنه أن الحيش معهم . وأن الملك وراثته لا اعتبار
هم فقرررو تقديم موعد الثورة المحدد مسبقاً سنة ١٩٥٧ .

مذبحة الاسماعيلية وحرق القاهرة

ازدادت الحدة خطورة في منطقة القضاة في كانون الثاني سنة ١٩٥٢
اذ تسلل متطوعون في الليل الى معسكر التل الكبير . وقد استولوا
كبير للذخائر والعتاد الحربي ، يقوم بين الرقازيق والاسماعيلية . فحصلوا
داخل الدبابات وراحوا يصلون الحراس البريطانيين نراة حية و انتهى بهم
الامر الى الاعتقال والسجن ولكن بعد ان قتلوا عشرة جنود
بريطانيين .

ان التل الكبير . مكان تاريخي . وبالتقريب منه عام ١٩١٧ . قهرت
قوات الاحتلال البريطانية جيش عرابي الوطني
وفي التاسع عشر من كانون الثاني . في رشح البور هذه المرة ،
هاجم الفدائيون المصريون من جديد حامية التل الكبير . فاجاب اللواء
ارسكين على ذلك بأن سجن اقوة المحلية من بواك الحسام . متهدداً
ايها بتسليم اعمال القديسين عرضاً عن الحراس من الحسام
على اثر ذلك اعلن سراج الدين انه اذا ما دونه البريطانيون مرة
ثانية تجريد قوات اخرى من البواك المصري . فان ذلك لا سيموتون
بالسلاح .

وفي الاسماعيلية ، المدينة التي تقع وسط منطقة القضاة .

و بلوك نظام » يقبضون في ثكنتين نحصان الحكومة وكانت هذه
القوة من الدليس بقيادة النقيب ابراهيم رفعت ، الذي كان قد عباد
مؤخراً من احذرة حيث قام بنمرين للدراسة أنظمة الدليس لاجيري
وككل المصريين الذين اقاموا في لندن ، كان للصابط علاوت طيبة
بزملائه البريطانيين

في الخامس وامشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ عند المحر ،
طوق اللواء ريسكين ثكنتي « بلوك المصمم » بالذخائر والسيارات
المصممة واحتاج المكان اكثر من ارب وحسمائة حمدي . وعند الساعة
السابعة صباحاً ، اندر النقيب رفعت بتسليم اسلحة رجاله . فاقبل النقيب
هانياً باسامة وأمره فؤاد سراج الدين ، وزير الداخلية ، بالرفض
والمداومة معها كك الامر وذلك لان التسليم كان من شأنه ان يفقد
الحكومة ماء وجهها ويؤدي عملياً الى انهاء « حرب القضاة » .

أضحت لقوات البريطانية البار على الثكنتين . فرد عليهم رجال
البلوك بادحائر اقليلة التي كانت في حوزتهم وعندما دفع النقيب رفعت
العلم الابيض ، وطب باللغة الانجليزية وقف اطلاق النار لقتل الجرحى
رفض الصابط البريطاني قائد العملية الاستجابة الى طلبه وكان ان سقط
سنة واربعون شهيداً من رجال البلوك واثنان ومبعون جرحوا . ولم
تسلم القوة المصرية الا بعد ان نفذت منها الذخيرة .

وما كاد بدأ هذه المذبحة يشيع حتى هبت القاهرة عن بكرة ابيها
بثائرة اكرامتها ومجلس الوزراء الذي عقد جلسة مستعجلة في الليل ،
قرر ان يقطع العلاقات مع بريطانيا ، ويرفع شكوى الى مجلس الامن
التابع للامم المتحدة ، ويعتقل كرهائن ثمانية شخصاً من الجالية البريطانية
في القاهرة .

وأخذت الشبيبة الوفدية تنظم مظاهرات صاحبة في ..

... على البريطانيين

وكذلك نقابات العمال قررت مقاطعة الشركات البريطانية . وبعثت
المناطقة في مساء اليوم نفسه على مسافري خطوط الطيران البريطانية الذين
وصلوا الى مطار القاهرة .

وصالت الاحوان المسلمون بإعلان الجهاد المقدس ، وأعلنوا ان
الحكومة لم تعرف كيف تسلح افوى لمحاربة الانجليز ورغوا في اشراك
الجيش في المعركة الوطنية .

وفي الود انقلب المظاهرات الى اضطرابات وشب أكثر من اربعائة
حريق هنا وهناك في القاهرة التي اصحبت في ايدي الموحدة .

وفي مقالة أرسلتها الى « حورنال دي حيف » بعد يومين من ذلك
التاريخ ، وصفت كما يلي مأساة السادس والعشرين من كانون الثاني
سنة ١٩٥٢ .

بدأت الاضطرابات في نهاية الصباح ، في الوقت الذي كان فيه
القسم الأكبر من رجال بوليس القاهرة مختبئاً في باحة الجمعة ، تفصله
الجزيرة وفرعا البيل عن وسط المدينة . وكان رجال البوليس مصريين ،
احتجاجاً على الاحداث الاحيرة التي وقعت في الاسماعيلية ، حيث كان
اللواء ارسكين قد طوق المركز الحكومي في المدينة ، وثكنتي ابوليس ،
والمركز الصحي ، واندحر قوة البوليس بتسلح اسلحتها . وبناء على امر
وزير الداخلية السيد فؤاد سراج الدين قاوم البوليس حتى بعدت ذخائرهم
وكانت حصيلة المذبحة سنة واربعين قتيلاً وأكثر من خمسين جريحاً .
ان احداث الاسماعيلية ، حيث تعرض رجال البوليس الذين كانوا
مزودين ببنادق غير صالحة ونزر بسير من الدخيرة لمحووم ساحق من
القوات البريطانية المزودة بالرشاشات ومدافع الهاون والدبابات . قد اثارت
زملاءهم في القاهرة فتوجهوا الى الجامعة لينظموا مع الطلاب مظاهرات
معادية لبريطانية . وسارت طائفة من المتظاهرين ، تحمل رجال البوليس
من اكاديبها وتحالب بالاسلحة . واتجه قسم منها في صباح ان من

رئاسة الوزارة وحتى الى جوار قصر عابدين

« وقد انتهت المنظمة الثورية التي يقودها احمد حسين الفرصة واستفادت من حلول القاهرة من البوليس فبدأت تنفذ مخططاً لتهب الشركات والمباني البريطانية الموحدة في المدينة ، وكذلك المؤسسات ذات الصيغة الرأسمالية بصورة خاصة وفي صحافة اليسار كما في صحيفة الاخوان المسلمين ، كانت قد ارتفعت احتجاجات حادة . في الحقبة الاخيرة ضد اميسوريين من سكان القاهرة الذين ما زالوا يرتادون امكن الهو والسيمات والحانات ، وبشرون السيارات والكمالات العالية في وقت كان المواطنون الغزل يضحون بحياتهم وبهايمون البريطانيين في مظلمة قاعة السويس . وكانت صحيفة « الاشتراكية » قد نشرت لوائح بأسماء المؤسسات البريطانية . والبيوتات التجارية التي تتعاضد مع قوات الاحزاب البريطانية . وكانت قائمة المباني التي بحكمها وحرقتها ، تضم ايضاً فنادق مثل « شرد » و « وندسور » التي تخص بالبحريين او سويسريين ، ومحلات الحلويات المخمخة والشعبية ، وعلى الاحصاء محلات « حروبي » المعروفة جيداً بأنها سويسرية . فثارت الجماهير ونهت واحرقت محلات كبرى مثل « شيكوريل » و « شلا » التي يؤمها ارباب من الطبقات المسورة والمتوسطة وكان جنود التحريك الذي قاد المتظاهرين الى العمل غريباً تقريباً حتى انهم صاروا يهاجمون كل مؤسسة يمرون من امامها ، خاصة اذا كانت اجنبية .

« انه فعلاً مطار مؤلم ان يرى رجل يحمل شوارع القاهرة آنذاك في تلك الحالة . فهو ومما انبأ به وزجاجات مكسرة تكادست اعمى شلال فمكت ابوابها الخشبية ، رفعت بواسطة الرافعات الحديدية . وشمع وكالات تركت لرمش « كريزلر » و « ستيدويكر » تكادست في الطريق ممدوعة من الدراجات تريد على الخمسين أصحروا فيها النيران .

« وعلى الرغم من أن المتظاهرين كانوا يفصلون مهاجمة المؤسسات
التي تتعارض مع مبادئ الأخوان المسلمين المرموقة ، فإنه يبدو أن هذه
المصحة لم تشترك فعلياً في الحركة الثورية التي حصلت بها الستة ، وفيما
أن الحزب الاشتراكي الشيوعي فكر أن يستغل الاضطرابات التي
الحكومة وتسلم قيادة البلاد

« وقد قام بإشغال البيوت صبية يحملون قطعاً من الخشب يرمونها
بالسزير وكنوا بتلويح على ... يصير مرفوعة ... لهم المحزون والمؤسسات
المحكمة التي لا تسمح لهم امكاناتهم وتوحيها ... رجال البوليس الذين
كانوا مرحودين ، لم يحرکوا ساكناً بل تركوهم يعملون ما يريدونه
بلا مبالاة ، مدعاة اذ كانوا يفتقرون أشد القسوة بسبب مصحبات التي قد
رجال البوليس وكثائب المذائيق في منطقة القنطرة ... وعداوة حتى ذلك
فان المطوعين ، الذين اضطروا الى ترك منطقة الاسماعيلية - اس الكبر -
على اثر الاجراءات التي اتخذتها القوات البريطانية مؤجراً . قد عدوا
الى القاهرة فوجدوا فيها اوف العمال الذين كانوا يعملون . فيما مضى
في المعسكرات البريطانية في منطقة القنطرة ، والذين يقضون اليوم . من
الحكومة تعويضاً زهيداً . وهؤلاء العمال الذين يدمون مسجونين
عامل كانوا فيما مضى يقضون اجوراً مرتفعة من عملهم في المصالح
التابعة للمعسكرات البريطانية . وهم يشكلون مع عدلائهم مجموعة ضخمة
من السكان وقد اقام قسم منهم كيفما كان في الريف المصري المكثف
بأهاليه بينما لجأ القسم الآخر الى القاهرة حيث تنافس المساكن الحقة على
العموم ، مع الاقارب والاصدقاء . ويمكننا ان نتصور كم هو سهل عن
المحرضين اليساريين ، سوق هذه الجاهل الجاهلة الى القيام بعمل ثوري
صد الأتليز اولاً ، وضد الاجانب « والاغبياء » بصورة عامة

« والامر الذي لا يمكن ادراكه ان وزير الداخلية مؤاد سرح ...
كان يعرف منذ الصباح ان البوليس ليس معاً الاضرب ...

مستمع مع المصاهرين ومع ذلك لم يخارل اورير ان يحصل فوراً على مر
يقتضي ان يتولى الجيش ادارة الامن الى مصايه وتهدئة الجماهير التي
ادعت بأنها تتظاهر تعبيراً عن وطائهم بالحرق والنهب .

« جن ان المتظاهرين قد اشعلوا النار في الوقت نفسه تقريباً في
حانة مصرية تقع في ساحة الاوبرا ، وفي بنك « بركيس » وسينما
ريهولي الصحنه ، وفي اوتيل شرد . وصحبح ان رجال الاصحاء قد
حاولوا حنهم ، في رد المتظاهرين الذين قصعوا لهم انابهم وحندهم
بعد ان هب بعض الشان محلات الاسدحه وراحوا يلعبون لعبة « قطاع
الطرق » . ولكن انعدام اية مقاومة من البوليس ، وتدخل الجيش
التأخر في عصر ذلك اليوم ، هو الذي اتاح القيام بعمل تخريبي مفجع .
« من الناحية الاقتصادية كانت الحائر فادحة جداً ، وقد قدرت
بين اربعين وسعين مليون جنيه . وفور وقوع الحادث أعلم الممثلون
الدبلوماسيون لبريطانية والبلدان الأخرى بما فيها سويسرا الحكومة المصرية
بأنهم يعتبرونها مسؤولة ، لانها كانت قد تعهدت بحماية المصالح الاجبية .

« ومن الناحية المعنوية والسياسية كان الاثر اخطر واعظم اذ تزعزع
مركز مصر الدولي ، في وقت كانت فيه ، في امس الحاجة الى تقدير
الشعوب المحبة للحرية واطظام . ولا يختلف اثنان في ان حرائق السادس
والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ قد أضعفت مركز مصر . وقد
الصقت الشائعات الحادث بأحمد حسين وحناعته الذين كانوا خلال الحرب
العالمية الثانية قد تلقوا امدادات من المانية . وقد قيل انهم تلقوا هذه المرة
ولكن ... من بريطانيا .

وفي المساء عقب الفاجعة ، اعلن منع التجول وعين النحاس حاكماً
عسكرياً . وفي العمد شكلت حكومة علي ماهر ، بمساعدة فريق
من الشخصيات المستنقة وتسلم رئيس الحكومة الجديد الذي سبق له ووجه
السياسة المصرية في بدء الحرب العالمية ، زمام الامور في انتصار تشكيل

حكومة تصمم تخفيف الاحزاب . وميلاً الجيش المصرى شوارع القاهرة
الرئيسية كلها . وأخذت دبابه ومصنعاته تتحول وتجمع كل تجمع .
وحسب حرارة التحريب وفتحت الجبهه عيونها على مدحه ما قدمت به ،
ويستمر ب تتيح لايام القليلة اسامة تحديد المسؤوليات . والسيرة التي
ستعيد في مصر وشدها بعد هذه الفترة العيقة لتسترد قواها من الحزن العمل
على التطوير الاجتماعي وتحقيق الاماي القومية .

كنت في القاهرة في اليوم السادس والعشرين من كانون الثاني سنة
١٩٥٢ ، وكنت لم أكن شاهد عيان للأحداث التي توالى ثناء اسوار ،
لأنني كنت مهمكاً في نقل أثاث بيتي من شقتي في المدينة الى الدارة
التي كنت قد شيدتها في الصحابة قرب الاهرام .
في الصباح ، بينما كنت أملاً اصاديق وأراقب نقلها الى الشاحنة
سمعت الناس يتحدثون عن المظاهرات . وقيل الصبح جاءني ان سبها
ربمولي التي تخص الشركة البريطانية « راند » قد أحرقت . وكنت
كنت مشغولاً جداً لا أهتم بما كان يحصل في المدينة . وقد بد لي طيباً
مع ذلك ان تؤدي أحداث الامس في الاسماعيلية الى قيام مظاهرات
صاخبة في القاهرة .

وعندما خرجت من المدينة في السيارة ، لم أعر كبير اهتمام للجماعات
المضربين الثائرين الذين كانوا يتظاهرون ضد بريطانية ويهددون لمؤسسات
البريطانية . وبعد الظهر بينما كنت مهتماً بترتيب منزلي الجديد ، جاءني
صديق يعلمني بأن « القاهرة تحترق » وبأن الجماهير تهاجم الاحزاب ،
وبأنه من الخطر الثقيل في السيارة . لذلك لم أذهب الى المدينة إلا في
اليوم التالي صباح الاحد لأشاهد مشدوهاً التلف الذي سببته المظاهرات .
وفي الرسالة التي كتبها آنذاك لجورنال دي جنيف لم أذكر سوى
المظاهرات التي حدثت أمام مقر رئاسة الحكومة ، دون ان آخذ بعين
الاعتبار ما كانت قد آلت اليه . وكنت أجهل انه حوالى الساعة خمسة

بعد ظهر موجهت طائفة من المتظاهرين نحو مبنى السفارة السوفياتية
 و تقدم الى مثل الاتحاد السوفياتي و قد تمت المراسلة و قد تمت
 عند جسر الملك فؤاد من رصاصات مبررة من البوليس .
 و كنت اجهل ايضاً انه بينما كانت هذه الحادثة تجري ، كنت و هو قد
 حشد في قصر عابدين سبائة ضابط من حرس الجيش و هو ليس و ادم
 دم مادية فخمة و حفلة صاحبة لماسية و زينة و من بعد ذلك
 هذا الاحتفال في غير موضعه غداً ، و قد كنت قد سمعت ان
 الاسماعيلية ، وقد جمعت حتى الساعة من رصاصات من جسر الملك فؤاد
 كان عليهم أن يتولوا قيادة قوات الامن .
 وفي كتاب مصر في طريق التطور ، أفصح الكاتبان جان و سيمون
 لاكتونر عن ذلك ، و قد حدث في يوم الخميس ١٠ من
 من ١٩٥٥ في رهيبة من رصاصات من جسر الملك فؤاد
 اية الازمة السياسية المستعصية حادثة من مصر و رصاصات من جسر
 انني لجأت اليها الدكاترون لمصريون في منتهى قده سويس
 بقتل الكسب و الفجر الأسود في أربع مراحل : في المرحلة
 الأولى من فجر حتى الساعة العاشرة ، توجد في جسر الملك فؤاد
 الى مبنى الجامعة ، وفي الحيرة المصم رحل البوليس و حشد بين
 أصاب معهم ، و تشبه اوروبية ، و تشبه بحسد ،
 المبني الى لاجون المسلمين ، و انحصار الحصر ، لا شتر كبيرون -
 شيرين ، حبة وطنية موحدة و سار لجميع من صلات و شرطة في
 موت و وحده ان من رئاسة الوزارة ، مصابين بالامسحة اليه و
 وبقاتلوا في حدة اسد مسدين بخير باشا ، مدير لاسي سجون ،
 الذي جعله فاروق قائداً عاماً ، جيش ، كانت الحركة في البداية و حبة
 مئة بالمئة ، وهي بالتضامن الوثيق بين اصحاب و بوليس ، كندكر ،
 ولكن بصورة أعمق ، بمظاهرات سنة ١٩٣٥ التي كان جسر الملك فؤاد

٢٠٠. اشترك فيها مع عدد العزيز الشورنخي ضد الانجليز

وفي المرحلة الثانية التي اقتصرت ، حسب رأي الكاتبين ، على
التظاهر أمام مقر رئاسة الحكومة ، طلب المتظاهرون من زعيم الامة
مصطفى السخاس أن يطل عليهم ، فامتنع ، وأطلق عبد الفتاح حسن
وزير الشؤون الاجتماعية ، والذراع الايمن لفؤاد سراج الدين ، على
الجهاهير الصاحبة . انه هو الذي عظم صراخ عدد يقرب من اربعين
الف عامل مصر د كانوا يعملون لحساب الانجليز في منطقة القناة فقدم
له المتظاهرون عريضة تحتوي « المطالب الشعبية التي تنحصر في مقاطعة
الانجليز مقاطعة تامة ، وارسال القوات المسلحة الى منطقة القناة ، واطرام
معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفياتي » وقد تحدث الوزير طويلاً وقاطعه
المتظاهرون مراراً ، ودامت المسرحية ثلاث ساعات تقريباً « ترى هل
كان ذلك نذير ثورة حراء ؟ » وما كادت المرحلة الثانية من النهار
تنتهي حوالى الظهر ، حتى كانت المشهد التي تميز المرحلة الثالثة قد
بدأت تدور في وسط القاهرة .

في ساحة الاوبرا ، وجه جماعة من « القمصان الخضراء الاشتراكيين -
الشيوعيين » ومن الاخوان المسلمين ، كلاماً لادعاً جارحاً الى ضابط
بوليس كان يحتمي كاساً من البوليسكي على شرفة ملهى ، بصحة احدى
راقصات الملهى وقالوا له : « ألا تنجل ايها البوليس ان تختبي
الويسكي هكذا بينما يقتل احوالك في الاسماعيلية ؟ » وبما ان الضابط
رد الشبهة وحاول ان يدافع عن نفسه ، لذلك اندفعت الجهاير العاضدة
الى الملهى تعيث فيه تخريباً وتكسراً ، ثم صبت عليه البترين وأشعلت
النار فيه .

ثم جاء دور السيما البريطانية الكبرى « ريمولي » ثم سيما « منرو »
وعلى امتار منها « تسرف كلوب » فأشعلت البران فيها جميعها
وفي « الترف كلوب » كان قد اجتمع اعضاء الجالية البريطانية

بأنه قد كانت الحكومة قد هددت باتخاذها
تدابير لقمع جميع الحركات الديمقراطية
والتي كانت تهدف إلى تحقيق
الحرية والديمقراطية في مصر
وأنه قد كانت تدفع
إلى جميع المصريين
بأنهم الملحقون التجاري الكندي .

والمرحلة الرابعة من النهار التي دامت من الظهر حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، راحت عامة شجرة نصرم البيران في دور السينما والبارات والسادن والمخارن البريطانية خاصة والاحسية عامة بما فيها اليهودية . ويقول لآدور ان بقعة من الرجال يحملون زجاجات البترين وصال المحرق على الأرجل او في سيارة « جيب » كانوا يطوفون من دور السبا الى المدهي ومن المخارن الى الملاهي و « برنامج عملهم » في ايديهم كانوا يدخلون قصباً حديدياً تحت ابواب المخارن الحديدية او يصبونها بالهيب الهيدروجين ، ويتقدمون الى الداخل بزجاجات البترين والسمال المحرقة ، ثم يستولون الى مكان آخر يضربون النار فيه ...
وسيما كدت هذه الاعمال تجري كان البوليس واقفاً يتفرح . وقد احاط صائد من البوليس فيما اذا كان التدخل ممكناً : « اتركهم يلهون بعض الوقت .. »

وقد امتدت المرحلة الرابعة من الساعة الرابعة او الخامسة بعد
الصهر حتى منتصف الليل وفي هذه المرحلة اندفعت الجماهير التي تأثرت
برائحة الحرائق او دفعت من المحرضين واخذت تنهب وتهاجم المخازن
والأماكن اليهودية منها بصورة خاصة . في هذا الوقت أيضاً تألفت
المساهرة التي حاولت الوصول الى السفارة السوفياتية . ومن نهاية هذه
المرحلة الأخيرة فقط نزل الجيش الى الشارع وبدأ عمله لإغاثة

الظام الى المدينة :

قد يكون للمرحلتين الاولى والى من الهار تفسيرهما وممراتهما
المعقولة . اما المرحلة الثالثة وهي الالذح ، التي لم تكن المرحلة الرابعة
سوى تكملة لها فليس لها تفسير . ترى من هو المسؤول الحقيقي عن
هذه المأساة الكبرى التي كانت لها انقاهرة مسرحاً ؟ !

المواطنة والحركة الوطنية

يبدو ان مخططاً للعمل الثوري ، كان قد اعد وحضر خلال الأشهر الماضية . وفي السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ قيل الظهر بدأ تنفيذه في الوقت الذي ارتدت فيه المظاهرات طابع العنف ضد الملك والبريطانيين . لقد سبق « للقمصان الحضر » والتشكيلات الارهابية في الاخوان المسلمين ان أجرت تحقيقات ، خلال اشهر طويلة ، ووضعت لائحة بأسماء المؤسسات والمحلات البريطانية واليهودية المخالفة لمبادئ الاسلام التي تصدم بفخامتها تزمت المتعصبين الدينيين وصرامة الشيوعيين . والدلائل كانت تشير الى ان هناك تواطؤاً بين دعاة موسكو وبين انصار الدولة الدينية ذات الصفة الوهابية . وكان الشيوعيون والاخوان المسلمون يحملون في ايديهم لائحة بأسماء المحلات غير المرغوب فيها وكان لا يفوتهم ان يفرضوا عليها ضرائب او مساعدات « اختيارية » او عقود دعاة او اشتراكات في منشورات مختلفة . هذا في انتظار تصفيتهم يوم وصولهم الى الحكم :

ولعل الذي اشعل النار في هذه المحلات العدو او المفسدة ، كان يحس بأنه يقوم بعمل مُرضٍ لشعوره الديني . أضف الى ذلك ان المظاهرة الهائلة بطابعها التعصي الوطني ، التي حدثت قد انقصت نفوذ الحزب

الحاكم وأُنحِتْ للملك والآنجليز التخليص من وزارة كانوا معها في نزاع
مكشوف ، نزاع يهدد بالخطر الشديد بعد الاتحاد الذي تم أخيراً بين
« الشيبة الوفدية » و « شيبة محمد » و « القمصان الحصر » .

في الرابع والعشرين من كانون الأول سنة ١٩٥١، كتبت قد كتبت في
جورنال دي جنيف : « ماذا سيفعل البريطانيون لو أن بضعة آلاف
من الطلاب والاحوان المسلمين توجهوا نحو الاسماعيلية او السويس ؟ هل
سيكون لديهم الشجاعة لمواجهةهم بالرشاشات ؟ » .

ان هذه المظاهرة الجماعية ، كان يجب تلافيتها في نظر الانجليز وكان
يجب حصر الانطلاقة الوطنية بنشوية سمعتها ، وطهارها في صورة
مقبلة قائمة .

وبين القصر والاشتراكيين - الشيوعيين الدين يتزعمهم احمد حسين
من جهة ، وبين البوليس السياسي التابع للملك والاحوان المسلمين من
جهة ثانية ، كانت لا تزال تقوم علاقات على الرغم من الاعتقالات
والاحكام الصادرة ضد الفريقين والحلايا الارهابية التابعة للمطامير
كانت تستخدم اداة معروفة جيداً من المخبرين البوليسيين اي انه بين
عصابة مجرمي القاهرة وبين بعض رجال البوليس ، كان يقوم تعاون
وثيق . كما قام في السابق في روسية القبطية بين « الاوكرانا » وعصابة
لصوص سان بطرسبرج . واذا كان الجهاز الثوري ، المهد « النساء الكبير »
قد دفع الى العمل في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢
فلا يمكننا الا ان نعتقد بان الاصبع التي حركت ودفعت يجب ان تكون
اصبع اولئك الذين سيفيدون من الاضطرابات ، هذه الاضطرابات التي
كلفت الشعب غالياً .

خلال اليومين اللذين تاليا السادس والعشرين من كانون الثاني ، تمت
رقابة جميع الصحف من التعليق على المناجعة وما ان روت رقابة
عن الصحف حتى فضح كذب المعروف محمد الناجي . في الحـ :

صحف المعارضة ، انتشار الحقد الذي حصل في ه الثفت الأسود ،
فتعال كان يرمى على الأذنين ان يعدوا ان مست السادس
وامتريين من كدود اي سنة ١٩٥٢ يوم موصوم بالحمل والعار ، يوم
مستق ان لاد حجاراً اسود ان حياة مصر ، وصحة مودة في تاريخ
وصة المرأة وكبح في اوسع ، ان
جانب الحكومة الشرعية ، ولادة
الدم
والحسد ، والفوضى ، والتدمير ، والتخريب .

[illegible]

و ار ما حصل لي الدهرة ، لم يحصل لي اية دولة اخرى متمدة ،
في اية حنة من التاريخ ، الا في حالات العزو والحرب ؛

اولا ، نذهبوا وقولوا لنا متى واين قام نمر من مكان بلد ما
وراحرا يحرقون ، ويخربون ويذهبون ما قدره الحبراء الاجاسب ياربعين
مليون حيه . او ما قدره الحبراء لمصريون بمئة مليون ...

وبعد الصبح المصري ايضاً دهشته لان الخريب والتدمير قد احاطا
ليس فقط الممتلكات البريطانية ، بل ايضاً ممتلكات تعود الى اساء دول
صديقة كـ مصر وايران ، او دول اخرى كـ فرنسا والولايات
المتحدة . هذا بصرف النظر عما لحق بعض الممتلكات المصرية نفسها .
واما معطى الحاس وفؤاد .. اح اليك انك طردتهما منك من

الحكم لعجزهما عن المحافظة على النظام ، فقد اتها القصر بأنه عدل
أيديهما برفضه الموافقة حتى المساء ، على تدخل الجيش .

وتعديلاً على الحادث كتب جان وسيمون لاكوتور : « لو سألت
أى مصري من أحرق القاهرة لأجابتك فوراً بأن مسؤولية ذلك تقع على
هتق « الاخيز » ان لم تكن على عاق « الملك » ، وان اردت ان
تتحلى الصون لفسر ذلك بالدليل الحسي فالك لا تجد شيئاً . ابن هي
الوسائل ؟ واين هم العملاء ؟ بهذا الخصوص حصلنا على دليل واحد
كان له علاقة بمطبخة غربية اسمها « اخوان الحرية » وقد أسست هذه
المطبخة برعاية الأجهزة البريطانية الخاصة ، لصرف احدى الشريحة المصرية
عن قضية النفاة ، وتشعلها بالكيل في وجه الشيوعية . وحسب من قبل
الحكومة قبل بضعة ايام من الحريق كما شهد شهوداً يؤكدون بأن رئيس
هذه المنظمة « روبر واي » قد احتفى فحاة من القاهرة مساء اليوم
الاسود ، وشاهد أعضاء عديدون من هذه المنظمة يشتركون في اعمام
ذلك اليوم التخريبية وخاصة تلك التي حصلت بعد الظهر عند الاعتداء
على محلات اليهود ومعابدهم . من هنا تميل الى الاعتقاد بأن الاخيز
حاولوا تحويل القضية الشعبية المتعالية عنهم وتوجيهها ضد الاقباط ،
وتقبل قيمة الحركة باعطائها صبغة عنصرية منافضة للاهداف الوطنية
السامية التي كان يعمل من اجلها الشعب المصري . وهذا ايضاً يازمنا
براهين اخرى لخطر وجرم . ومنها يكن من امر فان الذي لا ريب
فيه ان البريطانيين خرجوا بفوائد سياسية وعسكرية هائلة من
هذه الاحداث . »

وفي « مستنل مصر » بصور اللواء محمد نجيب مأساة « الست
الاسود » كما يلي :

« في صباح السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ . في
الخامس في كل هذه المدة ، ولم يتحدد من اجراء من ان ... »

في قصر عابدين ، ورئيس الحكومة كان بين يدي مسئلة ، اذا أحزنت
لنسي القول .. ووزير الداخلية كان مشغولاً بتسجيل عمدة كان قد
حصل عليها « ان هذه الملاحظة تنفي زوراً ، بل فيضاً من نور على
أخلاق السلطات العليا في الدولة وسلوكها . ان التاريخ لا يثبت من
هذا الحادث حتى في أحطّ العصور وأكثرها تفهناً

« لقد تحولت الدولة في السادس والعشرين من كانون الثاني الى
شبح . وفي هذا الاخير مؤسسات منسقة لحياة قبيحة ، حدد وقتاً
على رجليه ، محاطاً على قواه المعوية مع الجيش »

وكتب المتقدم كمال الدين حسين . في مجلة « حلال » في
قائد الضباط الاحرار ، في العدد الخاص عنه في « المصور » يقول :
« لقد قصد بحرية القاهرة حلق حو من الفوضى ، كل نتائج
الفرصة لاثام الشعب وتحميله مسؤولية التحديب والتدمير

« لقد اجتمعنا عند حسن ابراهيم ، وقررنا ان نعمل في تعبئة
مخططاتنا وكما متفقين ومتأكدين من ان عملنا سيلاقي الأثر الشامل .
« فوزعنا المنشور التالي :

« ايها الضباط الاعزاء ، ان الخونة الموجودين بين المصريين يعتمدون
عليكم ، وعلى جيشكم ، للوصول الى أهدافهم . انهم يعتبرونكم آلة
للجمع واستئثار . آلة لاجبار الشعب على قبول نظام لا يريدونه .
« فليدعهم هؤلاء الخونة ان الجيش مسؤول عن تحرير البلد وحمايته .
« لقد نزل الجيش الى شوارع القاهرة ليضع حداً لثأمرة الخونة .
واكما لن نقبل ان نقوم بدور السفاكين ، نسفك دماء الشعب . ولن
نطأ حتى ولا رصاصة واحدة على المظاهرات الشعبية . ولن نوقف
أحد من هؤلاء الوطنيين المخاضين . على الجميع ان يفهموا اننا مع
الشعب ، اليوم وفي كل يوم :
« ايها الضباط طاعوا ، ان البلد في خطر . ويجب ان يحذر

المؤامرات التي تمكك ضده وضدكم .
« يجب ان تعاونا مع انصباط الاحرار الذين يعملون من احلكم
ومن أجل الشعب الذي انتم منه . »
كان انصباط الاحرار يرون في مظاهرة السادس والعشرين من كانون
الذي عملاً مردوحاً ، فهي ولا شك من اعمال اسهت والتخريب قامت
بها « حثالة القاهرة » ، ومن ناحية أخرى كان الحدث حركة وطنية
بالجرح ضد المستعمر البريطاني ، وهو شهرة من عواصر الوصية
المصرية في وجه شعب احل ، يحرص على دعوة اساع النداء - ووده
في منطقة القناة .

« نحن نعلم ونرويه ، في انشاس ، ضد اوسان الاشاية ،
ويمكن ان تكون المصحات لا ذوي ال بيعة ، والارهاب يمكن ان
يكون بعد انفس من اوسان السامية ، السيل الوحيد لجعل الحياة غير
ممكنة بامسة المستعمر البريطاني في الارض المصرية فيجب ادن الحذر
من ان يخري تحت ستار قمع اسرقة ومف سحق العناصر الشعبية التي
تظاهرت ضد المستعمر ، وتخريب الخلايا الوطنية ، وتجريد قذافي لتحرير
من اسلحتهم .

وأثناء التحقيقات الذي دام الأشهر الطوال ، من أجل تحديد مسؤوليات
التخريب في « الست الاسود » الذي سماء بعضهم « السبت الاحمر »
بدا ان عامل اضطراب هام كان يكمن وراء عودة جماعات القذائيين
ان القاهرة ، بعد ان أصبحت حالتهم لا تحتمل في منطقة القناة بسبب
الاحراءات التعسفية التي اتخذتها السلطات البريطانية ضدهم . وفي العاصمة
وحد عشرات آلاف من العمال الذين بسبب اقتناعهم بالدعاوة الوطنية
وببناء لأوامر ودية ، كانوا قد تركوا اعمالهم التي كانوا يقومون بها
في خدمة المعسكرات البريطانية . وهؤلاء لاقوا صعوبات محنة لاجساد
مساكن لهم ولعياهم في القاهرة . وكانوا يقبضون من الحكومة مساعدات

أقل بكثير من الاجور التي كانوا يقبضونها في السابق من السلطات العسكرية البريطانية . وكثيرون من هؤلاء العمال كانوا قد انضموا الى جمعية الاحوان المسلمين . ويجب ألا ننسى ان حسن البنا كان قد أسس جمعيته في الاسماعيلية ، في جو العمال .

وبتحليلنا لروايات شهود عيان للمرحلة الثالثة من اضطرابات السادس والعشرين من كانون الثاني ، ندهش من صفات الشطيم ، والتحرد ، والصلاب ، التي بدت في عمليات الحرق المتتالية في مدرسة مذهب . وهي شارع قصر النيل ، أحرق محل الأدوات الرياضية الذي يملكه « روبير هوغر » ، ولما حاول بعض أفراد عصاة الحرق حمل بعض الابواب والأحذية أجبرهم رئيسهم على التنازل في امار . وعندما كسر أحدهم لصندوق أجبروه على رمي حزمة الاوراق لمالبة التي وحدها في النار .

وفي الملاهي والمطاعم والتمادق كانت قذني الويسكي والكوريك تكثر اذ ان الكحول محرم على المسلمين . واذا كانت دور السيا قد دلت القسط الأوفر من التخريب فلأنها كانت تعتبر عامل افساد ، ومعرض فاضح لنساء شبه عاريات .

وأخيراً يجب التنويه بأنه اذا وقع في مدينة تعد مليونين من السكان بينهم أكثر من مئة الف أجبي سبع عشرة ضحية فقط ، في يوم حافل بالاضطرابات الدامية كالسادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٥٢ فان ذلك يدل على النزعة السلمية للشعب . ان تخريب الحمارات وأماكن اللهو والسيارات المخمة واوتيل شبرد ، ان هو في الدرجة الاولى إلا رد فعل ضد نمط من الحياة كان يبدو فاضحاً في وقت كان ياضل فيه الوصيون المصريون بضال المسميت للتخلص من عدو قوي . انها مقاومة بين مقاتل يبدو جسدياً أضعف من شخصه . لم يكن هناك محل بحث في معركة متكافئة حيث الضربات غير بدوية شائعة

ومشور الضباط الاحرار لا يفتح فقط على من اراد ان يحرر
مسؤولون ان يحولوا الجيش ان اذنه و ليس شعبه و اطلاق النار
على المتظاهرين وتوقيف الوطنيين . بل يحرقونهم من
الذين يريدون ان يحبروا الشعب على قولهم لا يريد
تري من هم هؤلاء الخوسة المصرون الذين تبار اليهم مشور
الضباط الاحرار ؟؟

بالطبع انهم رجال انتمصر . و من ذلك الذين ارادوا
عن طريق حكومة علي ماهر بالجمع بين الحركة الوطنية
- داخل وند وخارجه - وبعثوا مع رفاقهم انهازياً بقر بقاء
الاحتلال البريطاني في مصر .

في العاشر من شباط سنة ١٩٥٢ اجتمعت اللجنة التنفيذية بضباط
الاحرار في بيت قائد الجناح حسن ابراهيم وقررت ان تبدأ في شهر
القادم ، آذار ، الثورة التي كان يحرص ان تتم ونداً للمخططات السابقة
في سنة ١٩٥٥ ، إذ ان البيت الاحمر قد أظهر انحصاطاً وفساداً
في الادارة . أصبح البلد معها معداً لقبول تغيير شامل في النظام . فحصل
جمال عبد الناصر بالزعيم رشاد مهنا في سلاح المدفعية الذي كان سنة ١٩٤٧
قد أعد مؤامرة في الوقت الذي كان فيه رئيس الاركان العامة ابراهيم
عطا الله يثير الجيش بعصبيته العائلية وتجزئه . وكانت المؤامرة قد اكتشفت
على يد جراسيس عطا الله ولكن الاثباتات الكافية لم تتجمع . وأخلى
مسجل المتآمرين عند اعلان حرب فلسطين . وعين اللواء عثمان مهدي
مكان ابراهيم عطا الله .

ان رشاد مهنا ضابط ممتاز ، تقى . ذو نفوذ كبير في اوساط
الاحرار المسلمين . وند بأن يشترك مع حموده في العمل المرتقب
لأنه وحده بأنه يجب ألا يعتمد عليه لأنه نفسى من هريش . ولا
يمكنه بسبب ذلك ان يبقى الى ان تصير مهنة من الاحرار

لقد اجبر هذا الحادث غير المستظر جمال عبد الناصر على تأخير موعد تنفيذ الحركة الانقلابية لانه في الوقت الذي منتهز فيه منظمة الضباط الاحرار من سربتها لا بد من ان يكون على رأسها ضابط كبير متقدم في السن نوعاً . يكون قوله سهلاً على رأس الجيش ويستطيع فرض نفسه على البلد . فاقترح جمال عبد الناصر بعد ان جس نبض عزيز المصري وفؤاد صادق على اللجنة التنفيذية اسم اللواء محمد نجيب للرئاسة . لقد قل اللواء العرض ولكن جمال عبد الناصر هو الذي تابع ، بوصفه امياً عاماً ، ادارة المظلة السرية ولم يتعرف اللواء محمد نجيب الى الاعضاء البارزين في اللجنة التنفيذية امثال قائد الجناح جمال سالم (الذي كان يعرفه منذ حرب فلسطين) وقائد الجناح عبداللطيف البغدادي ، والمقدم انور السادات ، والمقدم الاحمر خالد محيي الدين الذي كان الساعد الايمن الشيط لجمال عبد الناصر في معركة المشورات ، الا بعد نجاح ثورة الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩٥٢ .

وأخيراً وجد الضباط الاحرار من يحمل لواءهم . ولكن الاسابيع المهدورة بسبب تهرب الزعيم مهنا زادت من صعوبة تنظيم الثورة اد ان المحدث فرض على رئيس الحكومة علي ماهر وعلي نجيب الهلالي فيما بعد مرتضى المراغي الذي نجح كمحافظ للاسكندرية في توطيد الامن المطلق في العاصمة الثانية ومنع كل مظاهرة وطنية في اكثر مدن مصر .

وقد كتبت في أواخر شاط سنة ١٩٥٢ في جورنال دي جنيف

الرسالة التالية :

لقد لاحظ مرتضى المراغي من خلال الاحداث الاخيرة ان الاتصال كان شبه مفقود بين قوى البوليس في مختلف القطاعات وبين وزارة الداخلية ، وابقن من ناحية أخرى انه من الخطر في حالة وقوع اضطرابات في احدى مناطق القاهرة سحب البوليس من المناطق الاخرى وتحويله الى منطقة الاضطرابات . ولذلك انشأ فرقة متحركة مكففة

بالبحر فوراً عند وقوع أي حادث . وشكلت دوافع هذه المبرقة في بدء من حميين جدياً من الحياة الافرياء البية والحدود المحررين المعة دس على الانتقام انكي الدين بعبود دون تردد كن ما يثقلونه من اوامر ثم ارحل اليها عدداً من بوليس لاحتياط ، المدين تنموا تدريماً خاصاً وزودوا بسيارات جديدة محرزة بالآلات لادسة لاسديكية تتبجح لهم الاتصال المباشر بورارة الداخلية وقد ارتفع عدد افراد الفرقة المنحركة بسرعة الى خمسمائة ، وراحت تطوف في شوارع القاهرة وفي الاسوع الذي تلا الاضطرابات ، وبعد فترة من الوقت وصل العدد الى الالفين ، وصارت مختلف الوحدات التابعة لهذه القوة قادرة ، ليس فقط على مراقبة مختلف احياء القاهرة ، بل ايضاً على ان تنجمع بسرعة فائقة في المناطق التي تحصل فيها اية حركة دون الاجراء الى سحب القوات العادية من الاحياء الاخرى .

اب نرى بوصوح الخطر يحقق بالحركة الوطنية المصرية ، ونميز بحلاء « المؤامرة » التي وضعتها مشورات الضباط الاحرار ان سياسة بريطانيا وسياسة الملك كانتا كلاهما دائماً « فرقى تعد .

وقد نجح فاروق مؤقتاً اذ تمكن من التخلص من الحكومة الوفدية التي كانت تتبع مخطط الوطنيين المتصلب الذي كان من شأنه ان يؤدي الى ولادة وحدة وطنية خطيرة على المستعمر والملك الذي يعتمد على الرغم من انعدام الود بينه وبين بريطانيا على قوات الاحتلال البريطانية لحماية عرشه في حالة وقوع اضطرابات .

ومتضمني الحاس وفؤاد سراج الدين قد طردا وامسك زمام البوليس ووزارة الداخلية صنيعة من صنائع القصر واستخدم الجيش لقمع الثورة الشعبية في المهدي قبل استهجالها . وبالسبة للعلاقات مع بريطانيا كانت اولى نتائج اضطرابات السادس والعشرين من كانون الثاني وقف حرب

معارات اعدائين في مضتة القاة ، والانشاء على العادات
رأوسية وانحي عن الاحراوات التي تقرر اتحادها ضد الجالية البريطانية
في مصر .

الخدمة الحية التي قدمها حريق القاهرة له يطاية تذكرنا بصربة
« حراك » التي أخفت بعراشي باثا وكنت آبدك دعماً معرباً قدمته
لحمة الاميرال « بوشان سيمور » البريطانية بذبح الحمسة والسبعين
أوروبياً واثني مصري في الحادي عشر من حزيران سنة ١٨٨٢ . فقد
أعدت هذه المذبحة الرأي العام العالمي لقول خير قصف الاسكندرية في
الحادي عشر من حزيران سنة ١٨٨٢ ثم احتلال مصر على اثر ذلك .
وقد حرت حسب رواية شاهد العيان السويسري آبدك جون مينه ،
وانسع نظمتها بفضل تواطؤ محافظ الاسكندرية الشركي عمر لطفي صنيعة
الحديوي توفيق مع القتلة .

وفي سنة ١٩٥٢ كما في سنة ١٨٨٢ شعر الضباط الوطنيون بأن
ملكهم يخونهم وادركوا ان بريطانيا تستخدمه لتوطيد اقدامها والمحافطة
على بقائها في مصر .

لقد نحتت المؤامرة ، وقل تقدير الرأي العام العالمي للحركة الوطنية
المصرية وانقطع اندفاع الشبيبة الوطنية ، وحاول سياسيون حذقون امثال
علي ماهر ونجيب الملالى ان يستفيدوا قدر امكانهم من الحالة المحزنة
وفي رسالة الى جورنل دي جنيف ، ورخة في السادس من آذار سنة
١٩٥٢ بعد ان اشرت الى الاحتمالات التي اتخذها وزير الداخلية الجديد
ليحول دون تجديد أحداث السادس ولعشرين من كانون الثاني
كتبت :

« ... كي تهدأ الحالة العامة وتعود الثقة من جديد الى النفوس بحب
تطهير الارضاع السياسية تطهيراً حقيقياً ، واداً نجحت الحكومة في
التفاوض مع بريطانيا من أجل الجلاء عن منطقة القاة ، وها نحن امامها

كل الفرص لتثبيت للبلد ان طريقته كانت أفضل من حاله المأه
والحركة ، والحرب غير المعلنة التي سيطرت على البلاد في الاشهر
الاخيرة من عهد الوزارة الوفدية . ولكن اذا لم تستجب السلطات للمطالب
الوطنية المصرية فيجب ان تنتظر تجديد الحركات المعادية لبريطانية . فعليا
ان نأمل اذن من الدبلوماسية البريطانية ان تفيد من هدوء الحالة
للتفاوض من اجل توقيع اتفاق تقبله الحكومة المصرية ويوافق عليه مجلس
النواب :

لقد كنت متفائلاً أكثر من اللزوم ، اذ ان الدبلوماسية البريطانية
غداة السادس والعشرين من كانون الثاني كانت مقنعة تماماً بضعف
الحركة الوطنية المصرية . ولم يدر في خلدنا الجلاء عن منطقة القناة .
وأما الملك فقد افرحته اقالة مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين
بطريقة مزرية . ولم يفكر اقطاب الوفد طلب مساندة الجيش ضد التعسف
الملكي لانهم كانوا قد رفضوا عرض التحالف الذي قدمه الضباط
الاحرار في حينه .

إن عنف مظاهرات «السبت الاحمر» قد نبه فاروق وحمله في الاشهر
الاخيرة التالية على ان يحول الى الخارج ما استطاع من امواله . لقد
كان يستعد لانسحاب مربيح امين في حالة نشوب ثورة ترغمه على ترك
البلاد .

الصفحتان ٢٢١ و ٢٢٢ غير موجودتان

وهي أول صفحتان من الفصل ذات العنوان

"فضائح جديدة الضباط الأحرار يعينون موعد الثورة"

وحسين مري مثل نجيب الحلالي ، وعلي ماهر ، رحل شريف .
انه مهندس ممتاز وهو خير من يشغل منصب وزير الاشغال العامة .
ولكنه كرئيس للحكومة ، كان عليه ان يتصرف كسياسي ، فيستجيب
لرعية الملك في بعض الشؤون او يعارض في بعضها الآخر ، حيث يرى
انه لا يستطيع ان يتساهل .

لقد قبل ان يفرض عليه في وزارته كريم ثابت وهو صحفي قديم ،
كان الملك قد اخذه مستشاراً صحفياً له . ويعتبر الوسيط الذي تمت عن
طريقه المساومات السياسية والرتب والارصفة ، وهو الذي دبر المؤامرة
ضد وزارة الحلالي ، وقيل ان اقالة الوزراء المرعجين وتعيين الخفنة
الحكومية الجديدة كانا مجال مساومات مالية عالية ، اذ دفعت كميات
هائلة في سويسرة لحساب الرقم الخاص بفاروق

وبسرعة لوحظ ان الملك ومحسوبيه يتدخلون اكثر فاكثراً ، مقال
فوائد مادية في شتى انواع الاعمال المدنية والعسكرية ، وكانت مقررات
تفرض على الوزراء ورؤساء الاقسام المسؤولين وفي اكثر الاحيان كانت
ارادة الملك لا تفصح عن نفسها بالطرق العادية الرسمية . وحافظ عفيفي
رئيس الديوان الملكي كان اقل اتصالاً بالملك من طعمة الخدم الذين
يشكون ما يسمى « حكومة مطبخ » الملك . وعلي رأس هؤلاء كان
محمد حسن فراش فاروق ، ورئيس خدمه عبد العزيز ، ثم حلمي حسين
السائق الميكانيكي الذي سمي مديراً للمركبات الملكية ، وانعم عليه برتبة
زعيم ، ثم ايضاً انطون بولي ، وهو كهربائي ايطالي قديم وقد اصبح
مدير « اعمال فاروق الخاصة » وادمون جهلان رجل الاعمال الذي كان
يستقبل تجار الاسلحة ويقوم بصفقات كبيرة ، وبوزع الرشوة على طعمة
من النعبيين . وهناك ايضاً المحاسب القديم الياس اندراوس الذي اثرى
في تجارة الحرير الصناعي . وقد اصحح موضع ثقة فاروق بعد قوله
الحسرة معه في الفمار في نادي السيارات ، وكلف ان يكون المستشار

مالي لخربة الملك . وكان فاروق بالاضافة الى كل ذلك يتأثر بظبه
الحاص الدكتور الرعيم بوصف رشاد - الذي انتزع منه انور السادات
معلومات هامة وطبائره الحاص حسن عاكف الذي قبل انه نقل في
طائرته الى اوروبه عدداً من البائثك الذهبية .

وعوضاً عن ان يتصل مباشرة برئيس الحكومة ، او رئيس الديوان
حافظ عفيفي ، كان فاروق ينقل رغبانه او تعليماته بواسطة احد خدمه
الذي يكون بالقرب منه في ذلك الوقت ، محمد حسن اذا كان في مخدعه ،
وعبد العزيز اذا كان في قاعة الطعام ، وبولي اذا كان في مكتبه او في
احدى الحانات او الملاهي . وعادة كان رئيس الديوان الملكي يسجل
ما يقال له وينقله الى رئيس الوزراء .

وفي العاشر من تموز سنة ١٩٥٢ تلقى حافظ عفيفي مذكرة مكتوبة
بقلم الرصاص بيد رئيس الخدم عبد العزيز كتب فيها : . . يجب ان
يقال حيدر في طرف خمسة ايام اذا لم يحل اللجنة التنفيذية للادي الضباط
ويعزل الاي عشر ضابطاً الدين يأمرون على جلالة الملك .

وقد نال رئيس الديوان الملكي الى حسين سري المذكرة التي كتبت
بقلم الرصاص كما ندغهاها من رئيس الخدم . ورئيس الوزارة الذي لم
لم يكن قد مضى على تسلمه السلطات سوى اسبوع واحد سار حافظ
عفيفي عن اسماء الاي عشر ضابطاً غير المرغوب فيهم ، وأحابه رئيس
الديوان الملكي انه يجهل اسماءهم ، ولكن حيدر قائد الجيش يجب ان
يعرفهم .

وعندما استدعى الفريق محمد حيدر الى مكتب رئيس الحكومة اكر
ان يكون لديه اية معلومات عن المؤامرة ، وكلف المقدم صلاح سالم
باسحس على الضباط المشتبه بهم . انهم منضمون الى الجمعية السرية
لضباط الاحرار . فأكد صلاح سالم انهم وطنيون يحاربون ادواء مري
حامر لا غير وليموا ثوربين .

كان حسين سري كملعه نقيب الهلال ، برعب في نهضة الحبر
تعيين محمد محيب وزيراً للحرية ، كي يتحاشى اضطرابه الى اختيار
مرشح الميث سري عامر لهذا المنصب ، فتسلم هو شخصياً وزارة الحرية
الى جانب رئاسة الوزارة . وطلب الى محمد حيدر ان يخبري تحقيقات
وينتخذ الاحتياطات اللازمة ، وحذره من اتخاذ أية مقررات قبل
العودة اليه .

في ذلك اليوم بالسات قرر الضباط الاحرار ان يعملوا ويقول
الرعي عكاشة في مقالة كتبها في مجلة التحرير :
« . في العاشر من تموز سنة ١٩٥٢ جاء جمال ونخالد الى مرلي ،
وظلنا الي كما كانا يفعلان عادة ان اسمعها « شهر راد » لرمكي
كورساكوف ، وسرعان ما نشرت السمفونية سحرها في الجو . كان
جمال يُصغي اليها بعبون حارة ، وآذان مصعية . وما كادت تنهي حتى
هصر وأوقف « البيلك آب » وصرح فجأة : سنعمل في مدينة اشهر
القادم . وكان اليوم المختار هو الخامس من آب ، لأن الضباط يفضلون
الانتظار حتى يقضوا رواتهم . وكانوا ينتظرون ايضاً عودة الموح
الثالث عشر للمشاة من فلسطين ، وهو الوحدة الأساسية في الحركة
الانقلابية .

تموزات ملكية ورقصة الزارات

في الخامس عشر من تموز ، ودون استشارة حسين سري ، حصل ثمر بن محمد حيدر اللاجبة المملوكية لنادي الضباط ، اذا ان المذكورة المذكورة بهلم الرصاص نخط رئيس المدام عبدالعزیز كانت قد أحسنه مهمة خدمة أيام . من أجل ذلك كان لا يريد ان يعزل لعصبيه تعبيات الملك . كما كتب قد علم بأن الملك يستعد ليعين مكانه في القيادة عامة للجيش حسين فريد . وفريد هذا سيرسل محمد نجيب الى متباد - انكبة الصربية التي ولدت فيها حركة الضباط الاحرار - فيصبح اللواء سري عامر رئيساً للاركان .

عندئذ أعلم حسين سري فاروق ، عن طريق حائط عفيفي ، بأنه سيكون مسلماً الى تقديم استقالته اذا كان الملك لا يسمح له في تعيين محمد نجيب وزيراً للحربية مع السلطات المضيفة لتطهير الجيش .

فأجاب الملك بمذكرة فيها فرأشه محمد حسن الى حائط عفيفي وفيها يأمر : « اعزل محمد نجيب وعين محمد حيدر وزيراً للحربية . »

وفي ليلة التاسع عشر من تموز سنة ١٩٥٢ قدم حسين سري استقالته . ويروي كمال الدين حسين في « المصور » بها الخصوص : « في اليوم السادس ، ثامن عشر من تموز ، كما قد اجتمعنا وقررنا ان نعتل جميع احواله المصريين ، وحددنا العشرين من تموز لتنفيذ هذا اشرار . بعد ان حصلنا من انه لن يقودنا ان شيء . ولذلك في التاسع عشر من تموز

عزير ريد وانما على وحيث قد تقدم الحكم .

في التاسع عشر من شهر سنة ١٩٥٢ ، كان في سنة ١٩٥٥
عندما أريد ور اساءت ان يستف المساعدة العربية من ليبيا . وكان
في عام ١٩٥٩ عندما اقترح صلاح مريم بأن يقوم كرم من القذافي صاحب
الاحرار الذي عشر مثل شخصية من أكثر شخصيات العهد صرياً ،
كان جهات عبد ناصر هو من وراء الاطراف في رشحهم . وجميعهم
الارهاب لا يفي شيئاً .

ويرجع الى ذلك ان لم يستمر هذا الحضور في الامم عشر
أو التاسع عشر من شهر .

في شهر من شهر انما لم حجب ميري انك انك في مقاره
التي هي انما اسره التي تقدم اسماء من حجة حجازية . وحيث كان
فصلاً على المحنة الشريفة لدى القضاة . وسمعة الشريفة القضاة
الاحرار في لم يسبق ان يكشف في كرم لمحمد ثوب عدلات
بها ، تآمر ضد عدم الحكم ، فيجب ان تقدم ورارة حرية بحجب
وتركه بعيد تنظيم الجيش ، واما توقيمه هو واصدقائه لتحتفي قيام
عصيان مسلح .

أصر الملك على اعتبار الجيش حجازاً يديره هو بنفسه ، ووضع فيه
صائمه ليكون كد . بأنيته وأسمعته ودحاظه ، مزوداً من قول حمايته
للانجر والازراء . وكان الملك مهمكاً في تشييد كلية عسكرية ضخمة ،
وصاب من اوروبية لأسلحة الجو والبحر والبر أكثر الصواريخ الحديثة ،
كما روع المرتبات ويراع الرتب والترقيات . واعتقد ان في استطاعته ان
يضع يده من حديد على حمار القضاة حيث يجب ان يعد الى بعض
الارزاق رشحها .

وأي يقع الرأي العام بأن انصر لا يعارض مباداة التطوير سنة في
دارون من حديد حيث صارت انك في استند في في وشر

من تحرير ان الملك اُرد ان يفرص عليه مري عامر كوزير للحربية
 وذلك اليه ان يؤلف الحكومة الجديدة فوضع نجيب الهلالي شرطاً
 لذلك لإنشاء كريم ثابت ومري عامر وكان الهلالي يرغب في اسناد
 وزارة الحربية الى محمد نجيب . فعارض الملك وتم الاتفاق على ان
 يكون مرتضى الرعي وزير الداخلية ووزارة الحربية باوكان والمرافقي
 هو الآخر من اصحاب تطهير الجيش واسعاون مع اللواء محمد نجيب :
 واعتقد الملك ان هذا تدبير والشكينة الوزارية الجديدة مستتلان من
 حذر الضباط الاحرار وتبقيتهم مما يجعلهم ينامون على حبر . الأمر
 الذي يفسح له ان يوقع في الشرك الخطرين الذين بقدر تأثيرهم كما
 ينبغي التقدير .

وبروي الزعيم عكاشه في مجلة التحرير :

• في العشرين من تموز كنت أناول طعام الفطور في منزلي مع
 حسين الشاذلي (رعي في سلاح المرسا . يشمل اليوم منصب وزير
 الشؤون الاجتماعية) عندما رن جرس الهاتف الخارجي . لقد كان
 المتحدث احمد ابو الفتح (رئيس تحرير صحيفة المصري) وصهر الزعيم
 عكاشه واعلاني من الاسكندرية ان حسين مري سيستقيل ان الملك
 يريد ان يفرص مري عامر وريراً للحربية في الوزارة الجديدة ، وان هذا
 التعيين سيتبعه فوراً توقيف اربعة عشر ضابطاً منا فتوجهت الى منزل
 جمال عبد الناصر . الذي كان كالعادة مكتظاً بالضباط ، وحذرته .
 في الواقع كان حسين مري قد وقع كتاب استقالته في ايل التاسع
 عشر من تموز . وفي الحادي والعشرين منه كان علي نجيب الهلالي
 ان يرفض ادخال مري عامر في وزارته : ان فاروق كان يلعب لعبة
 مردوحة . وما انه سيكون عليه في الثامن والعشرين من تموز ان
 يفرص احد ضباطه كوزير للحربية . لذلك كان تحذير احمد ابو الفتح
 الذي دفعني المسامرين الى تعجيل موعد تنفيذ خطتهم التي حدد

لها سابقاً موعداً هو الخامس من آب .

بعد ان نقل اليه الرعيم عكاشة التحذير ، توجه جمال عبد الناصر بصحبة عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين في العشرين من تموز الى الدارة "الصغيرة" التي كان يسكنها اللواء محمد نجيب في القبة بالقرب من ملهى فندق حلمية . ووجود الدارة قرب هذا المكان العام اتاح للضباط الشباب ان يوقفوا مياراتهم قرب سيارات عشاق الرقص والموسيقى متحاشين امتداد ارباب لربارتهم لبيت محمد نجيب . قرر المتآمرون ان يعمدوا في الثماني ولاربعة ساعة القادمة ، ولبلاد كانت بدون حكومة ، ورجل السياسة كانوا يستجمعون في اوروبة او على شاطئ الاسكندرية . والحر كان شديداً فوق العادة ، الى درجة تحول دون قيام اي من الناس بعمل جدي او تفكير بثورة مباشرة . انها افضل مناسبة لاستلام الحكم ، والتخلص من الملك قبل ان يعنقل اقطاب الضباط الاحرار الذين بدأ بوليسه السياسي يكشف هوياتهم . لقد كان اللواء محمد نجيب مراقباً من اعوان الفريق حيدر ورجال القصر ، واستقر الرأي على وجوب بقائه دون ان يحرك ساكناً في دارته . وترك للضباط الاحرار الشباب مهمة العمل على ان يأتوا لاخته عندما تنجح العملية .

اهتم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين اولاً بدعوة اعضاء اللجنة التنفيذية الموجودين آنذاك بخارج القاهرة ، الى الاجتماع ومن بينهم جمال سالم ، وصالح سالم وانور السادات . وهذا الاحير كان معسكراً في رفح على حدود فلسطين ، وأربعة من الضباط الاحرار ، لم يكونوا حتى ذلك الوقت اعضاء في اللجنة التنفيذية الحقوا بها قبل تنفيذ الثورة وهم : زكريا محيي الدين ، وحسين الشافعي ، وعبد المعيم امين ويوسف صديق منصور .

وهكذا صار عدد الضباط الذين اطعوا على المخطط الثوري عشرة

يدخلون الى قصر رأس البين ليقسموا بين الولاء للملك . ولي لحظة دلتها
اتي تقدم فيها الوزراء هذه المهمة ابصر لاهل بالهشة رعيم اسماعيل شيرين
ينضم الى اعضاء الحكومة واث رئيس مجلس الوزراء الملك فاروق عم جاء
يشعره رعيم شيرين فأجاب ملك بصحبة عريضة ه سيكون وزيراً بحرية ه
ان اسماعيل شيرين هو صهر الملك وقد تروح هذا الصابط الجميل
الاميرة فوزية دت الميراث منصره اتي كانت فترة ما امبراطورة ايران
فضحرت من طهران وعادت الى القاهرة . انه ليس عدواً للجيش .
وله فيه اصدقاء كثيرون . وذلك اعتمد عليه الملك لاستعادة شعبته في
ملك مضطرب . وانته لم يكن يدرك انه حسم ان يبر رحمة لمة الجيش ولم
يكن في ملكه ان يصور ان اربعة عشر صاعاً معمولين في الية دلتها
ميسرة على عاتقه وانه ليس من شخص يستطيع ان يصور مقام الملكي .
وربما كان وزير الحربية السيد اسماعيل شيرين يبحث مع الفرق
محمد حيدر شازون لجيش ك ثمانية اعضاء في اللجنة التنفيذية للصباط
الاحرار مجتمعين بالقاهرة في منزل خالد محبي الدين قريباً من مدرسة
هيئة الأركان ومقر القيادة العليا للاستماع الى عبد الحكيم عامر وهو يقرأ
عليهم النصميم النهائي الذي وضعه جمال عبد الناصر للخلاص من النظام البائد .
وكانت الخطة الموضوعية تنضي بأن يحتل عبد اللطيف بغداد ووحسن
ابراهيم الساعدة الحوية في الماض وحسين الشافعي وخالد محبي الدين يتوليان
امر الفرسان والمصحات . وأحمد شوقي يأخذ على عهدته مقر القيادة
العامة بمساعدة الفوج الثالث عشر والنوح الآلي الاول العامل تحت قيادة
العقيد يوسف منصور . وكان على زكريا محبي الدين ان يدير الاعمال
كها ويصطحبها كي لا يقع فيها حلل . كان مقرراً ان تبدأ الحركة في
الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، اذ ان الشوارع تكون خالية من
المارة في مثل هذه الساعة ، والصباط الكبار كذلك يكونون نائمين في
أمرتهم مما يتيح أمر اعتقالهم في منازلهم . وموجب النصميم ان يوجه

جمال عبد الناصر على ورقة صغيرة كان يجب أولاً احتلال مقر القيادة العامة والثكنات التابعة لها ، ومن ثم الاستيلاء على محطة الاداعة ومركز اتاتف وطرق المواصلات وبعد ان يتم ذلك يُطلب من الملك التنازل . ويقول جان وسيمون لاكوتور في كتابهما « مصر في طريق التقدم » .. حسب رواية ثروت عكاشه « تمزق أبطال الانقلاب في الساعة السادسة مساء على ان يلتقوا في منتصف الليل بعد ساعة أبلغ المقيب سعد توفيق جمال عبد الناصر ان رئيس الاركان العامة اللواء حسين فريد قد دعا الى اجتماع استثنائي عاجل في الساعة العاشرة ليلاً في مقر القيادة العامة . ويسود انه تنتهي من أحد الجواسيس من المؤامرة . فعزم جمال عبد الناصر عندئذ على ان يستق الامور ساعة وذهب بنفسه في سيارته الى « موريس » الصغيرة التي يملكها لينته زملاءه الى ذلك وفي الساعة التاسعة وال نصف ليلاً ، كما يقول ثروت عكاشه جاءني شاب يرتدي بنطلوناً وقيصاً واباني ان بدء الحركة قد قدّم ، وقال باللغة الانكليزية : « لا ندع عواطفك تتكلم يا ثروت ، ولا تتخيل نفسك في السجن . ان لدينا تسعة وتسعين بالمئة أملاً بالفوز . » وكان ذلك الشاب جمال عبد الناصر ، وبضيف السيدان لاكوتور الى ما تقدم ان جمال نجح ايضاً في تسببه انور السادات في الوقت الذي كان زميله يستعد مع اولاده للذهاب الى السجن . ولكن انور نفسه يقول انه عاد من رفع الساعة الرابعة وال نصف بعد الظهر ، ولما لم يجد اية رسالة في المنزل رافق اولاده الى سجن مجاورة لمزله . وعندما خرج علم بأن جمال قد مر بسيارته وترك له على ورقة هذه الكلمات المختصرة : « ستبدأ الحركة هذه الليلة . الاجتماع في منزل عبد الحكيم عامر الساعة الحادية عشرة . » وما كاد يقرأ هذه الورقة حتى قفز فوراً وارتدى ثيابه واتجه الى منزل عبد الحكيم عامر حيث لم يجد أحداً . اذ ان الانقلاب كان قد بدأ . وحسين فريد في مقر القيادة العامة كان يدرس مع أبنائه خطة لإحباطه

أُحْرِجَ ظَرْفٌ فِي حَيَاةِ بَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ

سأل محرر في جريدة الجمهورية الرئيس جمال عبدالناصر عن أحرع طرف مر به في حياته فأجاب : ه لقد مررت بصعوبات كثيرة في حياتي ولكن أحرع طرف عرفته كان ليل الثاني والعشرين من تموز ، أي ليل الانقلاب العسكري . كان يجب ان يحل مقر القيادة العبد في الساعة الواحدة والصف من تلك الليلة ، وكان من اسبق عليه ان تنفي جميع القوات في القيادة العامة . ولكن في الساعة الحادية عشرة عدت ان القيادة العامة قد وصلها خبر ما اعترمها القيام به لأن احد الضباط الذين يتسبون ان الحركة قد أثار طردون شقيقه فحاول هذا ان ينجح به . ولما فشل اتصل هاتفياً بقصر القبة وأبلغ ضابط الحرس فانصل بدوره بضابط النصر في المنزه ، حيث يقم الملك السابق . وفوراً صدرت الاوامر الى الفريق حسين فريد رئيس الاركان كي يقاوم حركتها ويقضي عليها . فاتخذ حسين فريد الى مقر القيادة العامة ومن كوبري القبة دعا جميع ضباطه ورسم خطة للقضاء علينا بسرعة .

ه لقد تالقت الخبر الساعة الحادية عشرة ليلا ، وكنت آتية ما أزال في المنزل ، وكنت قد اتخذت جميع الاستعدادات وجميع الضباط كانوا في مراكزهم لتنفيذ الخطة المرسومة ، فلم أجد إلا وسيلة واحدة

لحل المشكلة . وشرحت على أمر رئيس الأركان العامة وجميع الضباط
الذين كانوا معه قال : يا معلمي ، والمباشرة بتنفيذ حتمهم .
فانحفت - و مرر صديقي عبد الحكيم عذري حيث كان يجب ان يستني
في مصف الثوب واضمحنت معي لسيد الاعتقال . تركنا امرك وقصدنا
ثكنات قصر ابيال . وهناك وحدها سرية من البوليس العسكري ترابط
على الباب ، الامر الذي لم نجب له حساباً . وفيها فوراً ان الحسم
بدأ العمل فانهما حالاً الى مقر فرقة المرسات . كان الباب معلقاً
ومحروساً من قبل رجل ربما كان أيضاً من البوليس ، فعزما عندئذ
على الذهاب الى الماسة لطبيب المدد . وفي الطريق رأينا سيارات عديدة
تتجه الى القاهرة . كان الوقت تقريباً الثانية عشرة والصف . لم يكن
كل ذلك في حسابنا اذ كان يسمي على قوائنا ان تتحرك في الواحدة .
استسلمنا عندئذ للتفكير وتساءلنا : ترى هل هذه سياراتنا أم انها سيارات
رئيس الأركان العامة ؟

« وكنا أنفسنا بأبها سياراتنا ، لأنه ليس من الممكن ان
يكون من فيها من رجاله ، لأنه لم يبدأ التنفيذ . لا شك ان أحد
رجالنا قد قط الى ما بيت لنا فاستق الساعة . انتظرنا على طرف
الطريق حتى تصل القوات المارة الى محاذنا . لقد فوجئت اذ شاهدت
في السيارة الاولى اللواء مكى قائد الفرقة الثانية ، وفي السيارة الثانية
رأيت الاميرالي عبد الرؤوف عابدين ، فحفت ان يكون هذان الضابطان
قد اتفقا علينا وانضموا الى رئيس الأركان . وفجأة ، وفي لحظة خاطفة ،
« طوفنا ، عبد الحكيم عامر وانا ، من قل خمسة ملازمين يحملون المدافع
الرشاشة ، وأمرونا بأن نرفع ايدينا فوراً وبألا نتحرك .. »

« كانت تلك اللحظة لا ريب أخرج ظرف في جيباني .. لقد تبادر
الى ذهني ان اللحظة التي أحكمنا وضعها قد فشلت مع الاسف . ولكن
لحسن الحظ بعد فترة وجيزة صمت ابكبايني بوصف مصور يتنادي من

السيارة التي لم يكن من الممكن أن تكون قد أتت من الشرق
وحجر جميع السيارات التي كانت في طريقها . ثم ركب من السيارة
وتقدم مي وحربي ن جميع الرجال الذين كانوا أول الأمر لم يربطوا
على أي شيء ، لأن سائقي سيارات في فلسطين .

« عندئذ فقط فهمت أنه بدأ سيره في منتصف الليل ، أي قبل
الموعد المحدد بساعة واحدة ، ولم يبق أمامنا سوى حبل واحد هو
احتلال مقر القيادة العامة بهذه المرفقة التي تحت امرتنا ، ونجها نحو
جسر القبة وباشرنا في تطويق الساحة في المدينة الحميين بعد منتصف
الليل ، أي أربعين دقيقة قبل الوقت المتفق عليه .

لم يكن نعرف في ذلك الحين ماذا كان يجري في الامكنة الأخرى .
ترى هل كانت القوات الباقية تقوم بما كلمت به ؟؟ ومع ذلك جمعنا
قواتنا وحاجم عبد الحكيم عامر ويوسف صديق والضباط الشجعان مع
ثلاثين جندياً مقر القيادة العليا . وكان الباب الحديدي مغلقاً ، فما كان
من الضباط الذين كانوا في الداخل إلا أن أطلقوا النار عينا . ودامت
المعركة أربعين دقيقة تقريباً .

« إثر ذلك بدأت قوى الفرسان تنهار ، وفي الساعة الواحدة وال نصف
كان مي القيادة العليا في حورنما واعتقل جميع الذين كانوا فيه .
« لقد كان ذلك العمل بداية الفوز وانتصار الثورة التي شقت طريقها

برعاية الله .. »

صُدفَ العِناية

يقول جمال عبد الناصر وأور السادات معاً انه في الساعة الحادية عشرة مساء لا قلها أعلماً بأن رئيس الأركان حسين فريد قد تلقى نبأ الانقلاب الذي تُعده حركة الضباط الأحرار . وفي هذه الساعة الخرجة بعد ان عرف البأ الخطير اتجه جهان نحو منزل صديقه عبد الحكيم عامر . ولما التقى برتل السيارات الذي يقوده العقيد يوسف منصور تساءل اذا كان الحدس الداخلي قد امر احد الضباط الأحرار باستباق الموعد المحدد ساعة كاماة ومن ثم قل : « عندئذ فقط فهمت ان يوسف منصور انطلق قبل الموعد المعين بساعة » . ان جمال لم يتمكن من الاتصال بأعوانه لتقديم الموعد وصيغة العناية هي التي دفعت الى ذلك .

وفي مجلة « بورس احبسيان » يروي العقيد حسين الشافعي فيقول : « لقد انتقمنا على ان تأني ان نكون قبل منتصف الليل كي لا نقضح حركتنا . وانا شخصياً قد وعدت الضباط العاملين معي في الفرسان على الالتقاء الساعة الحادية عشرة . ولما كان من المستحيل ان انصل بهم لأبلغهم آخر الأوامر ، لذلك كان علي ان اذهب اليهم في الساعة المحددة . كانت الأنوار في الثكنة مطفأة ، ولم يبدُ ذلك لي ولا حسناً . وبالإضافة الى ذلك كنت سبارة ورائي تعتقني كل الطريق .

و... مشي لما عدت ان رئيس الأركان قائد المصنحات و...
سفره الزاوية الحادية عشرة والرابع . لقد طست ان حركته قد...
أمرها . ومع ذلك لم احد سبباً لتراجع . لأن كل تراجع و...
كان يعني استياء عديداً وعلى الرغم من الاوار استياءه مات حطماً
وسحت بفصل الله الذي كان مساهباً بالهوى الكامل .

ان حسين الشديدي ، وانه ذلك يؤكد ان مواعده مع زملائه في
فرقة لدرسان كان له اياماً مشرفة كان يخشى ان لا يلقاهم الا
تأخر الموعد ان مسقط الليل وهذا ما سبب أسيار رئيس الأركان
حسين فريد وأعوانه الذين كانوا يعملون انتصاء على حركة الضباط
الأحرار .

قد يقول قائل . ان ساعة الى الأمام او الى الوراء لا تقدم ولا
تؤخر ، ولكن هذا القول في احداث خطيرة كهذه له اهميته القصوى .
وقد اوردت النصوص التي تتعلق بذلك للدلالة على الصعوبة التي يلاقيها
المؤرخ في ضبط الأحداث حتى لو كانت معاصرة

في سنة ١٩٤٢ عندما قامت القوات البريطانية بضغطها الممهد على
الملك فاروق أثارت بذلك القسم الأعظم من ضباط الجيش المصري
ولكن احدى مهم لم يتحرك بالفعل لحماية الاسرة المالكة . اما في سنة
١٩٥٢ لما دخل عبد الحكيم عامر وأحمد شوقي والمسندس في يد كل منها
الى مكتب رئيس الأركان حسين فريد ، حاول هذا الأخير ان يقاوم
وأطلق ثلاثة عبارات نارية من مسدسه دون ان يصيب احداً . ولم يسقط
في هذه المقاومة القصيرة التي حدثت في الأركان العامة حيث كان يوجد
عدد كبير من الضباط سوى جنديين عاديين .

لقد استطاع جمال عبد الناصر في تلك الليلة الدرامية ان يخنق
بهدهء اعصابه وواقعيته ان الثورة التي هيأها لتفد سنة ١٩٥٥ قد
قرب موعدها اضطراراً وبحري الأحداث دوع الى ذلك . كان بعد

شهدوه وصبروا موسمياً حركة الصاها الأحرار . ولكن انتشار المنظمة في صفوف الجيش قد لفت انظار عبود الملك وجواسيسه الذين بذلوا جهوداً جبارة لاكتشاف قادتها الحقيقيين . وكان لا بد لسلامة الحركة من استعجالها وتقديم ساعة الصفر عدة ايام ومن ثم ساعة واحدة لتسقط البوليس الحربي ، وتسجو من شاكه التي نصها لتهديم جهود دامت سنوات طويلة . لقد بلغت خراجة الأحداث بعض الصباط الأحرار درجة كادت تدفعهم الى الخروج عن طورهم والارتماء في احضان الارهاب . ومع ذلك ظل جمال عبد الناصر هادئ الأعصاب وقاد الانقلاب الى أكثر الظروف مناسبة ليكتب له اوفر حظ من النجاح .

العسكرتون يخضعون للملك

في الساعة الثالثة وال نصف من صباح يوم الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩٥٢ اتجهت سيارة مصفحة الى داره اللواء محمد نجيب بالحلمية ، كان يجب ان يرأس مجلس الثورة الذي طلب من الملك ان يكلف علي ماهر تأليف حكومة جديدة .

في ٢٤ تموز تألفت الوزارة الجديدة :

وفي ٢٥ منه أعلن علي ماهر ان الملك قد وافق على المطالب الاولى التي يريد ها الجيش فعين اللواء محمد نجيب قائداً أعلى للقوات المسلحة مكان حيدر باشا ، وأقصى عن البلاط حائط عفيفي وكريم ثابت والدكتور يوسف رشاد وقائد الجناح حسن عاكف والياس اندراوس وانطون بولي ومحمد حسبر . في الوقت ذاته كان رتل من السيارات المصفحة يندفع نحو الاسكندرية بقيادة العقيد زكريا محيي الدين .

وفي صباح اليوم التالي كان بطوق قصري رأس التين والمنتزه .

وفي ٢٦ منه كلف علي ماهر ان يبلغ الملك فاروق الانذار التالي :
« نظراً للعوصي السائدة التي تحببت فيها البلاد في الآونة الاخيرة والتي امتدت الى جميع الحقوق والميادين بسبب ادارتكم السيئة وافتئاتكم على الدستور وامتھانكم لارادة الشعب - حتى ان كل مواطن لم يعد مطمئناً

لى حبه وممتلكاته وكرامته . وبما ان الاستمرار في هذا اسل يسبى
الى معة مصر من الامم . وبما ان الحرية والمستعين من رالوا يحدون في
رعائكم الحماية لجميع ثروات غير مشروعة على حساب الامور العامة في
وقت تردى فيه الشعب قريسة للبؤس والجوع .

وبما ان هذه المصالح قد اضمحت وبرزت خلال حرب فلسطين في
المناجرة بالاسلحة والدحار القاسدة . والاحكام ابى اصدرتها المحاكم
بهذا الخصوص . حيث كشف تدخلكم في المحاكمة لانقاد المهملين .
الامر الدى هرب العداة وشجع الحرية على مناعة خيانتهم وفسد الآخرين
لذلك انتدب الجيش الذى يمثل قوة الشعب كى اطلب من جلالكم
الشارل عن العرش لمصلحة ابكم ولى العهد احمد فؤاد في هذا اليوم دانه
السبت ٢٦ تموز ١٩٥٢ ومعادرة البلاد فوراً قبل الساعة السادسة مساء .
ان الجيش يحمل جلالكم مسؤولية النتائج الاجمة عن رفضكم الانصياع
لارادة الشعب

القائد الاعلى للقوات المسلحة

القواء أركان حرب

محمد نجيب

نسلم الملك فاروق هذا الانذار وبمحت مطولاً مع علي ماهر الذى
رغب اليه في ان يسرع بالتنازل . وفي اللجنة التنفيذية لضباط الاحرار
بذل جمال عبد الناصر جهده كى يكتفى زملاؤه بطرد الملك ، لان
نصف الاعضاء كانوا يرون في ان فاروق الذى خان شعبه يستحق
الموت . وفعلاً قد بعث الملك من الاسكندرية الى فايد حيث قائدالقوات
البريطانية بمن ينبه بأن الضباط الاحرار قد ضربوا ضربتهم . وخوفاً
من ان يحدث لفاروق ما لا يرضى جساء جفرسون كافري مغير
الولايات المتحدة الى قصر رأس التين ورافق فاروق مع علي ماهر في
ساعاته الاخيرة .

وفي الساعة السادسة صعد فاروق الى طهر نخته المحروسة بعد ان
ارتدى الثوب الابيض للاميرانية البحرية وثبته اسكة فارمان تحمل الملك
الطس احمد فؤاد الذي كان عمره آنذاك سنة اشهر فاطلق عندئذ
طراد مصري كان في المرفأ احدى وعشرين طلقة بها كان الملك الملكي
ينزل عن سارية القصر ..

وعندما رفع البحث مرسانه وصلت سيارة حبيب كانت تنق طريقها
لكي صعوة وسط الجماهير لراحرة اني كانت تحتفل بولادة النظام
الحديد . انه اللواء محمد حبيب وقد جاء بودع الملك الذي حلق قل
سهره .

ويقول حان وسيمون لاكونور في كتابهما « مصر في طريق التقدم »
ما كدت سيارة تصل حتى ترحل منها اللواء محمد حبيب ورملاؤه
احمد شوقي وحسين الشامي وجمال سام ونقدّموا باحترام من الملك فاروق
الذي كان يستند الى درابزين البحث وذكره آند محمد حبيب باستقلته
التي قدمها في شباط ١٩٤٢ عندما ارغفه مايز لأمسون بالقوة على
تأليف حكومة احساس راسيلاً على وفائه للعرش ودت امارات البأسر
على وجه الملك على الرعم من نظارته السوداء التي كان يحجبها عينه
وقال لضباط « اعتنوا بالجيش » فاجابه محمد حبيب : « انه الآن في
عهدة أيد بطيفة يا صاحب الحلالة » . ويبدو ان الحواب لم يرق لساروق
فقال : « سأبادلكم بالمثل » .

وبما كان خليفة محمد علي الذي أساء « بياسته كملت يلقى آخر نظرة
على مصر مع عروب الشمس : كان في القاهرة ضابط شاب في الرابعة
والثلاثين من عمره يستعد ليتسلم بيديه ادارة بلاده .

لقد ترأس عبي ماهر الوزارة الانتالية حتى ايلول سنة ١٩٥٣ .
وبعد ذلك جاء محمد نجيب نفسه وألف حكومة ملكية دامت حتى الثامن
عشر من حزيران سنة ١٩٥٣ : وفي هذا التاريخ تالست حكومة جمهورية

رئاسة اللواء محمد نجيب تولى فيها جمال عبد الناصر المركز الثاني ولم
يصح رئيساً للوزراء إلا في نيسان ١٩٥٤ وفي الحكومتين كان جمال
عبد الناصر هو الموجه الفعلي لمصر في طريق ثورة التي حلم بها واعدتها
منذ فتوته ...

ان جمال عبد الناصر منذ قرأ فولتير وديكز و منذ درس سيره التي
العربي محمد (صاعق) والحليفة عمر بن الخطاب وبولبوس قبصر وبابلون
بونايرت ، و منذ كان طالداً يفتش عن المقالات الوطنية لمصطفى كامل ،
كان يؤمن بأن الامة العربية تسيطر قائداً يفتقها . فهاذا لا يكون هو
ذلك القائد ؟؟

لقد عمل حتى الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩٥٢ بصبر لاستلام
السلطة . و منذ الانقلاب العسكري بدأ يراولها مباشرة او بالواسطة به
والمسؤوليات التي حملها مع رفاهه كانت ولا تزال ضخمة هامة . وهؤلاء
ان اخطأوا حيناً فقد اصابوا احبائاً كثيرة وتشتت لهم حيوياتهم الدافقة .
مادا هدم جمال عبد الناصر ، ومسادا بهي خلال السنوات السبع التي
مرت على مصر في عهدا الجديد ؟؟

ان الجواب على هذين السؤالين سيأتي مفصلاً في كتاب آخر ما
زلت اعمل على تأليفه وآمل ان أوفق في وصف ما حققه الرئيس جمال
عبد الناصر لشعبه باذن الله .

الفهرست

٥	توطئة
٩	ارفع رأسك يا أخي
١٥	قرية صغيرة خاملة
٢٢	نسب سكان مصر العليا
٣٥	تنقلات موظف البريد
٤١	مدرسة ابتدائية وثلاثة مساجد لسلطين المالك
٤٩	ثورة التلامذة
٥٨	في حي باب الشعريه
٦١	مطالبات طالب وطني
٧٠	عودة الروح ، لتوفيق الحكيم
٨٤	جمال يفتش عن حزب سيامي
٨٩	صديق يكتب الى صديقه
٩٣	جمال ينظم المظاهرات
١٠٢	المعاهدة المصرية الانكليزية

١٠٦	قول جمال في الكلية الحربية بعد رفضه
١١٣	تلميذان في الكلية الحربية
١١٦	جمال يدرس مير العطاء والعلم العسكري
١٢٩	ولادة الحركة الثورية في متقباد
١٣٨	الملازم عبد الناصر في السودان
١٤٢	انور السادات يتأمر في مصر
١٤٥	من الاتصالات مع الاحرار المسلمين وعرب مصر والامان
١٥٣	هجوم المصحات البريطانية على قف غابدين واثره في تقوية الحركة الثورية
١٦٢	جاسوسان عند راقصة
١٦٩	النشاط السري للمدرس النشيط
١٧٧	اللجان الخمس للضباط الاحرار
١٨٦	اعتصام اليهود لفلسطين وطرد سكان العرب
١٩٦	نصوص دينية عنصرية متحيزة
٢٠٢	جمال عبد الناصر وحرب فلسطين
٢٠٩	مذكرات جمال عبد الناصر عن حرب فلسطين
٢٥٦	عراق المشية تنجو بفضل رباطة جاش المقدم جمال عبد الناصر
٢٦٢	عودة المحاربين الخائبين
٢٦٨	حرب المنشورات
٢٧٥	الوفد ينقض معاهدة التحالف مع بريطانيا
٢٨٣	فدائيون جامعيون ضد القوات البريطانية
٢٩١	الضباط الاحرار يساعدون الفدائيين

٢٩٧	مذبحة الاسماعيلية وحريق القاهرة
٣٠٨	المؤامرة والحركة الوطنية
٣٢١	فضائح جديدة - الضباط الاحرار يعينون موعد الثورة
٣٢٦	تهورات ملكية ورقصة الوزارات
٣٣٠	تنفيذ الانقلاب
٣٣٣	اخرج ظرف في حياة جمال عبدالناصر
٣٣٦	صدقة العناية
٣٣٩	العسكريون يخلعون الملك

الخطأ والصواب



الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	٨	مستطاع مؤلفاتهم	مستطاع في مؤلفاتهم
٧	١١	نقلاب	انقلاب
٧	٢٢	مل أجل	من أجل
١٠	٢٤	الاركان	القيادة
١١	٢٤	رئيساً للاركان العامة	قائداً عاماً
١٢	١	يلعبه	يقوم به
١٣	٣	يرثس	يرأس
١٦	١٢	اخمين	اخميم
١٧	٤	مد الدلتا	القناطر الخيرية
١٩	٥	ملاوي	ملوي
٢٣	١٥	كتفى الغزاة	اكفى الغزاة
٢٤	٢٢	الفيون	الفيوم
٢٤	٢٢	اشمونين	الاشمونية
٢٤	٢٢	بطلمائس	بطليموسية
٢٤	٢٣	قرقه	قرنه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥	٩	تلهنت	تلهنت
٢٦	٣	فيلاي	فيلة
٢٦	١٨	سيروس	كبروس
٢٦	٢١	ليزنطة	ليزنطة
٢٧	٦	بليانس	بلييس
٣٠	٥	بدرى وتازا	البداري - تاسا
٣٠	٦	اخين	اخيم
٣٠	١٨	« تيبيد »	« طية »
٣٠	٢١	اخين	اخيم
٣٠	٢١	شانودا	شنوده
٣١	١١	الغراوي	الجراوي
٣١	١٢	ديو كليسيان	دقلديانوس
٣١	١٦	ديو كليسيان	دقلديانوس
٣٢	٢	ديو كليسيان	دقلديانوس
٣٧	١٥	مسألة ابناء	مسألة دخول ابناء
٤١	العنوان	وثلاث مساجد	وثلاثة مساجد
٤٤	١٤	نبيع	سيل
٤٦	١٥	سربه	رهبه
٥٧	٥	التالازت	التالازات
٥٨	العنوان	في حي باب الشرقية	في حي باب الشعرية